جامعة قطر

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها

دراسة مقارنة في جزء عم

إعداد

محمد علي عبد المنعم الأبرش

قدمت هذه الرسالة استكمالًا لمتطلبات

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

للحصول على درجة الماجستير

في التفسير وعلوم القرآن

رمضان1441هـ/ يونيو2020م

©2020. محمد علي عبد المنعم الأبرش. جميع الحقوق محفوظة

لجنة المناقشة

استُعرضت الرسالة المقدمة من الطالب / محمد علي عبد المنعم الأبرش بتاريخ 15/شعبان/ 1441 هجري، الموافق لـ2020/4/8 ميلادي، وَوُوفِق عليها كما هو آتٍ:

نحن أعضاء اللجنة المذكورة أدناه، وافقنا على قبول رسالة الطالب المذكور اسمه أعلاه.

وحسب معلومات اللجنة فإن هذه الرسالة تتوافق مع متطلبات جامعة قطر، ونحن نوافق على أن تكون جزءًا من امتحان الطالب.

_____

الأستاذ الدكتور محمد آيدين

المشرف على الرسالة

_____

الأستاذ الدكتور عبد الله الخطيب

مناقش

_____

الأستاذ الدكتور عدنان الحموي العلبي

مناقش

تمت الموافقة:

_____

الدكتور إبراهيم عبد الله الأنصاري، عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

المُلخَّص

محمد علي عبد المنعم الأبرش، ماجستير في التفسير وعلوم القرآن:
يونيو 2020.

العنوان: التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها، دراسة مقارنة في جزء عم.

المشرف على الرسالة: الأستاذ الدكتور محمد آيدين

تُعنى هذه الرسالة بدراسة التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها، حيث جمعت الدراسة أوجه التناسب في أقوال المفسرين، ودرستها مبينةً الاتفاق في هذه الأقوال والإضافات، واختلاف هذه الأقوال، وقد حاولت الدراسة الإجابة عن عدة أسئلة أهمها: ما الوجوه التي ذكرها المفسرون في تناسب السور المحددة، وكيف استنبطوا هذه الاجتهادات، وهل تابعهم أحد من المفسرين المعاصرين في أقوالهم أم أضافوا معنىً جديدًا، وما وجه التناسب الذي رجحه الباحث؟

وقد جاءت الدراسة في ثلاثة فصول وخاتمة، تناولت في الفصل الأول بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة النبأ، وخاتمة سورة المرسلات، واختتمت ببيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الفجر، وخاتمة سورة الغاشية، أما الفصل الثاني فقد بدأ بتناول أوجه التناسب بين فاتحة سورة البلد، وخاتمة سورة الفجر، واختتم ببيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة التكاثر، وخاتمة سورة القارعة، أما الفصل الثالث والأخير، فقد بدأ ببيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة العصر وخاتمة سورة التكاثر، واختتم بأوجه التناسب بين فاتحة سورة الناس وخاتمة سورة الفلق، وقد كان لكل مبحث مطلبان اثنان، فالمطلب الأول في التعريف بالسورة ومقصدها، والمطلب الثاني في أقوال المفسرين مع التعليق على هذه الأقوال.

ومن أهم النتائج التي توصل إليها البحث: تمكُّن عدد من المفسرين من بيان أوجه متنوعة في المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمة ما قبلها، وتلقي المعاصرين لاجتهادات من سبقهم بالقبول، مع ذكر إضافاتهم المختلفة، وتنوع أوجه المناسبة في كتب التفسير والكتب المتعلقة بهذا العلم وإيراد المفسرين لأوجه المناسبة بين بعض السور وترك بعضها، واعتماد المفسرين على جانب التدبر في معاني القرآن الكريم لاستلهام ثمرات المناسبة بين ثنايا سور القرآن الكريم.

ABSTRACT

Title: The Connection between the Ending of Surahs and the Beginning of the Next, A Comparative Study of Juz' Amma

Supervised by: Prof.dr. Mohammed Aydin

This paper studies the connection (*Tanasub*) between the ending of surahs and the beginning of the next in Juz' Amma by comparing Muslim exegetes' interpretations. This comparison looks into different aspects of the connections in different interpretations. The study attempts to answer several questions: did the exegetes pay adequate attention to the connections between consecutive surahs? What are the types of those connections? How did exegetes arrive at such connections? Did contemporary exegetes expand on those connections or have they deduced new meanings? Which type of connection does the author favor. The analysis comprises of two aspects: the definition of the surah and its objective, and a commentary on exegetes' interpretations.

The study consists of three chapters and a conclusion where the First Chapter addresses the connection between the beginning of surat An-Naaa' and ending of surat Al Mursalat covering all consecutive surahs till the beginning of surat Al Fajr and the ending of surat Al Ghashiyah.

The Second Chapter starts with the connection between the beginning of surat Al Balad and the ending of surat Al Fajr and ends with the connection between the beginning of surat At-Takathur and the ending of surat Al Qari'ah. The Third and final chapter continues to analyze the connection between the beginning of surat Al Asr and the ending of surat At-Takathur till the connection between the beginning of surat Al Fatihah and the ending of surat An-Nas.

This study offers a number of conclusions, mainly: the science of connection ('ilm Al Munasaba) is firmly established in old interpretations of Quran, contemporary exegetes received positive feedback on their ijtihad which allowed them to recite in their works, the scope of connection has widened allowing for a stronger connection between meanings among all chapters of the Quran, and lastly, exegetes depended on pondering over the meanings of Quran to arrive at the connections between the surahs.

شكر وتقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم، على سيدنا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أحمد الله أن منَّ علي ووفقني لإكمال هذا البحث، إنه منعم جواد كريم.

وانطلاقًا من قول حبيبنا المصطفى ﷺ (لَا يَشكُر اللهَ من لا يَشكُر الناس)[1]، فأتوجه بالشكر الجزيل لسيدي الوالد، وسيدتي الوالدة أن أغدقاني بدعواتهما، وتوجيهاتهما الكريمة، كما أشكر إخواني وأخواتي الأكارم الذين أستمد منهم الإرشاد والنصح، وأخص منهم أختي الفاضلة "مريم" لدعمها ومساندتها العظيمة، كما أشكر زوجتي الكريمة "أم أسامة" أن وفرت لي أسباب البحث والمدارسة، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

وأتوجه بالشكر العميم إلى فضيلة الأستاذ الدكتور محمد آيدين لموافقته بالإشراف على رسالتي، وتقديم إرشاداته، وتوجيهاته المفيدة، وبذله الجهد والوقت في متابعة هذا البحث، فجزاه الله ربي خير الجزاء.

كما أشكر الدكتور بشار النجار حيث أمدني بملاحظاته القيمة للفصل الأول من الدراسة.

وأتقدم بالشكر الجزيل لكليتي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر التي تخرجت منها في مرحلة البكالوريوس، متمثلة في عميدها الفاضل الدكتور إبراهيم عبد الله الأنصاري، ولطاقمها الإداري والتدريسي، فلهم مني خالص الدعاء وخالص الفضل.

ختامًا الشكر الجزيل لمن له حق عليَّ من مشايخي وأساتذتي وإخواني الطلبة، جزاهم الله خير الجزاء، ووفقهم لما يحب ويرضى.

أسأل الله أن يجمعني وإياهم في مستقر رحمته وكرامته، وصحبة حبيبنا المصطفى سيدنا محمد ﷺ، إنه سميع مجيب.

---

(1) أحمد بن حنبل، **المسند**، ج15، ص13، رقم الحديث(9034). إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير الربيع بن مسلم.

فهرس المحتويات

المُلخَّص ..... **ج**

ABSTRACT ..... **د**

شكر وتقدير ..... **هـ**

فهرس المحتويات ..... **و**

المقدّمة **1**

الفصل الأول: التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها من سورة النبأ إلى سورة الفجر **11**

المبحث الأول: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة النبأ وخاتمة سورة المرسلات 11

المطلب الأول: بين يدي سورة النبأ 12

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة النَّبأ وخاتمة المرسلات ودراستُها 13

المبحث الثاني: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة النازعات مع خاتمة سورة النبأ 17

المطلب الأول: بين يدي سورة النازعات 18

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة النازعات وخاتمة النبأ ودراستُها 19

المبحث الثالث: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة عبس وخاتمة سورة النازعات 22

المطلب الأول: بين يدي سورة عبس 23

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة عبس وخاتمة النازعات ودراستُها 24

المبحث الرابع: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة التكوير وخاتمة سورة عبس 27

المطلب الأول: بين يدي سورة التكوير 28

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة التكوير وخاتمة عبس ودراستُها 29

المبحث الخامس: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الانفطار وخاتمة سورة التكوير 31

المطلب الأول: بين يدي سورة الانفطار 32

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة الانفطار وخاتمة التكوير ودراستُها 33

المبحث السادس: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة المطففين وخاتمة سورة الانفطار 36

المطلب الأول: بين يدي سورة المطففين 37

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة المطففين وخاتمة الانفطار ودراستُها 38

المبحث السابع: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الانشقاق وخاتمة سورة المطففين 41

المطلب الأول: بين يدي سورة الانشقاق 42

المطلب الثاني: دراسة أقوال المفسرين بين فاتحة الانشقاق وخاتمة المطففين ودراستها 43

المبحث الثامن: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة البروج وخاتمة سورة الانشقاق 46

المطلب الأول: بين يدي سورة البروج 47
المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة البروج وخاتمة الانشقاق ودراستُها..... 47
المبحث التاسع: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الطارق وخاتمة سورة البروج 51
المطلب الأول: بين يدي سورة الطارق 52
المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة الطارق وخاتمة البروج ودراستُها..... 53
المبحث العاشر: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الأعلى وخاتمة سورة الطارق..... 56
المطلب الأول: بين يدي سورة الأعلى 57
المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة الأعلى وخاتمة الطارق ودراستُها 58
المبحث الحادي عشر: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الغاشية وخاتمة سورة الأعلى..... 63
المطلب الأول: بين يدي سورة الغاشية 64
المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة الغاشية وخاتمة الأعلى ودراستُها..... 65
المبحث الثاني عشر: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الفجر وخاتمة سورة الغاشية 68
المطلب الأول: بين يدي سورة الفجر 69
المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة الفجر وخاتمة الغاشية ودراستُها..... 70

الفصل الثاني: التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها من سورة الفجر إلى سورة القارعة ...74

المبحث الأول: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة البلد وخاتمة سورة الفجر 74
المطلب الأول: بين يدي سورة البلد 75
المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة البلد وخاتمة سورة الفجر ودراستها 76
المبحث الثاني: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الشمس وخاتمة سورة البلد..... 79
المطلب الأول: بين يدي سورة الشمس 80
المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين خاتمة البلد وفاتحة الشمس ودراستها 81
المبحث الثالث: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الليل وخاتمة سورة الشمس 85
المطلب الأول: بين يدي سورة الليل 86
المطلب الثاني: أقوال المفسرين بين التناسب بين فاتحة الليل وخاتمة الشمس ودراستُها 88
المبحث الرابع: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الضحى وخاتمة سورة الليل..... 92
المطلب الأول: بين يدي سورة الضحى..... 93
المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين خاتمة سورة الليل وفاتحة سورة الضحى ودراستها 94
المبحث الخامس: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الشرح وخاتمة سورة الضحى 98
المطلب الأول: بين يدي سورة الشرح 99
المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة الشرح وخاتمة الضحى ودراستها..... 100
المبحث السادس: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة التين وخاتمة سورة الشرح 105
المطلب الأول: بين يدي سورة التين 106

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين خاتمة الشرح وفاتحة التين ودراستها..... 107
المبحث السابع: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة العلق وخاتمة سورة التين 112
المطلب الأول: بين يدي سورة العلق..... 113
المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة العلق وخاتمة التين ودراستُها..... 114
المبحث الثامن: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة القدر وخاتمة سورة العلق 120
المطلب الأول: بين يدي سورة القدر..... 121
المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة القدر وخاتمة العلق ودراستُها..... 122
المبحث التاسع: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة البيِّنة وخاتمة سورة القدر 127
المطلب الأول: بين يدي سورة البينة 128
المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة البيِّنة وخاتمة القدر ودراستها 129
المبحث العاشر: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الزلزلة وخاتمة سورة البيِّنة 133
المطلب الأول: بين يدي سورة الزلزلة..... 134
المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة الزلزلة وخاتمة البيِّنة ودراستُها 135
المبحث الحادي عشر: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة العاديات وخاتمة سورة الزلزلة 139
المطلب الأول: بين يدي سورة العاديات..... 140
المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة العاديات وخاتمة الزلزلة ودراستها 141
المبحث الثاني عشر: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة القارعة وخاتمة سورة العاديات 145
المطلب الأول: بين يدي سورة القارعة 146
المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة القارعة وخاتمة العاديات ودراستها 147
المبحث الثالث عشر: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة التكاثر وخاتمة سورة القارعة 150
المطلب الأول: بين يدي سورة التكاثر 151
المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة التكاثر وخاتمة القارعة ودراستها 152

الفصل الثالث: التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها من سورة العصر إلى سورة الفاتحة 155

المبحث الأول: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة العصر وخاتمة سورة التكاثر 155
المطلب الأول: بين يدي سورة العصر 156
المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة العصر وخاتمة التكاثر ودراستها..... 157
المبحث الثاني: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الهمزة وخاتمة سورة العصر..... 162
المطلب الأول: بين يدي سورة الهمزة..... 163
المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة الهمزة وخاتمة العصر ودراستها..... 163
المبحث الثالث: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الفيل وخاتمة سورة الهمزة 167
المطلب الأول: بين يدي سورة الفيل..... 168
المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة الفيل وخاتمة الهمزة ودراستها..... 169

المبحث الرابع: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة قريش وخاتمة سورة الفيل 173
المطلب الأول: بين يدي سورة قريش 174
المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة قريش وخاتمة الفيل ودراستُها 176
المبحث الخامس: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الماعون وخاتمة سورة قريش 180
المطلب الأول: بين يدي سورة الماعون 181
المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة الماعون وخاتمة قريش ودراستها 182
المبحث السادس: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الكوثر وخاتمة سورة الماعون 186
المطلب الأول: بين يدي سورة الكوثر 187
المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة الكوثر وخاتمة الماعون ودراستها 188
المبحث السابع: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الكافرون وخاتمة سورة الكوثر 193
المطلب الأول: بين يدي سورة الكافرون 194
المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة الكافرون وخاتمة الكوثر ودراستُها 195
المبحث الثامن: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة النصر وخاتمة سورة الكافرون 199
المطلب الأول: بين يدي سورة النصر 200
المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة النصر وخاتمة الكوثر ودراستها 201
المبحث التاسع: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة المسد وخاتمة سورة النصر 206
المطلب الأول: بين يدي سورة المسد 207
المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة المسد وخاتمة النصر ودراستُها 208
المبحث العاشر: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الإخلاص وخاتمة سورة المسد 213
المطلب الأول: بين يدي سورة الإخلاص 214
المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة الإخلاص وخاتمة المسد ودراستُها 216
المبحث الحادي عشر: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الفلق وخاتمة سورة الإخلاص 219
المطلب الأول: بين يدي سورة الفلق 220
المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة الفلق وخاتمة الإخلاص ودراستُها 221
المبحث الثاني عشر: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الناس وخاتمة سورة الفلق 224
المطلب الأول: بين يدي سورة الناس 225
المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة الناس وخاتمة الفلق ودراستُها 226
الخاتمة **230**
قائمة المصادر والمراجع **232**
ملحق الرسالة **241**

المقدّمة

الحمد لله الذي أنزل الكتاب مُحكمًا، وأضاء من خلاله هدايةً وعبرًا وحِكَمًا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ، صلاةً أزدلف بها محبةً وقربًا وتعلُّمًا، وعلى آله الأطهار، وصحبه الأخيار، ومن سار على نهجه، واقتفى أثره، إلى يوم الدين.

أمَّا بعد:

أتت فكرةُ البحث من أنَّ القرآنَ الكريم بحرٌ زاخرٌ بالهدى والحق والمعرفة، ومن قرأه تدبرًا وفهمًا استلهم في كل تلاوة نورًا من المعاني، وأبوابًا من العلم، ووجوهًا من الإعجاز، وقد أراد الله تعالى جمعه على غير ترتيب نزوله ليظل معجزةً خالدة عبر الأجيال، فلو جُمع على حسب ترتيب نزوله لظنَّ بعض الناس أنَّ الآياتِ خاصةٌ بحوادثها كحلٍّ لمشكلاتٍ وَقتيَّةٍ، ولذلك اقتضت الحكمة الإلهية أن يُرتب الذكرُ الحكيم ترتيبًا يحقق الشمول والخلود.

تهتمُ هذه الدراسةُ بعلمٍ وجيه من علوم القرآن العظيم، وهو علمُ المناسبات، إذ اختصت بجانبٍ متعلقٍ بالمناسبة بين فواتح السور وخواتم ما قبلها، محددة بالجزء الثلاثين من القرآن الكريم، وهو جزء عم، البالغ عددها سبع وثلاثون سورة.

ورحم الله علماءَنا الأفذاذ، ورضي عنهم، فكم أجادوا وأبدعوا وصنفوا واجتهدوا في تحصيل هذه الوجوه المتعلقة بالمناسبات، وإنها لفيوضات وعطاءات من الله تعالى يجريها على خلقه، وما على القارئِ سوى النهل من هذه الينابيع المدرارة والعذوبة المصطفاة، ذاك لأنهم ورثوا العلم المحمدي؛ فأمدَّهم الله تعالى من سر هذا الإرث النبوي، بقوة في التدبر، وسلامة في التفكر، فذا وجه مليح في مناسبة بين سورتين وذاك وجه أملح، أسأل الله أن يمن علينا بما منَّ به على عباده الصالحين.

ولما كان لعلم المناسبة أنواع وأشكال، فقد قررت مجموعة من الطلبة تحت إشراف الأساتذة الأفاضل من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر القيام بمشروع بحثي في

مجال الدراسات القرآنية؛ يدرس نوعًا من المناسبات، وهو مناسبة فاتحة السورة مع خاتمة ما قبلها لجميع سور القرآن الكريم[1].

استند هذا المشروع إلى الرأي الراجح في أن ترتيب السور القرآنية توقيفي لا اجتهادي، وقد بلغ الأمر عند الفراهي مرتبة اليقين، حتى إنه يقول: "وكيف يشك فيه -أي القرآن- من وجد مَسّ برده، وشم ريح ورده، وتمتع بنسيم عرار نجده، ولكنه من لم يذق فإن ارتاب فلا تثريب عليه"[2]، فلا عتب على من يستطع تلمس التناسب بين الآيات والسور القرآنية إذ إنه لم يذق حلاوة هذه الوحدة القرآنية، وتابع د. أحمد حسن فرحات بهذا السياق في كتابه، فقال: ومع ذلك يبدو أن هذا الاتجاه على أهميته _ وبالرغم من الجهود التي بذلها في توضيح رأيه وإقامة الحجج والبراهين المقنعة _ لم يستطع أن يُعبِّد الطريق أمام الباحثين، فما زالت هناك صعوبات كثيرة وعقبات كبيرة، تحتاج إلى مواصلة الجهد وتحقيق هذه الفكرة في عالم الواقع ليس بالأمر الهين ودون ذلك أشواك ومشتقات حتى يستوي النظام على سوقه، ويرتفع بنيانه على قواعد علمية محددة، وقد لا يستطيع ذلك إلا أفذاذ من الناس ممن وهبوا حياتهم ووقتهم لمطالعة كتاب الله ودراسته، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرًا[3]، وينظر للاطلاع في هذا الخلاف بداية المشروع العلمي هذا، حيث فصله الباحث بشكل دقيق.

---

(1) بدأ المشروع أخي الفاضل أسامة الطحان، حيث افتتح دراسته بعلم المناسبات وأنواعه وأقوال العلماء فيه، ثم درس تطبيقات من أول سورة (الفاتحة) إلى سورة (المؤمنون)، ونوقشت الرسالة وحصلت على درجة ناجح بتعديلات طفيفة، وقد حدد الطالب عبد الله ملا إسماعيل لبيان أوجه التناسب من سورة (النور) وحتى سورة (ق)، وقام أخي الفاضل إبراهيم حافظ سيد بكتابة رسالته في أوجه التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها من سورة (الذاريات) وحتى سورة (المرسلات)، ونوقشت الرسالة وحصلت على درجة ناجح بتعديلات طفيفة، وقد قامت دراستي هذه بمعزل عن ذكر التعريفات، حيث ستجمع الدراسات كلها بين عدة طلبة في مشروع واحد بإذن الله تعالى.

(2) الفراهي: عبد الحميد، **تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان**، (الدائرة الحميدية بالهند، ط1، 2008م)، ص22.

(3) ينظر: فرحات؛ أحمد حسن، **مناسبات الآيات والسور**، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، (العدد الثاني- السنة الثانية-عام1390 هـ)، ج16، ص32.

ابتدأت عناوين المباحث في هذه الدراسة بذكر فاتحة السورة أولًا؛ لأنَّ التناسب مقرون بفاتحة السورة، وبيان متعلق ما قبلها، وعندما افتتحت الدراسةُ المبحث وثقت موضع خاتمة السورة ثم فاتحة ما قبلها لسلامة الترتيب بين السور والآيات.

اقتصر الباحث في المطلب الأول من كل مبحث على التعريف بالسورة، وبيان مقصدها دون البحث في سبب النزول أو القراءات أو محاور السورة أو فضائلها، أما المطلب الثاني فذكرَ أقوال المفسرين، ناقلًا أهم ما جاء من أوجه التناسب، مستخرجًا هذه الوجوه من بين الكتب المتخصصة بعلم تناسب فاتحة السورة لخاتمة ما قبلها، وكذلك كتب التفاسير التي اعتنت بالمناسبة بين ثناياها مراعيًا أشهر من ظهر اهتمامه بهذا الجانب، ثم يدرس هذه الأقوال ويعلق عليها[1].

اختارت الدراسة الآياتِ المتعلقةَ بفاتحة السور وخاتمة ما قبلها بناءً على الموضوع ذاته، بمبتدأ مقطعه ومنتهاه، بحيث يكون هناك ضابط لفاتحة وخاتمة السورة، وهو موضوع البحث، فالخاتمة "هي المقطع الذي يقع في آخر الآيات من السورة سواء كانت آية واحدة أم مجموعة آيات"[2]، ولما تنوعتِ المصادر التي استمدت منها هذه الدراسة بين أصل ما أُلِّف وحديثه، وجدت أن بعض المفسرين قد توسعوا بمناسبة فاتحة السورة لمحور السورة التي قبلها، فحاولت الدراسة أن تنقل منهم المواضع المحددة للبحث، دون ذكر المناسبة المذكورة كاملة، ولما ذكرت الدراسة الآيات في مبدأ كل مبحث فقد اجتهد الباحث بتحديد الآيات وأتى بالسورة كاملة في قصار السور.

ذكرت الدراسة أوجهًا من المناسبات من تفسير الشيخ الشعراوي، والذي انتهى بتفسيره إلى سورة الممتحنة إلا أن التفسير قد اكتمل من شرائط الشيخ ومسموعياته رحمه الله تعالى، وقد قاما أ. عادي أبو المعاطي والشيخ رجب فتحي محمد بترتيب ما تبقى من التفسير على سياق منهج الشيخ، ويدعمهم بذلك الشيخ سامي متولي الشعراوي، وقد أخذت الدراسة وجه المناسبة من الكتاب، ومن الشرائط المسجلة لدى الشيخ عليه رحمة الله، علمًا بأن بعض

---

(1) سيكون هذا المنهج مصاحبًا الدراسة في المطلب الثاني لدى المباحث، ولن أقوم بذكره تجنُّبًا للتكرار.

(2) الدليجان، هدى بنت دليجان بن عبد الله، **المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها في سور أل حم**، مجلة تبيان للدراسات القرآنية: الجمعية السعودية للقرآن الكريم وعلومه ع5، 2009، ص70.

مقدمات السور الأخيرة كان مصدرها من صاحب الظلال وقد بيَّن المراجعون لتفسير الشيخ الشعراوي ذلك.

وأما كتاب البرهان في تناسب سور القرآن للغرناطي، فقد اعتمد الباحث في النقل على نسختين أولها للمحقق محمد شعباني، وثانيها للمحقق سعيد الفلاح؛ لأن هناك اختلاف بين النسخ، فاختار الأصح والأرجح بينها، ولا يذكر اسم المحقق حين يكون النقل من النسخة الأولى.

أما عن موسوعة التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم[1]، والتي قامت بإعدادها جامعة الشارقة ضمن كوكبة نيِّرة من الأساتذة، فقد بحثت الدراسة أوجه المناسبة لدى الموسوعة، إذ استمد الباحثون في ذكر المناسبة من الكتب التي تم البحث فيها في هذه الدراسة كالبحر المحيط ونظم الدرر وتفسير المراغي وغيرهم، في السور المحددة بالبحث، وقد استفدت من الموسوعة في جانب المقاصد الخاصة بالسور، إذ بذل فيها الباحثون جزاهم الله خيرًا جهدًا طيبًا.

وقد جاء منهج البحث في مقصد السورة أو في ذكر أوجه المناسبات مبنيًّاً على ترتيب المفسرين حسب وفاتهم إلا ما انفلتَ من الباحث تقصيرًا، فيبتدئُ الباحث على سبيل المثال بوجه المناسبة عند الإمام الرازي ثم الإمام الغرناطي ثم الإمام أبو حيان ثم الإمام البقاعي وهكذا إلى أقوال المفسرين المعاصرين.

وقد حُدِّدت فقرات الدراسة حسب الترتيب الأبجدي (أ، ب، ت، ث، ...)، وأتى مسمى لفظ (الإمام، الشيخ) عند إيراد أقوال المفسرين؛ بالنسبة إلى شهرتهم في زمانهم.

ونقل الباحث أقوالًا تبيِّن أن المناسبة بين السورتين ظاهرة أو واضحة، وسبب إيراد هذه الأقوال في البحث للدلالة على فَهم الإمام للمناسبة، ولوضوحها، ولجني ثمار نتائجها، وقياس ذلك الوضوح من عدمه.

---

(1) **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، بإشراف أ.د مصطفى مسلم، (جامعة الشارقة، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، 1431هـ - 2010م).

ولما كان صفة الحل والترحال في قراءة القرآن الكريم كما جاء عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قال رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: «الحَالُّ المُرْتَحِلُ». قَالَ: وَمَا الحَالُّ المُرْتَحِلُ؟ قَالَ: «الَّذِي يَضْرِبُ مِنْ أَوَّلِ القُرْآنِ إِلَى آخِرِهِ كُلَّمَا حَلَّ ارْتَحَلَ»[1]، فقد ختمَ الباحث بإشارة إلى بيان التناسب بين فاتحة سورة الفاتحة وخاتمة سورة الناس.

وانتهى البحث إلى بيان مخطط توضيحي لأقوال المفسرين في تناسب السور في جزء (عمَّ)[2]، وقد أشارت الألوان إلى أقوال المفسرين في البحث، وحصرها، إذ يجد القارئ أن الإمام البقاعي مشارٌ إلى قوله في التناسب للسورة بلون، وإلى غيره بلون آخر، مما يُمكِّن القارئ من الاستفادة والنظر في أقوال المفسرين، مرتبًا حسب تاريخ وفاة العالِم، بدءًا من الإمام الرازي، ولم أضع بعض المفسرين الذين وجدت لديهم أقوالًا قليلةً في جزء عمَّ، كالفراهي، وعُنونت المخطط بملحق الرسالة.

إشكالية البحث وأسئلته:

يحاول هذا البحث أن يجيب عن الأسئلة الآتية:

1. ما الذي اتفق عليه المفسرون أو انفردوا به في أوجه التناسب بين سور جزء عم؟
2. ما المصادر التي اعتمدوا عليها حين بيانهم لهذه الأوجه؟
3. ما مدى دقة اجتهاداتهم التي توصلوا إليها؟
4. هل سبقهم أو تابعهم أحد في أقوالهم؟
5. ما الإضافات التي تمكن منها صاحب الدراسة في أوجه التناسب بين السور؟

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في النقاط الآتية:

---

(1) أخرجه الترمذي، محمد بن عيسى (ت: 279هـ)، **سنن الترمذي**، ت: أحمد شاكر، وغيره، (مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط2، 1395هـ، 1975م)، أبواب القراءات، ج5، ص197، رقم الحديث(2948)، قال: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ وَإِسْنَادُهُ لَيْسَ بِالقَوِيِّ.

(2) اشتهر الجزء بهذا الاسم؛ لابتداء أول آية من سورة النبأ، ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١﴾ [النبأ].

1. أفضلية علم التناسب بين فاتحة السورة وخاتمة ما قبلها، ومكانة نوع التناسب بين فواتح السور وخواتمها لدى المفسرين.
2. إضافات المفسرين لأوجه التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها في الجزء المحدد كان لها منهجية خاصة وتأويل يستفاد ويستنبط منه، لاختلاف مدارس التفسير.
3. جدة الموضوع، حيث إني لم أجد كتابًا يجمع أقوال المفسرين في التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها، ويقوم بدراستها.
4. فتح الآفاق في فهم أسرار الكتاب العزيز، وبيان معانيه، ومقاصده، وهداياته، والتمكن من الاطلاع على كتب التفسير المتقدمة والمتأخرة، ومقارنة أقوال المفسرين، والاستنباط من اجتهاداتهم.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

1. التعريف بالسور الواردة في البحث، وبيان مقاصدها عند العلماء.
2. الكشف عن الأقوال والأوجه التي ذكرها الأئمة المفسرون في التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها في جزء عم.
3. نقد دراسة أقوال المفسرين في التناسب.

فرضيات البحث:

- كل سورة لها مقصدها الخاص بها، وعمودها الأساسي الذي يتمحور حولها.
- يوجد تناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها في جميع القرآن الكريم.
- ترتيبُ السور توقيفيٌ لا اجتهادي، وقد نوقشت هذه الفرضية في بداية المشروع.

حدود البحث:

دراسة أقوال المفسرين الذين كتبوا في التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها من سورة (عم) إلى سورة (الناس).

الدراسات السابقة:

بعد البحث والاطلاع بقدر الوسع، لم أجد بحثًا يدرس التناسب لدى المفسرين في جزء (عم) بشكل تفصيلي، ووجدت أن أقرب الدراسات للموضوع هي ما تناولت معنىً إجماليًا للتناسب، أو أنها بحثت في سور معينة، ومنها:

1. **التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم**، لفضل صالح السامرائي، دار ابن كثير، 1437هـ - 2016م، وهو كتاب مهم في هذا العلم حيث قسمه المؤلف إلى علاقة فاتحة السورة بخاتمتها وعلاقة فاتحتها بخاتمة ما قبلها، وقد رجح في جزء (عم) أقوالًا مبسطة انتقاها ممن كتب في هذا العلم، ولم يؤلف وجوهًا جديدة، لذلك لم أورد أقواله في الدراسة، فإضافة هذا البحث تكمن في بيان الاتفاق في أقوال المفسرين أو اختلافها.

2. **التفسير الإرشادي عند الإمام البقاعي في تفسيره نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** لعامر توفيق القضاة، بالاشتراك مع وزارة الثقافة في عمَّان، رسالة دكتوراه، نشرتها وزارة الثقافية الأردنية، وهو عمل يتعلق بتناسب الآيات عند الإمام البقاعي، وتختلف هذه الدراسة من حيث إنها جامعة لأقوال المفسرين في التناسب، بينما كانت دراسة التفسير الإرشادي في أقوال الإمام البقاعي ولم تخرج عن غيره.

3. **فواتح السور وخواتيمها أنواعها ودلالاتها ومناسباتها** لعبد العزيز الخضيري رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام 1413هـ، والفرق واضح بين هذه الرسالة وبين بحثي، إذ إنها ذكرت أنواع فواتح السور وخواتيمها ودلالاتها وتطبيقاتها، لكنها لم تدرس أقوال المفسرين في أوجه التناسب، وهي دراسة مهمة في هذا الباب.

4. **المختارات من المناسبات بين السور والآيات**، جمع وإعداد ابتسام عمر العمودي، مركز تدبر للدراسات والاستشارات، 1436هـ - 2015م. والفرق بين هذا الكتاب وبين رسالتي أن المؤلفة حاولت الانتقاء بين أقوال المفسرين، ولم تذكر جميع الأقوال، ولم ترجح أو تبين الاختلاف فيما بينها بخلاف بحثي.

5. **الإعجاز ودوره في الإعجاز القرآني**، إقبال وافي نجم، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة بالعراق، قسم الفقه، تحدثت هذه الرسالة عن المناسبات وأنواعها وتطبيقات عليها، وبحثي هذا؛ هو بمثابة تطبيق عملي لنوع من أنواع المناسبات.

وقد أضاف بحث "التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها، دراسة مقارنة في جزء عم" جوانب لم تضفه الدراسات السابقة، وهو جمع أقوال المفسرين في الجزء المحدد، وذكر محل الاتفاق، والاختلاف، ونقد هذه الأقوال.

منهج البحث:

اعتمدت الدراسة على ثلاثة من المناهج العلمية وهي:

1. المنهج الاستقرائي: استخدمت الدراسة هذا المنهج عند جمع المادة العلمية والبحث في مناسبة فواتح السور وخواتم ما قبلها عند المفسرين، وتتبع أقوالهم.

2. المنهج التحليلي: استخدمت الدراسة هذا المنهج عند شرح وبيان وتعليق وتحليل النصوص المنقولة في موضوع البحث.

3. المنهج النقدي: استخدمت الدراسة هذا المنهج عند نقد أقوال المفسرين.

هيكل البحث:

يحتوي البحث على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة؛ وذلك على النحو الآتي:

المقدمة؛ وفيها: فكرة البحث، إشكالية البحث، أهمية البحث، أهداف البحث، فرضيات البحث، حدود البحث، الدراسات السابقة، منهج البحث، هيكل البحث

الفصل الأول: التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها من سورة النبأ إلى سورة الفجر.

ويشمل اثني عشر مبحثًا:

المبحث الأول: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة النبأ وخاتمة سورة المرسلات.

المبحث الثاني: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة النازعات وخاتمة سورة النبأ.

المبحث الثالث: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة عبس وخاتمة سورة النازعات.

المبحث الرابع: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة التكوير وخاتمة سورة عبس.

المبحث الخامس: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الانفطار وخاتمة سورة التكوير.

المبحث السادس: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة المطففين وخاتمة سورة الانفطار.

المبحث السابع: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الانشقاق وخاتمة سورة المطففين.

المبحث الثامن: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة البروج وخاتمة سورة الانشقاق.

المبحث التاسع: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الطارق وخاتمة سورة البروج.

المبحث العاشر: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الأعلى وخاتمة سورة الطارق.

المبحث الحادي عشر: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الغاشية وخاتمة سورة الأعلى.

المبحث الثاني عشر: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الفجر وخاتمة سورة الغاشية.

الفصل الثاني: التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها من سورة الفجر إلى سورة القارعة.

ويشمل ثلاثة عشر مبحثًا:

المبحث الأول: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة البلد وخاتمة سورة الفجر.

المبحث الثاني: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الشمس وخاتمة سورة البلد.

المبحث الثالث: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الليل وخاتمة سورة الشمس.

المبحث الرابع: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الضحى وخاتمة سورة الليل.

المبحث الخامس: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الشرح وخاتمة سورة الضحى.

المبحث السادس: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة التين وخاتمة سورة الشرح.

المبحث السابع: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة العلق وخاتمة سورة التين.

المبحث الثامن: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة القدر وخاتمة سورة العلق.

المبحث التاسع: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة البينة وخاتمة سورة القدر.

المبحث العاشر: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الزلزلة وخاتمة سورة البينة.

المبحث الحادي عشر: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة العاديات وخاتمة سورة الزلزلة.

المبحث الثاني عشر: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة القارعة وخاتمة سورة العاديات.

المبحث الثالث عشر: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة التكاثر وخاتمة سورة القارعة.

الفصل الثالث: التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها من سورة العصر إلى سورة الناس.

ويشمل اثني عشر مبحثًا:

المبحث الأول: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة العصر وخاتمة سورة التكاثر.

المبحث الثاني: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الهمزة وخاتمة سورة العصر.

المبحث الثالث: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الفيل وخاتمة سورة الهمزة.

المبحث الرابع: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة قريش وخاتمة سورة الفيل.

المبحث الخامس: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الماعون وخاتمة سورة قريش.

المبحث السادس: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الكوثر وخاتمة سورة الماعون.

المبحث السابع: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الكافرون وخاتمة سورة الكوثر.

المبحث الثامن: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة النصر وخاتمة سورة الكافرون.

المبحث التاسع: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة المسد وخاتمة سورة النصر.

المبحث العاشر: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الإخلاص وخاتمة سورة المسد.

المبحث الحادي عشر: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الفلق وخاتمة سورة الإخلاص.

المبحث الثاني عشر: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الناس وخاتمة سورة الفلق.

الخاتمة، وتشمل النتائج التي توصلت إليها الدراسة والتوصيات.

الفصل الأول: التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها من سورة النبأ إلى سورة الفجر

المبحث الأول: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة النبأ وخاتمة سورة المرسلات

خاتمة سورة المرسلات:

قال الله تعالى: ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٥ كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ ٤٦ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٧ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ ٤٨ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٩ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ٥٠﴾ [المرسلات].

فاتحة سورة النبأ:

قال الله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ٢ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ٣ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ٥﴾ [النبأ].

المطلب الأول: بين يدي سورة النبأ

أولًا: التعريف بالسورة

سورة النبأ هي السورة الثامنة والسبعون حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، وقد سميت هذه السورة «سورة النبأ» لوقوع كلمة «النبأ» في أولها، وقد نزلت بعد سورة المعارج وقبل سورة النازعات، وهي مكية بالاتفاق، وقد أتت مفصلةً مبيّنةً بعض المعاني التي أتت في سورة المرسلات، وآياتها أربعون آية، وإحدى وأربعون في المكي والبصري[1].

ثانيًا: مقصد السورة

مقصدها إثبات يوم البعث، وقال الإمام البقاعي: "ومقصودها: الدلالة على أنَّ يوم القيامة الذي كانوا مجمعين على نفيه، وصاروا بعد بعث النبي ﷺ في خلاف فيه مع المؤمنين، ثابتٌ ثباتاً، لا يحتمل شكاً ولا خلافاً بوجه، لأن خالق الخلق – مع أنه حكيم قادر على ما يريد – دبرهم أحسن تدبير وبنى لهم مسكناً وأتقنه، وجعلهم على وجه يبقى به نوعهم من أنفسهم، بحيث لا يحتاجون إلى أمر خارج يرونه، فكان ذلك أشد لألفتهم وأعظم لأنس بعضهم ببعض، وجعل سقفهم وفراشهم كافلين لمنافعهم، والحكيم لا يترك عبيده – وهو تام القدرة، كامل السلطان – يمرحون، يبغي بعضهم على بعض، ويأكلون خيره، ويعبدون غيره، فكيف إذا كان حاكماً؟ فكيف إذا كان أحكم الحاكمين؟ هذا ما لا يجوز في عقل، ولا يخطر ببال أصلًا، فالعلم واقع به قطعاً، وكل من أسمائها واضح في ذلك، بتأمل آيته، ومبدأ ذكره وغايته"[2].

وبيَّن الإمام ابن عاشور أن مقصدها: "وصف خوض المشركين في شأن القرآن وما جاء به مما يخالف معتقداتهم، ومن ذلك إثبات البعث، وسؤال بعضهم بعضًا عن الرأي في وقوعه مستهزئين بالإخبار عن وقوعه، وتهديدهم على استهزائهم، وفيها إقامة الحجة على

---

(1) ينظر: البقاعي: إبراهيم بن عمر (ت:885هـ)، **مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السّوَرِ**، (الرياض: مكتبة المعارف، ط1، 1987م)، ج3، ص150؛ ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد التونسي (ت:1393هـ)، **التحرير والتنوير**، (تونس: الدار التونسية، 1984م)، ج30، ص5؛ سعيد حوى (ت:1409هـ)، **الأساس في التفسير**، (القاهرة: دار السلام، ط6، 1424هـ)، ج11، ص6331-6334.

(2) البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص151-152.

إمكان البعث بخلق المخلوقات التي هي أعظم من خلق الإنسان بعد موته، وبالخلق الأول للإنسان وأحواله، ووصف الأهوال الحاصلة عند البعث من عذاب الطاغين مع مقابلة ذلك بوصف نعيم المؤمنين، وصفة يوم الحشر إنذارًا للذين جحدوا به، والإيماء إلى أنهم يعاقبون بعذاب قريب قبل عذاب يوم البعث، وأدمج في ذلك أن علم الله تعالى محيط بكل شيء، ومن جملة الأشياء أعمال الناس"[1].

اتضح مما تقدم أن الإمام البقاعي ذكر في مقصد سورة النبأ معنى أجمل فيه الغرض الأساسي من السورة؛ وهو الدلالة على وجود البعث، وبيان قدرة الله تعالى في خلقه، وعلى هذا سار الإمام ابن عاشور في مقصد السورة، موضحًا أن مجيئها كان لإقامة الحجة على البعث، وقد كان شرح مقصد السورة لدى المفسرَين السابقين متقاربًا ومكمِّلًا لبعضه.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة النَّبأ وخاتمة المرسلات ودراستُها

أولًا: أقوال المفسرين

أ. بيَّن الإمام ابن الزبير الغرناطي رحمه الله أنَّ قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤﴾ [النبأ] مناسب للوعيد المكرر في قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٤٩﴾ [المرسلات]، بأنَّ المكذبين سيعلمون عاقبة هذا التكذيب[2].

ب. أوضح الإمام أبو حيان رحمه الله أن المناسبة ظاهرة؛ لأنَّ الله تعالى لما ذكر ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ [المرسلات:50]، أي القرآن، كانوا يتجادلون ويسائلون عنه فقال: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [النبأ:1][3].

ج. قال الإمام البقاعي: "لما أخبر في المرسلات بتكذيبهم بيوم الفصل وحكم على أن لهم بذلك الويل المضاعف، وختمها بأنهم إن كفروا بهذا القرآن لم يؤمنوا بعده بشيء،

---

(1) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص6.

(2) ينظر: الغرناطي: أحمد بن إبراهيم بن الزبير، أبو جعفر (ت:708هـ)، **البرهان في تناسب سور القرآن**، (المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1410هـ)، ج1، ص354.

(3) ينظر: أبو حيان: محمد بن يوسف (ت:745)، **البحر المحيط**، ت: صدقي محمد جميل، (بيروت: دار الفكر، 1420هـ)، ج10، ص383.

افتتح هذه بأن ما خالفوا فيه وكذبوا الرسول في أمره لا يقبل النزاع، لما ظهر من بيان القرآن لحكمة الرحمن التي لا يختلف فيها اثنان مع الإعجاز في البيان"[1].

د. ذكر الإمام السيوطي رحمه الله أن التناسب يقع بهاتين السورتين في الجمل[2]، وبيَّن هذا التناسب من خلال مقارنته بين آيات وردت في سورة المرسلات، وآيات وردت في سورة النبأ.

هـ. قال الإمام الآلوسي رحمه الله "وقيل: إنه تعالى لما ختم تلك بقوله سبحانه: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ [المرسلات:50]؛ وكان المراد بالحديث فيه القرآن، افتتح هذه _أي النبأ_ بتهويل التساؤل عنه والاستهزاء به، وهو مبني على ما روي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة أن المراد بالنبأ العظيم هو القرآن"[3].

و. من أوجه تناسب سورة النبأ لما قبلها هو: "اشتمالها على إثبات القدرة على البعث الذي دلّ ما قبل على تكذيب الكفرة به"[4].

ز. ذكر الشيخ الغماري رحمه الله أن مناسبة سورة النبأ "تتعلق بالبعث وما بعده، لأنها نزلت في قوم ينكرونه، فرد الله تعالى عليهم بعدة سور، نوَّع لهم فيها الأدلة، وعدد الأساليب، وأوضح الحجة، وسد عليهم باب الإنكار، وأبطل شبههم فيه، بحيث لم يبق لهم من حجة

---

(1) في الأصل حُذفت كلمة "لا" في قول "لحكمة الرحمن التي يختلف فيها اثنان" وهو معنىً لا يستقيم. ولهذا أُضيفت في المتن. البقاعي، إبراهيم بن عمر (ت:885)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي)، ج21، ص190.

(2) ينظر: السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر (ت:911هـ)، **تناسق الدرر في تناسب السور**، (دار الفضيلة للنشر والتوزيع)، ص152.

(3) الآلوسي: شهاب الدين محمود بن عبد الله (ت:1270هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، المحقق: علي عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ)، ج15، ص201.

(4) الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص201، وقد ذكر الشيخ الشعراوي عليه رحمة الله أن سورة النبأ شارحة ليوم الفصل في سورة المرسلات، في الفيديوهات المنشورة، وبين وجه التناسب بين سورة النبأ وما قبلها تبيينا محوريًا لجميع السورة دون ذكر خاتمة ما قبلها مباشرة وهو صلب البحث، ينظر: تفسير سورة النبأ، الشعراوي، رفعَ الفيديو حساب بعنوان **nationalq8** بتاريخ 2012/8/27، شوهد بتاريخ 2019/11/1.

على إنكار اليوم الآخر وما فيه، إلا العناد المجرد وهو أقبح الكفر، وصاحبه لا يرجى له علاج"[1].

ثانيًا: دراسة أقوال المفسرين

اتفق معظم المفسرين المذكورين على أن وجه المناسبة بين فاتحة سورة النبأ وخاتمة سورة المرسلات منعقد بتساؤل المشركين عن البعث، فافتتحت السورة بذلك، وأوضح الإمام الغرناطي رحمه الله المناسبة بين فاتحة سورة النبأ وخاتمة سورة المرسلات من خلال بيان عاقبة المكذبين في سورة النبأ، بعد استعلامهم عن ذلك العقاب في سورة المرسلات، وهو ملمح جيد، حيث أشار إلى المناسبة من باب تفصيل سورة النبأ بعد إجمال لمعانيها في سورة المرسلات.

لكن الإمام أبا حيان رجَّح تفسير "النبأ" بالقرآن، وهو أحد التفاسير الواردة في هذه الكلمة[2]، بالإضافة إلى تفسيرها بالبعث، وجاء الوجه الذي ذكره الشيخ الغماري عامًا يصلح لجميع السور المكية ولم يتطرق لوجه التناسب بشكل مفصل.

ومن خلال ما تقدم من أوجه مناسبة فاتحة سورة النبأ لخاتمة سورة المرسلات يتبين لي أنَّ الله لما ذكر حال الكفار في الدنيا بتضييعهم الصلوات، وبُعدهم عن دين الله تعالى؛ وإمهاله سبحانه وتعالى لهم، وحذَّر من وعيده لهم، ناسب ذلك افتتاح سورة النبأ ببيان تساؤل المشركين ودهشتهم من هول يوم القيامة، فذكر الله تعالى طريق الكافر المشرك به؛ بدايةً من وجوده وغيِّه في دار الفناء إلى دهشته في دار البقاء، ولما ختمَ الله تعالى سورة المرسلات بسؤالٍ عظيم متمحور في استحالة إيمانهم بعد تكذيبهم لكلام الله تعالى وذلك بأسلوب الاستفهام؛ ناسب

---

(1) الغماري: أبو الفضل عبد الله محمد الصديق الغماري الحسني (ت:1413هـ)، **جواهر البيان في تناسب سور القرآن**، (مكتبة القاهرة، مطبعة محمد عاطف وسيد طه)، ص177-178.

(2) وقد ذكر الإمام الطبري عليه رحمة الله قول الإمام مجاهد في قول الله: (عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ) قال: القرآن. وقال آخرون: عني به البعث. مبيِّنًا ذلك في القول الرابع. ينظر: الطبري: أبو جعفر، محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ت: أحمد محمد شاكر، (مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ، 2000م)، ج24، ص129. وقد نبهني الدكتور عبد الله الخطيب جزاه الله خيرًا إلى أن الراجح في معنى (النبأ) هو يوم البعث، ولذا فإن مقصد السورة متمحور حول إثبات ذلك اليوم، مستدلًا بذلك من قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ۝١٧﴾ [النبأ]، وغيرها من الآيات في سورة النبأ الدالة على إثبات البعث وأحواله.

في مطلع سورة النبأ تساؤلُ المشركين عن بيان أحوال البعث، وبذلك تنتهي سورة المرسلات بسؤال يدل على وعيد من الله تعالى، إلى أن تبدأ سورة النبأ بسؤال المشركين عن البعث، وما فيه من أحوال يوم القيامة وأهواله.

المبحث الثاني: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة النازعات مع خاتمة سورة النبأ

خاتمة سورة النبأ:

قال الله تعالى:﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ۝٣٦ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابًا ۝٣٧ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا ۝٣٨ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ۝٣٩ إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ۝٤٠﴾ [النبأ].

فاتحة سورة النازعات:

قال الله تعالى: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ۝٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ۝٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ۝٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ۝٥ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦﴾ [النازعات].

المطلب الأول: بين يدي سورة النازعات

أولاً: التعريف بالسورة

سورة النازعات هي السورة التاسعة والسبعون حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، وتسمى سورة الساهرة والطامة، وعنونت في «صحيح البخاري» وفي كثير من كتب المفسرين بسورة «والنازعات»[1]، وهي مكية بالاتفاق وعدد آياتها خمس وأربعون عند الجمهور وست وأربعون عند أهل الكوفة، نزلت بعد سورة النبأ وقبل سورة الانفطار[2].

ثانيًا: مقصد السورة

مقصدها بيان أحوال يوم القيامة والاتعاظ بها، والسورة "في سياقها تربي على التقوى"[3]، وذكر الإمام البقاعي في مقاصد السورة أنها "بيان أواخر أمر الإنسان بالإقسام على بعث الأنام، ووقوع القيام يوم الزحام وزلل الأقدام، بعد البيان التام فيما مضى من هذه السور العظام، تنبيهًا على أنه وصل الأمر في الظهور إلى مقام ليس بعده مقام"[4].

وقد اشتملت السورة على إثبات البعث والجزاء، وإبطال إحالة المشركين وقوعه، وتهويل يومه وما يعتري الناس حينئذ من الهول، وإبطال قول المشركين الذي يقول بتعذر الإحياء بعد انعدام الأجساد، وعرض بأن نكرانهم إياه منبعث عن طغيانهم، فكان الطغيان صادًا لهم عن الإصغاء إلى الإنذار بالجزاء، فأصبحوا آمنين في أنفسهم غير مترقبين حياة بعد هذه الحياة الدنيا بأن جعل مثل طغيانهم كطغيان فرعون وإعراضه عن دعوة موسى عليه السلام، وإن لهم في ذلك عبرة، وتسلية لرسول الله ﷺ[5].

---

(1) البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه**، ت: محمد زهير بن ناصر، كتاب: تفسير القرآن، باب: يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجًا، (دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ)، ج6، ص166.

(2) ينظر: البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص153؛ الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص223؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص59؛ سعيد حوى، **الأساس في التفسير**، ج11، ص6353.

(3) سعيد حوى، **الأساس في التفسير**، ج11، ص6355.

(4) البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج21، ص217.

(5) ينظر: الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص59.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة النازعات وخاتمة النبأ ودراستُها

أولًا: أقوال المفسرين

أ. قال الإمام ابن الزبير الغرناطي رحمه الله: "لما أوضحت سورة النبأ حال الكافر في قوله: ﴿...يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ [النبأ:40]، عند نظره ما قدمت يداه، ومعاينته من العذاب عظيم ما يراه، وبعد ذكر تفصيل أحوال وأهوال، أتبع ذلك بما قد كان حاله عليه في دنياه من استبعاد عودته في أخراه، وذكر قرب ذلك عليه سبحانه كما قال في الموضع الآخر ﴿...وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ...﴾ [الروم:27]، وذلك بالنظر إلينا ولما عهدناه، وإلا فليس عنده سبحانه شيء أهون من شيء ﴿...إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس:82]، فقال تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ [النازعات:1][(1)].

ب. جاء في البحر المحيط أنه "لما ذُكر في آخر ما قبلها _ أي في سورة النبأ _ الإنذار بالعذاب يوم القيامة، أقسم في هذه _أي النازعات_ على البعث يوم القيامة[(2)].

ج. قال البقاعي: "لما ذكر سبحانه ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ...﴿٣٨﴾﴾ [النبأ]، ويتمنى الكافر العدم، أقسم أول هذه _ أي النازعات _ بنزع الأرواح على الوجه الذي ذكره بأيدي الملائكة عليهم السلام على ما يتأثر عنه من البعث، وساقه على وجه التأكيد بالقسم؛ لأنهم به مكذبون، فقال تعالى:﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا﴿١﴾﴾ [النازعات]، أي من الملائكة"[(3)].

د. أورد الإمام السيوطي رحمه الله ما ذكره سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما: أن سورة النازعات أتت عقب سورة عم، وأولها يشبه أن يكون قسمًا لتحقيق ما في آخر عم[(4)].

---

(1) الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص356.

(2) أبو حيان، **البحر المحيط**، مج10، ص392، وقد ذكر الآلوسي ما تضمن هذا المعنى رادًّا ذلك إلى البحر، ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص223.

(3) البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، الباب الأول، ج21، ص218.

(4) ينظر: السيوطي، **تناسق الدرر في تناسب الآيات والسور**، ص153.

هـ. ذكر الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله تعالى أن سورة النبأ لم تتكلم عن المقدمات التي تسبق البعث، فجاءت سورة النازعات لتثبت العلامات والأشياء التي تواكب ذلك اليوم من الانقلاب الهائل في الأرض والسماء[1].

ثانيًا: دراسة أقوال المفسرين

اتفق معظم المفسرين المذكورين على أن وجه المناسبة بين فاتحة سورة النازعات وخاتمة سورة النبأ متعلق بذكر سورة النازعات لحال أهل الكفر ونزع أرواحهم، بعد أن تمنوا العدم في خاتمة سورة النبأ، فناسب الإنذارُ في سورة النبأ إثبات البعث في سورة النازعات.

وقد صور الإمام الغرناطي حال الكافر الذي ينتظر العذاب، فأضاف معنى جديدًا، ولم يضف الإمامان أبو حيان والسيوطي أكثر من ذكر قول سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، بأن فاتحة القَسَم في النازعات حققت وعيد خاتمة النبأ.

وانفرد الإمام البقاعي بمعنى جيد خلال ذكر مناسبته، وهو أنَّ الكافر حين بلغ أقصى الأماني في إرجاعه إلى العدم كان ذلك بسبب نزع الملائكة لروحه وما يلاقيه من العذاب يوم القيامة، فناسبت فاتحة السورة لسبب فنائه وإرجاعه ترابًا، مع وجود القَسَم؛ لكون الكافر مكذبًّا به، وفي هذا إشارة إلى أن الكافر الذي يعاني يوم القيامة عليه أن يعلم حقًّا وصدقًا أن يوم القيامة حق.

ثم إنَّ وجه المناسبة الذي ذكره الشيخ الشعراوي هو توجيه مناسبة بين السورتين، لا بين فاتحة سورة وخاتمة ما قبلها، بتبيين ذكر تفصيل في النازعات لم يتم ذكره في سورة النبأ، فتم ذكره في النازعات كبيان مقدمات البعث ونزع أرواح المشركين، وهو وجه جيد من الشيخ عليه رحمة الله.

---

(1) الشعراوي، اليوتيوب قناة nationalq8 عنوان الفيديو: تفسير سورة النازعات كاملة، نقلت حرفيًا من المصدر السابق، وحين رجوعي للكتاب وجدت أنه فصل بشكل أكبر وجه المناسبة وهو من شرح التلاميذ كما بيَّنت ذلك في مقدمة البحث، ينظر: الشعراوي: محمد متولي، **تفسير الشعراوي**، (أخبار اليوم، قطاع الثقافة والكتب والمكتبات، بدون طبعة)، ص15429-15430 .

ومن خلال ما تقدم من أوجه المناسبة فقد ذكر الله عز وجل أهوال يوم القيامة ومآلاتها، وبيَّن سبحانه وتعالى أجر الطائعين، وعقاب الجاحدين، وحين خشعت الأصوات للرحمن بمن فيهم الملائكة تحين وقعة النفخة الأولى حيث يموت جميع الخلائق.

وكأن الآيات الخاتمة لسورة النبأ تتحدث عن رؤية الكافر لعمله قبل الحساب استنادًا لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق:23]، فناسبها نزع الملائكة لأرواح الكفار بشدة؛ ولما كان الحديث عن مصائر الأقوام؛ ناسب ذلك تبيين خروج الروح من الكافر وخروجها من المؤمن إلى وقت النفخة الأولى وموت جميع الخلائق.

المبحث الثالث: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة عبس وخاتمة سورة النازعات

خاتمة سورة النازعات:

قال الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النازعات].

فاتحة سورة عبس:

قال الله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾﴾ [عبس].

المطلب الأول: بين يدي سورة عبس

أولًا: التعريف بالسورة

سورة عبس هي السورة الثمانون حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، وتسمى سورة الصاخة، وسورة السفرة، وسورة الأعمى، وهي مكية بلا خلاف، وعدد آياتها اثنتان وأربعون آية عند أهل المدينة وأهل مكة وأهل الكوفة، وعند أهل البصرة إحدى وأربعون، وعند أهل الشام أربعون[1].

ثانيًا: مقصد السورة

مقصدها دعوة الإنسان إلى النظر في ابتداء خلقه إلى منتهاه، قال الإمام البقاعي رحمه الله: "والمراد الأعظم من هذه السورة هو تزكية القابل للخشية بالتخويف بالقيامة، التي قام الدليل على القدرة عليها بابتداء الخلق من الإنسان، وبكل من الابتداء والإعادة لطعامه، والتعب ممن أعرض مع قيام الدليل، والإشارة إلى أن الاستغناء والترف أمارة الإعراض وعدم القابلية، والتهيؤ للكفر والفجور، وإلى أن المصائب أمارة الطهارة والإقبال، واستكانة القلوب وسمو النفس بشريف الأعمال، واسمها "عبس" هو الدال على ذلك، لتأمل آياته، وتدبر فواصله وغاياته"[2].

ومن مقاصدها "إرشاد الله تعالى لرسوله ﷺ في الموازنة بين مراتب المصالح ووجوب الاستقراء لخفياتها كيلا يفوت الاهتمام بالمهم منها في بادئ الرأي مُهمًا آخَرَ مساويًا في الأهمية أو أرجح، وكذلك الإشارة إلى اختلاف الحال بين المشركين المعرضين عن هدي الإسلام وبين

---

(1) ينظر: البقاعي، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، ج3، ص156؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص101، الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص241. مع زيادات في التحرير والتنوير؛ حيث بيَّن أن ابن العربي في كتابه أحكام القرآن ذكر تسمية السورة بابن أم مكتوم وقال بأنه لم ير ذلك في غيره، وحين عدت للكتاب لم أجد هذه التسمية عنده، ولربما كانت في كتب أخرى غير كتاب أحكام ابن العربي. ينظر: ابن العربي: محمد بن عبد الله المعافري (ت:543هـ)، **أحكام القرآن**، راجعه: محمد عبد القادر عطا، ج4، ص362.

(2) البقاعي، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، ج3، ص157.

المسلمين المقبلين على تتبع مواقعه، وقرن ذلك بالتذكير بإكرام المؤمنين وسمو درجتهم عند الله تعالى، والثناء على القرآن وتعليمه لمن رغب في علمه"[1].

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة عبس وخاتمة النازعات ودراستُها

أولًا: أقوال المفسرين

أ. قال الإمام الغرناطي رحمه الله: "لما قال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴿٢٦﴾﴾ [النازعات]، وقال بعد ذلك ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴿٤٥﴾﴾ [النازعات]؛ افتتحت هذه السورة الأخرى بمثال يكشف عن المقصود من حال أهل التذكر والخشية وجميل الاعتناء الرباني بهم وأنهم وإن كانوا في دنياهم ذوي خمول لا يؤبه لهم فهم عنده سبحانه في عداد من اختاره لعبادته وأهَّلَه لطاعته وإجابة رسوله ﷺ، وأعلى منزلته لديه [ربَّ أشعثَ أغبر لا يُؤبه بِه لَو أقسَمَ عَلى الله لأبرَّه]"[2][3].

ب. قال أبو حيان: "لما ذكر ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴿٤٥﴾﴾ [النازعات]، ذكر في هذه ــ أي عبس ــ من ينفعه الإنذار ومن لم ينفعه الإنذار، وهم الذين كان رسول الله ﷺ يناجيهم في أمر الإسلام كعتبة بن ربيعة وأبي جهل وأبيّ وأمية، ويدعوهم إليه"[4].

---

(1) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص102.

(2) البزار: أحمد بن عمرو العتكي (ت:292هـ)، **مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار**، باب: مسند أبي حمزة أنس بن مالك، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط1، من 1988م، إلى 2009م)، ج13، ص97، رقم6459، وذكر أن هذا الحديث لا يعلم رواه عن حفص إلا أسامة بن زيد وقد روي من وجوه، عن أنس. وقد أخرجه مسلم في صحيحه، بلفظ آخر: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «رُبَّ أَشْعَثَ، مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ». ينظر: مسلم بن الحجاج أبو الحسن، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ**، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، باب فضل الضعفاء والخاملين، ج4، ص2024، رقم2622.

(3) الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص356.

(4) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج10، ص406؛ ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص241، وأضاف في هذا المعنى الشعراوي في تفسيره، ص15465، حين قال: "فإذا نظرنا إلى قول الحق سبحانه وتعالى ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾ [النازعات:45] وجدنا مقابلًا لذلك أن من لا يخشاها لا ينفعه الإنذار، وقد ذكر الزحيلي التشابه بين

ج. قال الإمام البقاعي رحمه الله: "لما قَصَره[1] سبحانه على إنذاره من يخشى، وكان قد جاءه ﷺ عبد الله بن أم مكتوم الأعمى ﷺ، وكان من السابقين، وكان النبي ﷺ حين مجيئه مشتغلاً بدعاء ناس من صناديد قريش إلى الله تعالى، وقد وجد منهم نوع لين، فشرع عبد الله ﷺ يسأله وهو لا يعلم ما هو فيه من الشغل، يسأله أن يقرئه ويعلمه مما عمله الله فكره أن يقطع كلامه مع أولئك خوفاً من أن يفوته منهم ما يرجوه من إسلامهم المستتبع لإسلام ناس كثير من أتباعهم، فكان يعرض عنه ويقبل عليهم، وتظهر الكراهة في وجهه، فلاطفه سبحانه وتعالى بالعتاب عن التشاغل عن أهل ذلك بالتصدي لمن شأنه أن لا يخشى لافتتانه بزينة الحياة الدنيا وإقباله بكليته على ما يفنى، فقال مبيناً لشرف الفقر وعلو مرتبته وفضل أهل الدين وإن هانوا، وخسة أهل الدنيا وإن زانوا، معظماً له ﷺ ... ﴿عَبَسَ ...١﴾ [عبس]"[2].

د. قال الشيخ عبد الحميد الفراهي: "وقد ختم السورة السابقة بقوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا٤٥﴾ [النازعات]، فبيَّن في هذه السورة أنك غير مأمور بالإلحاح على الذين لا يخشون، ولما علم الله أن النبيَّ عليه الصلاة والسلام لغاية رأفته لا يكاد يملك نفسه عن الإلحاح أكثر في القرآن من النهي عنه على طرق شتى، ولما أن القرآن ينتظر الوقائع المناسبة لتعليم الأمور، فأخذ واقعة الأعمى سببًا لصرف النبي ﷺ عن الإصرار الذي لا يليق بشأنه، فأخرج الكلام مخرج التنبيه والعتاب بحسب الظاهر"[3].

ثانيًا: دراسة أقوال المفسرين

السورتين في الموضوعات. ينظر: الزحيلي، وهبة، **التفسير المنير**، (دمشق: دار الفكر، ط2، 1418هـ)، ج30، ص56.

(1) قصرته: حبسته. وهو كالنّازع المقصور: الذي قصره قيده. وقصرت نفسي على هذا الأمر إذا لم تطمح إلى غيره. وقصرت طرفي: لم أرفعه إلى ما لا ينبغي. ينظر: الزمخشري: محمود بن عمرو، **أساس البلاغة**، ت: محمد باسل عيون السود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ)، ج2، ص81.

(2) ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج21، ص250.

(3) الفراهي، **تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان**، ص275.

ذكر الإمام الغرناطي قولًا حسنًا في مناسبة السورتين، وفي الوجه المذكور بيانٌ للميزان الحقيقي عند الله، ففي سورة عبس ذُكر مثالٌ لأهل الخشية ولغيرهم بحيث يتوضح معنى الآيتين الأخيرتين من سورة النازعات.

ومن زاوية مقاربة بيَّن الإمام أبو حيان وجه التناسب فيمن نفعه الإنذار ومن لم ينفعه، ولم يضف الإمام البقاعي على بيان التناسب ما ذكره الأئمة السابقون، سوى ما شرحه من معنى ملاطفة الله تعالى لنبيه ﷺ بذلك العتاب.

وأوضح الشيخ الفراهي المناسبة بين الإنذار لمن يخشى في سورة النازعات، وقصة الصحابي ابن أم مكتوم رضي الله عنه، من خلال إخراج مظهر التنبيه والعتاب.

وقد ظهر لي من خلال ما تقدم من أوجه المناسبة أن هذه الآيات قد بيَّنت فريقين؛ فريقًا يخشى الله تعالى، وفريقًا يجحد به، ففي خاتمة سورة النازعات قد سأل الكفار النبيَّ ﷺ عن وقت حدوث الساعة، وقد أحبَّ النبي ﷺ أن يلاطفهم فيجيبهم بما أرادوا، وقد ناسب هذا الحدث حين أتى صناديد قريش النبي ﷺ، فرأى منهم لينًا واستماعًا، فنبَّه الله تعالى نبيَّه ﷺ في خاتمة سورة النازعات أن الإبلاغ والإنذار الحقيقي لمن خشيَ القيامة وأهوالها ولمن جاء يسعى إليه ﷺ، يطلب الاستزادة في دين الله كسيدنا عبد الله بن أم مكتوم الأعمى رضي الله عنه، وظهر ذلك في بداية سورة عبس، فناسبت خاتمةُ سورة النازعات مطلع ما بعدها، من بيان حال الفريقين في توجههما نحو القضية الكبرى التي يوزن الناس من خلالها وهي إيمانهم باليوم الآخر، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [البقرة]، فأهل الإيمان بالغيب هم أهل الخشية من الله تعالى وأهل مراقبته، وهم من يستحقون أن يُنصَرف لتعليمهم.

المبحث الرابع: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة التكوير وخاتمة سورة عبس

خاتمة سورة عبس:

قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ۝٣٩ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ۝٤٠ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ۝٤١ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ۝٤٢﴾ [عبس].

فاتحة سورة التكوير:

قال الله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ۝١١ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ۝١٤﴾ [التكوير].

المطلب الأول: بين يدي سورة التكوير

أولًا: التعريف بالسورة

سورة التكوير هي السورة الحادية والثمانون حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، مكية بالاتفاق، وهي معدودة السابعة في عداد نزول سور القرآن، نزلت بعد سورة الفاتحة وقبل سورة الأعلى، وعدد آياتها تسع وعشرون، وعند أبي جعفر ثمان وعشرون آية[1].

ثانيًا: مقصد السورة

مقصدها إثبات صدق النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه من أخبار يوم القيامة، وقد ذكر الإمام البقاعي رحمه الله أن مقصدها هو "التهديد الشديد، بيوم الوعيد، الذي هو محط الرحال، لكونه أعظم مقام لظهور الجلال، لمن كذب بأن هذا القرآن تذكرة في صحف مكرمة، بأيدي سفرة. والدلالة على حقيقة كونه كذلك، بأن السفير به أمين في الملأ الأعلى، مكين لمكانته فيما هنالك، والموصل له إلينا منزه عن التهمة، بريء من النقص، لما يعلمونه من حاله قبل النبوة، وما كانوا يشهدون له به من الكمال في صحبته لهم المتطاولة، التي نبههم بالتعليق بها على ما لا يشكُّون فيه من أمره، ولم يأتهم بعدها إلا بما هو شرف له، وتذكير بما في أنفسهم، وفي الآفاق من الآيات"[2].

وقال الإمام ابن عاشور رحمه الله بأن محورها أتى بذكر "تحقيق الجزاء، وإثبات البعث وابتدئ بوصف الأهوال التي تتقدمه، وانتقل إلى وصف أهوال تقع عقبه، وعلى التنويه بشأن القرآن الذي كذبوا به، لأنه أوعدهم بالبعث زيادة لتحقيق وقوع البحث، إذ رموا النبي ﷺ بالجنون والقرآن بأنه يأتيه به شيطان"[3].

ومن مقصدها ما جاءت من "وصف يوم القيامة، ومكانة المبلغ عنه، والحوادث الكونية السماوية والأرضية التي تقع من أول يوم القيامة إلى ساعة الحساب وفصل القضاء"[4].

---

(1) ينظر: البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص160؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص139.

(2) البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص161.

(3) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص139-140.

(4)**س التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ج9، ص47-48.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة التكوير وخاتمة عبس ودراستُها

أولًا: أقوال المفسرين

أ. قال الإمام الغرناطي رحمه الله: "لما قال سبحانه: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ۝٣٣ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ۝٣٤﴾ [عبس] إلى آخر السورة؛ كان مظنة لاستفهام السائل عن الوقوع ومتى يكون؟، فقال تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١﴾ [التكوير]"[1].

ب. ذكر الإمام ابن الزبير الغرناطي مناسبة أخرى أنَّ "وقوع تكوير الشمس وانكدار النجوم وتسيير الجبال وتعطيل العشار، كل ذلك متقدم على فرار المرء من أخيه وأمه وأبيه إلى ما ذكر إلى آخر السورة؛ لاتصال ما ذكر في مطلع سورة التكوير بقيام الساعة فيصح أن يكون أمارة للأول وعلمًا عليه"[2].

ج. قال الإمام النيسابوري رحمه الله: "إنه سبحانه لما ذكر الطامة والصاخة في خاتمتي السورتين المتقدمتين أردفهما بذكر سورتين مشتملتين على أمارات القيامة وعلامات يوم الجزاء"[3].

د. قال الإمام البقاعي رحمه الله: "لما ختمت سورة عبس بوعيد الكفرة الفجرة بيوم الصاخة لجحودهم بما لهذا القرآن من التذكرة، ابتدئت هذه _أي التكوير_ بإتمام ذلك، فصور ذلك اليوم بما يكون فيه من الأمور الهائلة من عالم الملك والملكوت حتى كأنه رأي عين"[4].

ثانيًا: دراسة أقوال المفسرين

يُلاحظ في أقوال المفسرين أني ذكرتُ التناسب عندهم في محور السورة ولم أكتف بنقل تناسب فاتحة السورة لخاتمة ما قبلها، وذلك لارتباط وعمق سورة عبس فيما بينها، وظهر ذلك في نقلي لقول الإمام ابن الزبير الغرناطي رحمه الله، وذكر الإمام النيسابوري التناسب بين عدة

---

(1) الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص358.

(2) المرجع السابق، ص358.

(3) النيسابوري: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي (ت:850هـ)، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ت: الشيخ زكريا عميرات، ج6، ص452.

(4) البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج21، ص275، ينظر: السيوطي، **تناسق الدرر**، ص153.

سور دون التطرق لذكر مناسبة فاتحة سورة التكوير لخاتمة سورة عبس، سوى الإشارة إلى التناسب بين أسماء يوم القيامة في السورتين.

أما الإمام البقاعي فقد أوضح التناسب بين فاتحة سورة التكوير وخاتمة ما قبلها بشكل سهل الفهم، وغير متكلف، إذ صوَّر فاتحة سورة عبس بكونها متممة لما انتهت إليه سورة التكوير، وهو قول مرجح من بين الأقوال الخاصة في أوجه التناسب بين السورتين.

ومن خلال ما تقدم من أوجه المناسبة تبين خاتمة سورة عبس أن حال الناس يوم القيامة يكون بين النور والسرور، وبين الظلمة والسواد؛ حيث ناسب ختامها مطلع سورة التكوير؛ إذ فيها بيان العدل المطلق لله تعالى بتحقيق ما وعده للمؤمنين من نعيم وسرور، بعد هول يوم عظيم، وما وعده للمشركين من جحيم وأسى.

وقد أجابت الآيات في مطلع سورة التكوير عن سؤال يراود الأذهان حين قراءة خاتمة سورة عبس؛ مفاده يتعلق بأهوالِ وأحداثِ يومٍ يُمكِّنُ للعبد تحقيق ذاك السرور والاستبشار بوعد الله تعالى، فناسب ذلك قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير:14]، فحين يدرك الخلائق في ذلك اليوم العظيم الخيرَ الذي أوصلهم إلى عفو الله ومغفرته، والشر الذي أوصلهم إلى غير ذلك؛ ناسب ذكر هذه الآيات بنوع من المقابلة مع ختام سورة عبس، والله أعلم.

المبحث الخامس: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الانفطار وخاتمة سورة التكوير

خاتمة سورة التكوير:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير].

فاتحة سورة الانفطار:

قال الله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾﴾ [الانفطار].

المطلب الأول: بين يدي سورة الانفطار

أولًا: التعريف بالسورة

سورة الانفطار هي السورة الثانية والثمانون حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، وهي مكية بالاتفاق، عدد آياتها تسع عشرة آية، وتسمى سورة انفطرت، وسورة المنفطرة، وسورة الانفطار في المصحف ومعظم التفاسير، وسميت «سورة إذا السماء انفطرت»، وبهذا الاسم عنونها البخاري في كتاب التفسير من «صحيحه»[1]، نزلت بعد سورة النازعات وقبل سورة الانشقاق[2].

ثانيًا: مقصد السورة

مقصدها الإذعان والخضوع للخالق الآمر سبحانه، وقال الإمام البقاعي: "مقصودُها هو التحذير من الانهماك في الأعمال السيئة اغترارًا بإحسان الرب وكرمه، ونسياناً ليوم الدين، الذي يحاسب فيه على النقير والقطمير، ولا تغني فيه نفس عن نفس شيئًا، واسمها {الانفطار} أدل ما فيها على ذلك"[3].

ومن مقاصد هذه السورة الجليلة "إثبات البعث، وذكر أهوال تتقدمه، وإيقاظ المشركين للنظر في الأمور التي صرفتهم عن الاعتراف بتوحيد الله تعالى، وعن النظر في دلائل وقوع البعث والجزاء، والإعلام بأنَّ الأعمال مُحصاة، وبيان جزاء الأعمال خيرها وشرها، وإنذار الناس بأن لا يحسبوا شيئًا ينجيهم من جزاء الله إياهم على سيئ أعمالهم"[4]، ومن مقاصدها الاستدلال بالسنن الكونية في خلق الإنسان[5]. لذا فمقصدها المتفق عليه هو الإيقاظ وعدم الانهماك بالنظر إلى المآلات، اهتداءً بالسنن الكونية في خلق الإنسان، والخضوع لخالقه.

---

(1) **صحيح البخاري**، كتاب التفسير، باب (يوم ينفخ في الصور)، ج6، ص167.

(2) ينظر: البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص164؛ الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، 267؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص169؛ سعيد حوى، **الأساس في التفسير**، ج11، 6404.

(3) البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص165.

(4) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص169-170.

(5) ينظر: **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ج9، ص55.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة الانفطار وخاتمة التكوير ودراستُها

أولًا: أقوال المفسرين

أ. ذكر الإمام ابن الزبير الغرناطي أن سورة الانفطار شبيهة بسورة التكوير، حتىٰ صوَّر حالها كأنها متممة للسورة، مبيِّنًا سبب ذلك من اتحاد القصد والاتصال الواضح[1].

ب. قال الإمام البقاعي: "ولما ختمت التكوير بأنه سبحانه لا يخرج عن مشيئته وأنه موجد الخلق ومدبرهم، وكان من الناس من يعتقد أن هذا العالم هكذا بهذا الوصف لا آخر له «أرحام تدفع وأرض تبلع ومن مات فات وصار إلىٰ الرفات ولا عود بعد الفوات»[2] افتتح الله سبحانه هذه بما يكون مقدمة لمقصد التي قبلها من أنه لا بد من نقضه لهذا العالم وإخرابه ليحاسب الناس فيجزي كلاً منهم من المحسن والمسيء بما عمل"[3].

ج. قال الإمام ابن عاشور: "الافتتاح بـ (إذا) افتتاح مشوق لما يرد بعدها من متعلقها الذي هو جواب ما في (إذا) من معنىٰ الشرط كما تقدم في أول سورة إذا الشمس كورت، سوىٰ أن الجمل المتعاطفة المضاف إليها هي هنا أقل من اللاتي في سورة التكوير؛ لأنَّ المقام لم يقتض تطويل الإطناب كما اقتضاه المقام في سورة التكوير وإن كان في كلتيهما مقتض للإطناب لكنه متفاوت لأن سورة التكوير من أول السور نزولًا، وأما سورة الانفطار فبينها وبين سورة التكوير أربع وسبعون سورة تكرر في بعضها إثبات البعث والجزاء والإنذار وتقرر عند المخاطبين فأغنىٰ عن تطويل الإطناب والتهويل"[4].

د. ذكر الإمام الآلوسي أن المناسبة معلومة، ولم يشرع في تفصيلها وبيانها[5].

---

(1) ينظر: الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص358.

(2) نُسِبَ هذا الاعتقاد لفرقة تسمىٰ الدهرية. ينظر: ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر (774هـ)، **البداية والنهاية**، ت: علي شيري، (دار إحياء التراث العربي، ط1، 1408هـ)، ج1، ص143.

(3) البقاعي، **نظم الدرر**، باب رقم1، ج3، ص298.

(4) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص170.

(5) ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص267.

هـ. قال الشيخ الغماري: "تتناسب مع سابقتها _أي التكوير_ في وصف يوم القيامة وصفًا تنخلع له النفوس، وتلاحقها صوره ومشاهده في صورة إنذار بالغ"[1].

ثانيًا: دراسة أقوال المفسرين

أحال الإمام الغرناطي التناسب إلى تشبيه السورة بسورة التكوير من حيث تمامها، وكمال المعنى المتعلق بها، وهو إثبات البعث، وذكر أهواله.

وقد فصَّل الإمام البقاعي في بيانِ وجه المناسبة؛ إذ بيَّن أن المشيئة الإلهية المذكورة في ختام سورة التكوير والدعاوى التي أطلقها أهل الشرك من أنه لا يبعث الإنسان بعد موته مناسبةٌ لفاتحة سورة الانفطار، وهو وجه حسنٌ للسورة، خاصةً وأن دلالة مصطلح [الانفطار] يشير إلى معنى يريد الله سبحانه وتعالى إيصال مدلوله لعباده، بأن العبد مخير في طريقه المكتوب في علم الله، فإن أراد خيرًا أو شرًّا فليتجهز ليومٍ تنفطر فيه السماء فينكشف لكل ذي حجر ما كان من أمره في الدنيا؛ إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

وقد ذكر الشيخ الغماري التناسب مع سورة التكوير من خلال صور يوم القيامة، بيد أن صاحب التحرير والتنوير قد بيَّن بشكل مفصل الفرق بين السورتين، إذ إن الجمل المتعاطفة في سورة الانفطار أقل من الجمل في سورة التكوير؛ وأرجع السبب إلى أن المقام لم يقتض تطويل الإطناب كما هو الحال في سورة التكوير، وإن كان في كلتيهما مقتض للإطناب لكنَّه متفاوت؛ لأنَّ سورة التكوير من أول السور نزولًا، وأما سورة الانفطار فبينها وبين سورة التكوير أربع وسبعون سورة تكرر في بعضها إثبات البعث والجزاء والإنذار، وتقرر عند المخاطبين، فأغنى عن تطويل الإطناب والتهويل.

من خلال ما تقدم من أوجه المناسبة ظهر لي، أنه تعالى كما أرى رسوله ﷺ سيدَنا جبريل عليه السلام وهو سادٌّ كل الأفق، فهو قادرٌ على انفطار السماء وانتثار الكواكب.

(1) الغماري، **جواهر البيان**، ص177.

ثم إنَّ أهل الكفر والجحود لعالمون بحال حسابهم يوم القيامة فيما قالوه عن النبي ﷺ، وتكذبيهم للذكر التي أرسله الله تعالى إليه، فناسب تكذبيهم واتهامهم[1] في خاتمة سورة التكوير بيان حسابهم وعلمهم بما تقوَّلوه في سورة الانفطار.

ولما جاء مدح النبي ﷺ في ختام سورة التكوير، وذِكْر فضائله ﷺ في حفظه صلوات ربي وتسليماته عليه لرسالة الله تعالى ناسب ذلك بيان حال النفس يوم القيامة من اتباعها للنبي ﷺ، "وما قدمت من خير، وأخَّرت من حق الله عليها لم تعمل به"[2].

(1) قال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝٢٤﴾ [التكوير]، قَرَأَ ابْن كثير وَأَبُو عَمْرو والكسائي (بظنين) بالظاء، وَقَرَأَ نَافِع وَعَاصِم وَابْن عَامر وَحَمْزَة (بضنين) بالضاد. ينظر: البغدادي، ابن مجاهد (ت:324هـ)، **السبعة في القراءات**، ت: شوقي ضيف، (مصر: دار المعارف، ط2، 1400هـ)، ص673؛ بمعنى أنه غير متهم فيما يخبرهم عن الله من الأنباء. ينظر: الطبري، **جامع البيان**، ج24، ص260.

(2) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: محمود شاكر، باب1، ج24، ص268.

المبحث السادس: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة المطففين وخاتمة سورة الانفطار

خاتمة سورة الانفطار:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ١٤ يَصۡلَوۡنَهَا يَوۡمَ ٱلدِّينِ ١٥ وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ ١٦ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٨ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ١٩﴾ [الانفطار].

فاتحة سورة المطففين:

قال الله تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾ [المطففين].

المطلب الأول: بين يدي سورة المطففين

أولًا: التعريف بالسورة

سورة المطففين هي السورة الثالثة والثمانون حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، سميت هذه السورة في كتب السنة وفي بعض التفاسير «سورة ويل للمطففين»، وسميت سورة المطففين اختصارًا[1].

واختلف العلماء في كونها مكية أو مدنية فعن ابن مسعود والضحاك ومقاتل في رواية عنه أنها مكية، وعن الحسن وعكرمة أنها مدنية[2]، خاصةً وأنها نزلت بين مكة والمدينة في طريق الهجرة المباركة، واختار الطاهر ابن عاشور الرأي القائل بأنها نزلت قبل الهجرة؛ وذلك لأنَّ معظم ما اشتملت عليه التعريض بمنكري البعث[3]، وبعد مراجعة المسألة بين أقوال الصحابة والتابعين، وتبعًا لما ذكره الإمام ابن عاشور، فإنه يمكن للسورة أن تصلح للجمع؛ فمن قال أنها مكية فهي لأنها آخر ما نزلت في مكة، ومن قال بأنها مدنية فهي لأنها أول ما نزلت بالمدينة[4].

ثانيًا: مقصد السورة

مقصدها بيان العذاب للظالمين وإيراد الجزاء للمحسنين، ومن مقاصدها "شرح آخر الانفطار بأنَّه لا بد من دينونة العباد يوم التناد بإسكان الأولياء أهل الرشاد دار النعيم، والأشقياء أهل الضلال والعناد غار الجحيم، ودل على ذلك بانه مربيهم، والمحسن إليهم بعموم النعمة، ولا يتخيل عاقل أن أحدا يربي أحدا من غير سؤال عما حمله إياه وكلفه به، ولا أنه لا ينصف بعض من يربيهم من بعض، واسمها التطفيف أدل ما فيها على ذلك"[5].

---

(1) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص187.

(2) ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص273، ينظر: سعيد حوى، **الأساس في التفسير**، ج11، ص6417. ولم يذكر هذا الخلاف مع كونه معتبرًا؛ واكتفى بذكر مكيتها، ثم حينما بدأ بالنفل عن الآلوسي ذكر الخلاف

(3) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج3، ص187.

(4) وقد ذكر ابن عاشور لطيفة في هذا الباب حين قال: " ومن اللطائف أن تكون نزلت بين مكة والمدينة لأن التطفيف كان فاشيًا في البلدين". ينظر: **التحرير والتنوير**، ج30، ص187.

(5) البقاعي، **نظم الدرر**، ج21، ص310.

وأشار سيد قطب رحمه الله إلى أنَّ "هذه السورة تصوِّر قطاعًا من الواقع العملي الذي كانت الدعوة تواجهه في مكة إلى جانب ما تستهدفه من إيقاظ القلوب، وهز المشاعر، وتوجيهها إلى هذا الحدث الجديد في حياة العرب وفي حياة الإنسانية، وهو الرسالة السماوية للأرض، وما تتضمنه من تصور جديد شامل محيط"[1]، وتحدثت السورة عن "الجرائم الاقتصادية ورصد الله للاعبين باقتصاد المسلمين وعقابهم"[2].

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة المطففين وخاتمة الانفطار ودراستُها

أولًا: أقوال المفسرين

أ. قال الإمام الرازي رحمه الله: "اعلم أن اتصال أول هذه السورة بآخر السورة المتقدمة ظاهر؛ لأنه تعالى بيَّن في آخر تلك السورة أنَّ يوم القيامة يوم من صفته أنه لا تملك نفس لنفس شيئًا والأمر كله لله، وذلك يقتضي تهديدًا عظيمًا للعصاة، فلهذا أتبعه بقوله: ويلٌ للمطففين"[3].

ب. قال صاحب البحر رحمه الله: "لما ذكر تعالى السعداء والأشقياء ويوم الجزاء وعظم شأن يومه، ذكر ما أعد لبعض العصاة، وذكرهم بأخس ما يقع من المعصية، وهي التطفيف الذي لا يكاد يجدي شيئًا في تثمير المال وتنميته"[4].

ج. قال الإمام النسيابوري رحمه الله: "إنه سبحانه لما ذكر في السورة المتقدمة بعض أشراط الساعة وأخبر عن طرف من أحوالها وأهوالها صدّر هذه السورة بالنعي على قوم آثروا الحياة الزائلة على الحياة الباقية، وتهالكوا في الحرص على استيفاء أسبابها حتى اتسموا بأخس السمات وهي التطفيف"[5].

---

(1) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، ص3854.

(2) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج9، ص65.

(3) الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت:606هـ)، **مفاتيح الغيب**، ج31، ص82، وقد نقل منه الزحيلي، ينظر: **التفسير المنير**، ج30، ص109.

(4) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج10، ص426، وقد نقل منه الآلوسي، ينظر: روح المعاني، ج15، ص273.

(5) النيسابوري، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ج6، ص462.

د. قال الإمام البقاعي رحمه الله: "ولما ختم الانفطار بانقطاع الأسباب وانحسام الأنساب يوم الحساب، وأبلغ في التهديد بيوم الدين وأنه لا أمر لأحد معه، وذكر الأشقياء والسعداء، وكان أعظم ما يدور بين العباد المقادير، وكانت المعصية بالبخس فيها من أخس المعاصي وأدناها، حذر من الخيانة فيها، وذكر ما أعد لأهلها، وجمع إليهم كل من اتصف بوصفهم فحمله وصفه على نوع من المعاصي، كل ذلك تنبيهاً للأشقياء الغافلين على ما هم فيه من السموم الممرضة المهلكة، ونبه على الشفاء لمن أراده"[1].

ثانيًا: دراسة أقوال المفسرين

اتفق المفسرون على أن وجه التناسب بين السورتين هو مناسبة البخس الذي يعدُّ من كبائر المعاصي، مع ما قبله من إيراد الله تعالى ليوم لا تملك فيه النفس شيئًا؛ لأن الله وحده هو صاحب الملك، وصاحب الحساب، جلَّ جلال الله.

وقد وجَّه الإمامُ الرازي التناسبَ إلى أنَّ أمر التطفيف ما هو إلا مثالٌ وتهديد للعصاة في الدنيا، وتنبيه وتحذير من اليوم الذي لا تملك فيه نفس لنفسٍ شيئًا، وانفرد بذلك عن باقي المفسرين الذين فصَّلوا في وجه التناسب بين السورتين فأجادوا، كما هو الحال عند الإمام أبي حيان، إذ أبرز وجه التناسب من خلال بيان عاقبة العصاة المكذبين في سورة المطففين، بعد ذكره تعالى في سورة الانفطار لأهل الإيمان والكفر، وعظيم شأن يوم القيامة.

ومن خلال ما تقدم من أوجه المناسبة يظهر لي أنه لما ذكر الله تعالى أنَّ الأمر له يوم القيامة؛ لم يمنع ذلك أنَّ الأمر له في الدنيا، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾ [الزخرف]، واسم الموصول المعرَّف دلالة على ذلك[2]، فالسماء دلالة

(1) البقاعي، **نظم الدرر**، ج21، ص311.

(2) يرتبط اسم الموصول وهو اسم معرفة بصلة موصول وهو (الإله) فهو مرتبط بمعرفة وهو الواحد سبحانه وتعالى. ذكر ذلك المعنى الشعراوي في إحدى تأملاته التفسيرية ضمن قصة جميلة مع شيخ الأزهر آنذاك، إذ سأله شخص عن تفسير هذه الآية فتفكر هو ومن معه بالإجابة، فدخل رجلٌ لا يُعرف من قبل ولم ير بعد ذلك وأشار إليهم باسم الموصول وذهب. ينظر: **تفسير الشعراوي**، قناة اليوتيوب، تفسير قوله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰه وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيم﴾ [الزخرف:84]. ويستفاد بالاستشهاد من هذه القصة أن اسم الموصول (الذي) حل معضلة عدم إمكانية الجمع بين لفظ (إله) في الآية السابقة، وهو بذلك إشارة إليه وحده سبحانه لا شريك له.

على الآخرة وأحوالها، والأرض دلالة على الدنيا وعقباتها، فسخَّر الله تعالى الكونَ للإنسان؛ ولا يظنَّ هذا العبد أنَّ الله تعالى لن يحاسبَه حين يتجبرُ في الدنيا، فيظلم في أعظم المعاملات بين البشر وهو الوزن بينهم، فيشطط ويبخس بين الناس، فناسب بيان اليوم الذي لا يملك فيه أحدٌ التصرف فيه مطلعَ حال أهل النفاق بظنِّهم حين ظلمهم في الوزن أنَّ الله لن يقدرَ عليهم، فذكَّرهم باليوم العظيم.

وكما أنَّ حال أهل الميزان الحقِّ في الدنيا مع الأبرار في الجنة؛ كذا حال أهل الظلم في الكيل مع الفجار في الجحيم، أعاذنا الله وإياكم منها.

المبحث السابع: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الانشقاق وخاتمة سورة المطففين

خاتمة سورة المطففين:

قال الله تعالى: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ٣٤ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٣٥ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٣٦﴾ [المطففين].

فاتحة سورة الانشقاق:

قال الله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ١ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ٢ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ٣ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ٤ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ٥﴾ [الانشقاق].

المطلب الأول: بين يدي سورة الانشقاق

أولًا: التعريف بالسورة

سورة الانشقاق هي السورة الرابعة والثمانون حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، وهي مكية بلا خلاف، نزلت بعد سورة الانفطار وقبل سورة الروم، عدد آياتها خمسٌ وعشرون بالمدينة ومكة والكوفة عند أهل العد، وعدها أهل البصرة والشام ثلاثًا وعشرين[1].

ثانيًا: مقصد السورة

مقصدها "تصوير القيامة باستلام الكون وخضوعه لربه في أمره إلزامًا بالاستسلام واستنكارًا بالجحود"[2]، وإثبات البعث، وأحوال الطائعين والمستكبرين.

وقال الإمام البقاعي رحمه الله: "ومقصدها الدلالة على آخر المطففين، من أن الأولياء ينعمون، والأعداء يعذبون، لأنهم كانوا لا يقرون بالبعث والعرض على الملك الذي أوجدهم ورباهم، كما يعرض الملوك عبيدهم، ويحكمون بينهم، فينقسمون إلى أهل ثواب، وأهل عقاب واسمها [الانشقاق] دالٌّ على ذلك"[3].

وقال الإمام ابن عاشور رحمه الله في مقصد سورة الانشقاق: إنها تتحدث عن "حلول يوم البعث، واختلاف أحوال الخلق يومئذ بين أهل نعيم وأهل شقاء"[4].

وأوضحت موسوعة التفسير أن مقصد سورة الانشقاق متعلق بالساعة وما يتصل بها[5].

---

(1) ينظر: ابن عطية: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت:542هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، ج5، ص456؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص217.

(2) فايز السريح، **معالم السور**، ص400.

(3) البقاعي، **مصاعد النظر في الإشراف على مقاصد السور**، ج3، ص172.

(4) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص217.

(5) **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ج9، ص74.

المطلب الثاني: دراسة أقوال المفسرين بين فاتحة الانشقاق وخاتمة المطففين ودراستها

أولًا: أقوال المفسرين

أ. قال صاحب الكشاف رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ [الانشقاق:1]: "حذف جواب إذا ليذهب المقدّر كل مذهب، أو اكتفاء بما علم في مثلها من سورتي التكوير والانفطار"[1].

ب. قال الإمام ابن الزبير الغرناطي رحمه الله: "لما تقدم في الانفطار التعريف بالحفظة وإحصائهم على العباد في كتبهم، وعاد الكلام إلى ذكر ما يكتب على البر والفاجر واستقرار ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ كتابَ الأبرارِ لَفِي عِلِّيين﴾ [المطففين:18]، وقوله: ﴿...إنَّ كتابَ الفجارِ لَفِي سِجِّين﴾ [المطففين:7]، أتبع ذلك بذكر التعريف بأخذ هذه الكتب في القيامة عند العرض، وأن أخذها بالأيمان عنوان السعادة، وأخذها وراء الظهر عنوان الشقاء، إذ قد تقدم في السورتين قبل ذكر الكتب واستقرارها بحسب اختلاف مضمناتها فمنها في عليين ومنها في سجين إلى يوم العرض فيؤتى كل كتابه فآخذ بيمينه وهو عنوان سعادته، وآخذ وراء ظهره وهو عنوان هلاكه، فتحصل الإخبار بهذه الكتب ابتداء واستقرارًا وتفريقًا يوم العرض، وافتتحت السورة بذكر انشقاق السماء، ومد الأرض وإلقائها ما فيها وتخليها، تعريفًا بهذا اليوم العظيم بما يتذكر به من سبقت سعادته والمناسبة بيّنة"[2].

ج. قال الإمام البقاعي رحمه الله: "لما ختمت التطفيف بأن الأولياء في نعيم، وأنَّ الأعداء في جحيم ثواباً وعقاباً، ابتدأ هذه بالإقسام على ذلك فقال: ﴿إِذَآ السَّمَاءُ﴾ [الانشقاق:1] أي على ما لها من الإحكام والعظمة والحكمة الذي لا يقدر على مثلها غيره جلت قدرته"[3].

---

(1) الزمخشري: جار الله، أبو القاسم محمود بن عمرو (ت: 538هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، 1407هـ) ج4، ص725. وسأبين وجه التناسب في الفقرة الثانية للمطلب.

(2) الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص359-360.

(3) البقاعي، **نظم الدرر**، ج21، ص335.

د. ذكر الشيخ المراغي مناسبةَ سورة الانشقاق لما قبلها هو ذكر مقر كتب الحفظة في المطففين، وذكر عرضها يوم القيامة[1].

هـ. بين الشيخ سعيد حوى أن وجه المناسبة جليٌّ بين خاتمة وفاتحة السورتين؛ لأنَّ سورة المطففين تتكلم عن استهزاء المجرمين بالمؤمنين، وعاقبتهم، وسورة الانشقاق تتحدث عمن يأخذ كتابه بيمينه، وعمن يأخذ كتابه بشماله[2].

و. ذكر بعض المفسرين أن المناسبة لما قبلها واضحة بأنها وصفٌ لأحوال يوم القيامة[3].

ثانيًا: دراسة أقوال المفسرين

في قول صاحب الكشاف: "اكتفاء بما عُلم في مثلها" إشارة إلى وجود تناسب وترابط بينهما، إذ أتى بأمثلة من السور التي قبلها، وهذا من التناسب الموضوعي بين السور.

وتابعه بذلك الإمام الغرناطي، حيث بيَّن أن سورة الانشقاق جاءت تعريفًا بيوم القيامة، فناسب ذكرها بيان حال السعداء في ذاك اليوم من سورة المطففين.

وأرجع الإمام البقاعي المناسبة إلى بيان التعريف بهذا اليوم العظيم بما كان في السورة السابقة، وقد كان التناسب موضوعيًا؛ لأنه لم يتطرق إلى خاتمة سورة المطففين مباشرة، وإنما إلى ما قبلها، وعلى هذا سار الشيخ المراغي ومن بعده.

ومن خلال ما تقدم من أوجه مناسبة سورة الانشقاق لخاتمة ما قبلها أقول: إن ما يظهر للكافر من كفره في الدنيا هو إلحاده وإشراكه بالله تعالى، وهذه السماء التي نراها ولا يستطيع أحد من البشر الوصول إليها كانت من مظاهر إلحاده؛ إذ جعل الملاحدة منشأها من فعل الطبيعة، أو من حركة الكواكب والنجوم؛ رغم أنه لا يطالها ولم يتمكن من معرفة

---

(1) ينظر: المراغي: أحمد بن مصطفى (ت1371هـ)، **تفسير المراغي**، (مطبعة مصطفى البابي، ط1، 1365هـ)، ج30، ص87.

(2) ينظر: سعيد حوى، **الأساس في التفسير**، ج11، ص6437.

(3) قال صاحب البحر أن المناسبة ظاهرة. ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج10، ص434، ونقل الآلوسي المناسبة عن السيوطي. ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص286. وقال الغماري: إنها تناسب سابقتها مناسبة موضوعية. ينظر: الغماري، **جواهر البيان**، ص143. وذكر الزحيلي أن المناسبة في وصف أحوال القيامة، ينظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، ج30، ص95.

كنهها، لذا ختم الله تعالى سورة المطففين بجزاء الكافرين وابتدأ بذكر مخلوقات عظيمة كالسماء، والأرض، وهما مظهران من مظاهر نكران الكافر للخالق سبحانه وتعالى.

لقد ختم الله جل في علاه سورة المطففين حول إثابة الكافرين بالجزاء على ما فعلوه من مفاسد أعظمها الشرك بالله تعالى، ثم كان مطلع سورة الانشقاق بتلك السماء التي ألحد بخالقها ومنشئها الجاحدون حين يرونها تنشق، فتكشف الحقيقة الكبرى التي حادوا عنها؛ ألا وهي الانقياد الكامل لربها سبحانه وتعالى، فناسب هذا التهديد تذكيرَهم بذاك اليوم العظيم الذي تتهدم فيه السماء وتنقاد، وتنبسط الأرض كالأديم فتُخرِجُ ما في جوفها فتقذفه خاضعةً ذليلةً لله تعالى، وهذا من قبيل التناسب بين مفردات خاتمة سورة المطففين ومفردات فاتحة سورة الانشقاق، والله أعلم.

المبحث الثامن: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة البروج وخاتمة سورة الانشقاق

خاتمة سورة الانشقاق:

قال الله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۝٢١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ۝٢٢ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ۝٢٣ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٢٥﴾ [الانشقاق].

فاتحة سورة البروج:

قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩﴾ [البروج].

المطلب الأول: بين يدي سورة البروج

أولًا: التعريف بالسورة

سورة البروج هي السورة الخامسة والثمانون حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، وهي مكية بالاتفاق، وعدد آياتها اثنتان وعشرون آية، نزلت بعد سورة «والشمس وضحاها» وقبل سورة «التين»[1].

ثانيًا: مقصد السورة

مقصدها "إظهار قوة الله تعالى وإحاطته الشاملة وتوعده للمتربصين بالمؤمنين بالعذاب الشديد"[2]، والسورة فيها تسلية النبي ﷺ وأصحابه عن إيذاء الكفار، وذلك من خلال تبيين الله تعالى أنَّ سائر الأمم السالفة كانوا كذلك مثل أصحاب الأخدود ومثل فرعون ومثل ثمود، وختم ذلك بأنْ بيَّن أن كل الكفار كانوا في التكذيب[3]، وتابع بذلك الإمام البقاعي بمحور هذا المقصد فذكر أنها جاءت تسلية لقلوب المؤمنين، وتثبيتاً لهم على أذى الكفار، وعلى ذلك دل اسمها "البروج" بتأمل القَسَم، والمقسم عليه[4].

وقال الإمام ابن عاشور رحمه الله بأن من أغراضها: ضرب المثل تثبيتًا للمسلمين وتصبيرًا لهم على أذى المشركين، وتذكيرهم بما جرى على سلفهم في الإيمان من شدة التعذيب، وإشعار المسلمين بأن قوة الله عظيمة[5] .

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة البروج وخاتمة الانشقاق ودراستُها

أولًا: أقوال المفسرين

---

(1) ينظر: البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص175؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص236.

(2) فايز السريح، **معالم السور**، ص403.

(3) ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج31، ص106.

(4) ينظر: البقاعي، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، ج3، ص176.

(5) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص236-237.

أ. قال صاحب البحر: "لما ذكر أنَّه تعالى أعلم بما يجمعون للرسول ﷺ وللمؤمنين من المكر، والخداع، وإذاية من أسلم بأنواع من الأذى، كالضرب، والقتل، والصلب، والحرق بالشمس، وإحماء الصخر، ووضع أجساد من يريدون أن يفتنوه عليه ذكر أن هذه الشنشنة[1] كانت فيمن تقدم من الأمم يعذبون بالنار، وأن أولئك الذين أعرضوا على النار كان لهم من الثبات في الإيمان ما منعهم أن يرجعوا عن دينهم أو يحرموا، وأن أولئك الذين عذبوا عباد الله ملعونون، فكذلك الذين عذبوا المؤمنين من كفار قريش ملعونون. فهذه السورة عِظة لقريش وتثبيت لمن يعذب"[2].

ب. قال الإمام النيسابوري رحمه الله: "لما أخبر في خاتمة السورة المتقدمة أنَّ في الأمة مكذبين سلَّى نبيه ﷺ بأن سائر الأمم السالفة كانوا كذلك كأصحاب الأخدود وكفرعون وثمود"[3].

ج. قال الإمام البقاعي رحمه الله: لما ختم تلك _أي الانشقاق_ بثواب المؤمن وعقاب الكافر والاستهزاء به بعد أن ذكر أنه سبحانه أعلم بما يضمر الأعداء من المكر وما يرومون من الأنكاد[4] للأولياء وتوعدهم بما لا يطيقون، وكانوا قد عذبوا المؤمنين بأنواع العذاب واجتهدوا في فتنة من قدروا عليه منهم، وبالغوا في التضييق عليهم حتى ألجؤوهم إلى شعب أبي طالب وغيره من البروج في البلاد، ومفارقة الأهل والأولاد، ابتدأ سورة البروج بما أوقع بأهل

---

(1) جاء في تهذيب اللغة: "..والشِّنشِنَةُ قد تكون كالْمُضْغَة أَو القِطعَة تُقْطَع من اللّحم، قَالَ: وَقَالَ غيرُ وَاحِد: بل الشِّنشِنَةُ مِثلُ الطّبيعة والسَّجِيَّة.."، والقول الثاني هو المعنى المراد الذي قصده أبو حيان؛ إذ إنه لما ذكر سجية وطبيعة التعذيب التي كانت فيمن تقدم من الأمم ناسب ذلك تعذيب كفار قريش لأهل الإيمان. ينظر: الهروي: محمد بن أحمد الأزهري (ت370هـ)، **تهذيب اللغة**، ت: محمد عوض مرعب، (بيروت: دار إحياء التراث، ط1، 2001م)، ج11، ص192؛ وينظر أيضًا: الرازي: أحمد بن فارس (ت:395هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، ت: عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر، 1979م)، ج3، ص176؛ الرازي: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت:666هـ)، **مختار الصحاح**، ت: يوسف الشيخ محمد، (بيروت: المكتبة العصرية، ط5، 1999م) ص169.

(2) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج10، ص442. ينظر: **تفسير المراغي**، ج30، ص97.

(3) النيسابوري، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ج6، ص474.

(4) باب نكد: نَكِدَ عيشُهم بالكسر يَنْكَدُ نَكَداً: أي اشتدَّ، ونَكِدَتِ الرَكِيَّةُ: قلَّ ماؤها. ورجلٌ نَكِدٌ، أي عَسِرٌ. وقومٌ أنْكادٌ ومَناكيدٌ. ينظر: الجوهري الفارابي: أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت: 393هـ)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، ت: أحمد عبد الغفور عطار، (بيروت: دار العلم للملايين، ط4، 1407هـ)، ج2، ص545.

الجبروت، ممن تقدمهم على وجه معلم أن ذلك الإيقاع منه سبحانه قطعاً، ومعلم أن الماضين تجاوزوا ما فعل هؤلاء إلى القذف في النار، وأن أهل الإيمان ثبتوا، وذلك لتسلية المؤمنين وتثبيتهم، وتوعيد الكافرين وتوهيتهم[1] وتفتيتهم، فقال مقسماً لأجل إنكارهم وفعلهم في التمادي في عداوة حزب الله فعل المنكر أن الله ينتقم لهم بما يدل على تمام القدرة على القيامة: ﴿والسَّمَاء﴾[2].

د. قال الإمام السيوطي رحمه الله في سورتي البروج والطارق: "هما متآخيتان فقرنتا، وقدمت الأولى لطولها، وذكرا بعد الانشقاق للمؤاخاة في الافتتاح بذكر السماء؛ ولهذا ورد في الحديث ذكر السموات مرادًا بها السور الأربع، كما قيل: المسبحات"[3] .

هـ. قال الإمام الآلوسي رحمه الله: "ووجه مناسبتها لما قبلها باشتمالها كالتي قبل على وعد المؤمنين ووعيد الكافرين مع التنويه بشأن القرآن وفخامة قدره"[4].

و. وقد ذكر الغماري رحمه الله بأنها تناسب سابقتها في ذكر يوم القيامة[5] .

ثانيًا: دراسة أقوال المفسرين

اتفق المفسرون السابقون أنَّ وجه المناسبة بين السورتين هي ذكر يوم القيامة وبيان الحال والمآل للكافر والمؤمن، وفصَّل بذلك الإمام البقاعي في بيان عرض تسلية القرآن الكريم لقلوب المؤمنين وتثبيتهم بأن الله كما أنجز وعده في الغابرين فإنه منجزٌ وعدَه في الباقين.

---

(1) (وَهَى) الْحَائِطُ إِذَا ضَعُفَ وَهَمَّ بِالسُّقُوطِ. ينظر: الرازي، **مختار الصحاح**، ص346.

(2) ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج21، ص352-353.

(3) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (ت:241هـ)، ت: أحمد محمد شاكر، (القاهرة: دار الحديث، ط1، 1416هـ)، ج8، ص280، عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ أمر أنْ يقرأ بالسموات في العشاء؛ يعني: السور الأربع المفتتحة بذكر السماء، وقد علَّق أحمد شاكر على إسناد الحديث بأنه ضعيف، وذلك لضعف أبي المهزم أحد رواة الحديث. ينظر: ابن حجر: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني (ت:852هـ)، **تهذيب التهذيب**، (الهند: مطبعة دار المعارف النظامية، ط1، 1326هـ)، باب من كنيته أبو المهدي وأبو المهزم، ج12، ص249.

(4) الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص294.

(5) الغماري، **جواهر البيان**، ص177.

وذكر الإمام السيوطي أن سورتي البروج والطارق قد تقدمتهما سورة الانشقاق للمؤاخاة بالافتتاح بذكر السماء وهذا وجه طيب، إلا أن تعليله بتقديم سورة البروج على الطارق لطول الأولى فهو تعليل ليس بمحله؛ وذلك لأننا نجد تقدم بعضٍ من سور القرآن الكريم القصيرة على الطويلة، إضافةً إلى أن ما قاله الإمام لا يندرج بشكل رئيس في محور البحث؛ إذ إنه جنح بذلك إلى التناسب بين فواتح السور والله أعلم.

ومما يظهر لي من وجه مناسبة فاتحة سورة البروج أنَّ تجلي عظمةِ السماء يستدعي ذلَّ العبدِ لمولاه؛ فبعد سؤال الإنكار الذي أتى في معنى النفي في خواتم سورة الانشقاق أتى معنى الإيمان والتذلل والسجود لله تعالى حسًّا ومعنىً في فاتحة سورة البروج، وناسب ذلك بشارة الكفار بالعذاب واستثناء أهل الإيمان والعمل الصالح بالأجر والثواب العظيم من الله تعالى.

إنَّ في تناسب فاتحة سورة البروج مع خاتمة سورة الانشقاق مقابلة، فقد ذكرت الآيات أهلَ الأخدود الذين عذبوا أهل الإيمان، فكانوا كالمكذبين الذين لم يؤمنوا ولم يسجدوا لله تعالى المذكورين في سورة الانشقاق، مع ما يقابلهم من أهل الإيمان والعمل الصالح الذين أبوا الإشراك بالله تعالى، وآمنوا بالغيب وصبروا على أقدار الله تعالى، فأكرمهم سبحانه بالأجر غير المنقوص.

المبحث التاسع: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الطارق وخاتمة سورة البروج

خاتمة سورة البروج:

قال الله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ١٧ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ ١٨ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ ١٩ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ٢٠ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ٢٢﴾ [البروج].

فاتحة سورة الطارق:

قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ٣ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ٤﴾ [الطارق].

المطلب الأول: بين يدي سورة الطارق

أولًا: التعريف بالسورة

سورة الطارق هي السورة السادسة والثمانون حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، وهي مكية بالاتفاق نزلت قبل سنة عشر من البعثة، وسميت في كتب التفسير وكتب السنة وفي المصحف «سورة الطارق» لوقوع هذا اللفظ في أولها، وفي «تفسير الطبري» «وأحكام ابن العربي» ترجمت «سورة والسماء والطارق»[1]، وعددها في ترتيب نزول السور السادسة والثلاثين، نزلت بعد سورة «لا أقسم بهذا البلد» وقبل سورة: «اقتربت الساعة»، وعدد آياتها سبع عشرة آية وهو المشهور، وفي المدني ست عشرة آية[2].

ثانيًا: مقصد السورة

مقصدها "إظهار رقابة الله تعالى النافذة، وقدرته البالغة"[3]، من خلال دعوة الإنسان إلى التفكر بمبتدئه ومنتهاه، ومن مقاصدها ما ذكره الإمام البقاعي بأنها أتت تبين "مجد القرآن في صدقه في الإخبار بتنعيم أهل الإيمان، وتعذيب أهل الكفران، في يوم القيامة، حين تبلى السرائر، وتكشف الضمائر عن مثقال الذر، وما دون المثقال، وما دونته الحفظة في صحائف الأعمال، بعد استيفاء الآجال، كما قدر في أزل الآزال، من غير استعجال، ولا تأخير عن الوقت المضروب ولا إهمال، واسمها "الطارق" أدل ما فيها على هذا الموعود الصادق، بتأمل القسم والمقسم عليه، حسب ما انساق الكلام إليه"[4] .

---

(1) ذكر ذلك ابن عاشور في التحرير والتنوير، ج30، ص257، ولم أجد ذلك في الطبري وأحكام القرآن لابن العربي، وإنما وجدت تسمية السورة بسورة الطارق، ينظر: الطبري، **جامع القرآن**، ج24، ص288؛ ابن العربي، **أحكام القرآن**، ج4، ص375.

(2) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص257؛ سعيد حوى، **الأساس في التفسير**، ج11، ص6466؛ البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص178.

(3) فايز السريح، **معالم السور**، ص406.

(4) البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص178.

وذكر الإمام ابن عاشور في مقاصد السورة بأنها "إثبات إحصاء الأعمال، والجزاء على الأعمال، وإثبات إمكان البعث، بنقض ما أحاله المشركون ببيان إمكان إعادة الأجسام، وأدمج في ذلك التذكير بدقيق صنع الله وحكمته في خلق الإنسان"[1].

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة الطارق وخاتمة البروج ودراستُها

أولًا: أقوال المفسرين

أ. قال الإمام ابن الزبير الغرناطي رحمه الله: "لما قال تعالى في سورة البروج، ﴿... وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ ۝٩﴾ ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ۝٢٠﴾ [البروج]، وكان في ذلك تعريف العباد بأنه سبحانه لا يغيب عنه شيء، ولا يفوته هارب أردف ذلك بتفصيل يزيد إيضاح ذلك التعريف الجملي من شهادته سبحانه على كل شيء وإحاطته به فقال: ﴿إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ۝٤﴾ [الطارق]، فأعلمَ سبحانه بخصوص كل نفسٍ ممن يحفظ أنفاسها، ليعلم العبد أنَّه ليس بمهمل ولا مضيع، وهو سبحانه الغني عن كتب الحفظة وإحصائهم ولكن هي سنة حتى لا يبقى لأحد حجة ولا تعلق، وأقسم تعالى على ذلك تحقيقًا وتأكيدًا يناسب القصد المذكور"[2].

ب. قال الإمام أبو حيان رحمه الله: "لما ذكر فيما قبلها _أي البروج_ تكذيبَ الكفار للقرآن، نبَّه هنا _أي الطارق_ على حقارة الإنسان، ثم استطرد منه إلى أن هذا القرآن قول فصل جد، لا هزل فيه ولا باطل يأتيه، ثم أمر نبيه ﷺ بإمهال هؤلاء الكفرة المكذبين"[3].

ج. قال الإمام البقاعي رحمه الله: "لما تقدم في آخر البروج أن القرآن في لوح محفوظ لأن منزله محيط بالجنود من المعاندين وبكل شيء، أخبر أن من إحاطته حفظ كل فرد من جميع الخلائق المخالفين والموافقين والمؤالفين، ليجازى على أعماله يوم إحقاق الحقائق وقطع العلائق، فقال مقسماً على ذلك لإنكارهم له: ﴿وَٱلسَّمَآءِ... ۝١﴾ [البروج]..."[4].

---

(1) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص257-258.

(2) الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص361.

(3) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج10، ص449. ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص305.

(4) البقاعي، **نظم الدرر**، ج21، ص371.

د. ذكر الشيخ المراغي رحمه الله أنَّه تعالى ذكر في البروج تكذيب الكفار للقرآن، وفي الطارق وصف القرآن بأنه القول الفصل، وفيه ردٌّ على أولئك المكذبين[1] .

هـ. بيَّن الشيخ الغماري أن في سورة الطارق تناسب سابقتها بذكر يوم البعث وفي وصف القرآن[2].

ثانيًا: دراسة أقوال المفسرين

اتفق المفسرون المذكورون على أن وجه التناسب بين فاتحة سورة الطارق وخاتمة سورة البروج هو ذكرُ يوم البعث ووصف القرآن وتكذيب الكفار له، بإضافة الإمام الغرناطي لجانب الحفظ الإلهي لأنفس العباد وربطها بين السورتين بين خاتمة سورة البروج وفاتحة سورة الطارق.

وأي توجيه وإبداع في بيان وجه التناسب ذلك الذي أرشدنا إليه علَمُ التفسير الإمامُ أبو حيان؛ حين قال: ولما ذكر فيما قبلها تكذيبَ الكفارِ للقرآن، نبَّه هنا على حقارةِ الإنسان"، في إشارة إلى تنبيه القرآن الكريم لأهل الكفر والإلحاد بأن يتأملوا في ذواتهم كيف خلقهم الله تعالى وكيف صورهم وكيف ميَّز آدميتهم بالعقل، وهو إرشاد لجميع الخلائق وتوجيه بأن ينظروا إلى أنفسهم منطلقين بذلك إلى التفكير في إمكانية بعثهم مرة أخرى كما خُلقوا أصلًا.

ومن خلال ما تقدم يتبيَّن لي أنه لما ختم الله سبحانه وتعالى سورة البروج بتذكير النبي ﷺ بعاقبة فرعون وثمود، وأنَّ الذين كفروا مردوا على الكذب؛ بيَّن حقيقة اسم الجليل سبحانه وهو المحيط بكل دقائق الكون وتصرف مخلوقاته.

ولما ذكر الله تعالى بالحفظ التام للقرآن المجيد، ناسبَ ذلك بيان القدرة الإلهية في الكون بأنه كما دمر فرعون وغيره من الأمم وأحاط بهم سبحانه، قادر على إحاطة كل نفس من خلال جنوده تعالى وهم الملائكة.

لما خُتمت سورة البروج بقوله تعالى ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج] ناسب هذا الختام بداية سورة الطارق بقوله تعالى ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق:4]، بإشارة إلهية

(1) ينظر: **تفسير المراغي**، ج30، ص109.

(2) ينظر: الغماري، **جواهر البيان**، ص143-144.

إلى حفظه تعالى اللوح والأنفس، "وأنه تعالى أراد بأن كلاهما من مظاهر قدرة الخالق جل لوعلا على الحفظ، وهما مظهر لاسم الحفيظ"[1].

(1) هذا التوجيه مما ذكره أ.د عبد الله الخطيب أثناء وضع تعديلاته على الرسالة.

المبحث العاشر: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الأعلى وخاتمة سورة الطارق

خاتمة سورة الطارق:

قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ١١ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ١٢ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ١٣ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ١٤ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ١٦ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ١٧﴾ [الطارق].

فاتحة سورة الأعلى:

قال الله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ٣ وَٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ ٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ ٥ سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ ٧﴾ [الأعلى].

المطلب الأول: بين يدي سورة الأعلى

أولًا: التعريف بالسورة

سورة الأعلى هي السورة السابعة والثمانون حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، سماها أكثر المفسرين «سورة الأعلى» لوقوع صفة الأعلى فيها دون غيرها، وقد وردت تسميتها في السنة سورة: سبح اسم ربك الأعلى، وعدد آياتها تسع عشرة آية، وهي مكية في قول الجمهور، وبعضهم ذكر أن فيها آيتين مدنيتين فتكون السورة بعضها مكي وبعضها مدني، وقد ردَّ صاحب الإتقان على من قال بأنها مدنية برواية ابن أم مكتوم، وهي ثامن السور في ترتيب النزول، نزلت بعد سورة التكوير، وقبل سورة الليل[1] .

ثانيًا: مقصد السورة

مقصد سورة الأعلى هو تنزيه المولى سبحانه وتعالى عن النواقص، وقال الشيخ الرئيس ابن سينا: "واعلم أنه تعالى لما قرر هذه المطالب الثلاثة، ختم السورة – أي الأعلى – بقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٨ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ١٩﴾ [الأعلى]، والمعنى: أن جميع كتب الله تعالى المنزلة على أنبيائه ليس المقصود منها إلا تقرير هذه المطالب الثلاثة: وهي: معرفة الإلهيات أولًا، ثم معرفة النبوات ثانيًا، ثم معرفة المعاد ثالثًا"[2]، فقد اهتم ابن سينا بمقاصد السورة وقسمها لمطالب ثلاثة[3]، وقال الإمام البقاعي: "إيجاب التنزيه للأعلى سبحانه عن أن يلحق ساحة عظمته شيء من شوائب النقص، كاستعجال في أمر؛ منْ إهلاك الكافرين، أو غيره، أو العجز عن البعث، أو إهمال الخلق سدى يبغي بعضهم على بعض بغير حساب، أو أن يتكلم بما لا يطابق الواقع، أو بما يقدر أحد أن يتكلم بمثله، وعلى ذلك دلَّ كلٌ من اسميها: سبح، والأعلى"[4] .

---

(1) ينظر: البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص180؛ السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج1، ص52؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص271.

(2) ابن سينا، **تفسير سورة الأعلى**، تحقيق ودراسة: أ.د عبد الله الخطيب، **منهج ابن سينا في التفسير الفلسفي**، بحث قُبل للنشر (القاهرة: مجلة معهد المخطوطات العربية، العدد 64، مايو 1441هـ 2020 م)، ص1.

(3) المرجع السابق.

(4) البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص181.

وربط الإمام البقاعي مقصد السورة باسمها، كما يوجّه مقصد السور الأخرى إلى اسمها في معظم الأحيان، وقد أضاف الاسم الآخر للسورة ليربط بينهما، مشيرًا إلى أنَّ مقصد الله تعالى في هذه السورة هو تعظيمه وتنزيهه.

وأضاف في هذا المعنى الإمام ابن عاشور فقال عن سورة الأعلى: إنها إشارة "إلى وحدانية الله تعالى لانفراده بخلق الإنسان، وخلق ما في الأرض مما فيه بقاؤه، وعلى تأييد النبي ﷺ وتثبيته على تلقي الوحي، وأنَّ الله معطيه شريعة سمحة وكتابًا يتذكر به أهل النفوس الزكية الذين يخشون ربهم، ويعرض عنهم أهل الشقاوة الذين يؤثرون الحياة الدنيا ولا يعبأون بالحياة الأبدية"[1].

ومن مقاصد السورة: "توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، ويشير إلى توحيد الربوبية: تعظيم الرب الخالق بنسبة الخلق والتقدير إليه وحده، ويشير إلى توحيد الألوهية وحدة مصدر الرسالة ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ...﴾ [الطارق]" [2].

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة الأعلى وخاتمة الطارق ودراستُها

أولًا: أقوال المفسرين

أ. قال الإمام ابن الزبير الغرناطي: "لما قال سبحانه مخبرًا عن عَمَه الكفار في ظلام حيرتهم أنهم يكيدون كيدًا، وكان وقوع ذلك من العبيد المحاط بأعمالهم ودقائق أنفاسهم وأحوالهم من أقبح مرتكب وأبعده عن المعرفة بشيء من عظيم أمر الخالق جل جلاله وتعالى علاؤه وشأنه، أتبع سبحانه ذلك بأمر نبيه عليه الصلاة والسلام بتنزيه ربه الأعلى عن شنيع اعتدائهم، وإفك افترائهم، فقال:﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى]"[3] .

ب. قال الإمام أبو حيان: "ولما ذكر فيما قبلها _أي سورة الطارق_ ﴿فلينظرِ الإنْسَان ممَّ خُلق﴾، كأنَّ قائلًا قال: من خلقه على هذا المثال؟ فقيل: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ...۝١﴾

---

(1) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص272.

(2) **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ج9، ص108.

(3) الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص361.

[الأعلى]، وأيضًا لما قال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ١٣﴾ [الطارق]، قيل: ﴿سَنُقۡرِئُكَ ...٦﴾ [الأعلى]، أي ذلك القول الفصل"[1].

ج. قال الإمام البقاعي: "لما تضمن أمره سبحانه في آخر الطارق بالإمهال النهي عن الاستعجال الذي هو منزه عنه لكونه نقصاً، وأشار نفي الهزل عن القرآن – إلى أنهم وصموه بذلك، وهو في غاية البعد عنه إلى غير ذلك مما أشير إليه فيها، ونزَّه نفسه الأقدس سبحانه عنه، أمر أكمل خلقه رسوله المنزل عليه هذا القرآن ﷺ بتنزيه اسمه؛ لأنه وحده العالم بذلك حق علمه، وإذا نزه اسمه عن أن يدعو به وثنا أو غيره أو يضعه في غير ما يليق به، كان لذاته سبحانه أشد تنزيهاً، فقال مرغبًا في الذكر لا سيما بالتنزيه الذي هو نفي المستحيلات لأن التخلي قبل التحلي، شارحاً لأصول الدين مقدماً للإلهيات التي هي النهايات من الذات ثم الصفات لا سيما القيومية، ثم الأفعال على النبوات، ثم أتبع ذلك النبوة، ليعرف العبد ربه على ما هو عليه من الجلال والجمال، فيزول عنه داء الجهل الموقع في التقليد، وداء الكبر الموقع في إنكار الحقوق، فيعترف بالعبودية والربوبية، لا مثنياً عليه سبحانه بالجلال ثم الجمال، فيعبده على ما يليق به من امتثال أمره، واجتناب نهيه، تعظيماً لقدره: ﴿سَبِّحِ﴾"[2].

د. قال الإمام السيوطي: "في سورة الطارق ذكر خلق النبات والإنسان في قوله: ﴿وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ١٢﴾ [الطارق]، وقوله: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ٥﴾ [الطارق]، إلى ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ٨﴾ [الطارق]، وذكره في هذه السورة في قوله: ﴿خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾، وقوله في النبات: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ ٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ ٥﴾ [الأعلى]، وقصة النبات في هذه السورة أبسط، كما أنَّ قصة الإنسان هناك أبسط، نعم، ما في هذه السورة أعم من جهة شموله للإنسان وسائر المخلوقات"[3].

هـ. قال الشيخ المراغي: "ومناسبتها لما قبلها– أنه ذكر في الطارق خلق الإنسان، وأشار إلى خلق النبات بقوله: ﴿وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ١٢﴾ [الطارق]، وذكر هنا خلق الإنسان

---

(1) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج10، ص445. في الأصل قيل: هو (سنقرئك)،

(2) البقاعي، **نظم الدرر**، ج21، ص388.

(3) السيوطي، **تناسق الدرر في تناسب السور**، ص157. وقد أخذ هذا الوجه الفريد في كتابه الآلوسي ينظر: **روح المعاني**، ج15، ص313.

في قوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ...﴿٢﴾﴾ [الأعلى]، وخلق النبات في قوله: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ﴿٥﴾﴾ [الأعلى]، وقصة النبات هنا أوضح وببسط أكثر، وخلق الإنسان هناك أكثر تفصيلًا"[1].

و. ذكر الشيخ الغماري وجهَي تناسب بين السورتين:

أولهما: أنَّ الله تعالى ردَّ على المشركين في السورة السابقة قولهم: لا يرجع الإنسان بعد موته فقال: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٌ﴿٨﴾ يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴿٩﴾﴾ [الطارق]، وقولهم في القرآن: سحر وكهانة ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ﴿١١﴾ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ﴿١٤﴾﴾ [الطارق]، وقول الكفار المذكور يلزم منه نسبة النقص إلى الله تعالى بتكذبيه في البعث، ووصف كلامه بالكهانة والسحر، فافتتح هذه السورة بالأمر بتسبيحه أي تنزيهه سبحانه عن كل نقص، مثبتًا علوَّه وقدرته التامة، وحكمته في أفعاله ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴿٢﴾﴾ [الأعلى].

ثانيهما: حين أمر الله تعالى في سورة الطارق الإنسانَ بالنظر في أصل خلقه ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ﴿٦﴾ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴿٧﴾﴾ [الطارق]، فأشار هنا بصفتي ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴿٣﴾﴾ [الأعلى]، إلى أنه تعالى خلق من الماء الدافق خلقًا سويًا، وقدَّر له ما يصلحه فهداه إليه، وعرَّفه وجه الانتفاع به، وحذف مفعول خلق لإرادة التعميم في الإنسان والحيوان، ومن أراد أن يعرف ما تشير إليه هذه الآية من حقائق وأسرار فليقرأ علم الحيوان وعلم الأحياء[2].

ز. قال الدكتور عبد الله الخطيب: إن الأمر بالتسبيح مسبب عن الأمر بالإمهال؛ لأن الأمر بالاستعجال منقصة، والله منزَّه عن النقائص، فسبِّحه لحلمه على المستحقين لعاجل العقوبة[3].

ثانيًا: دراسة أقوال المفسرين

---

(1) **تفسير المراغي**، ج30، ص120.

(2) ينظر: الغماري، **جواهر البيان**، ص144-145.

(3) هذا التوجيه مما ذكره أ.د عبد الله الخطيب أثناء وضع تعديلاته على الرسالة.

وجَّه الإمام الغرناطي التناسب إلى تنزيه الله تعالى في سورة الأعلى عن الكيد والاعتداء من الكفار، وعلى هذا المعنى سار الإمام البقاعي في بيان وجه التناسب مع تفصيل في معنى التنزيه، إذ ذكر محورين هما النبوة والألوهية.

وأضاف الإمام أبو حيان في تناسب هاتين السورتين إضافة متميزة؛ ففي النقطة الأولى التي ذكرها وهي تناسب قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ۝٥﴾ [الطارق]، مع قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى۝١﴾ [الأعلى]، وهي خارج مجال البحث، رغم براعتها لكونها لم تحط بالآيات الأخيرة لسورة الطارق، وتعد من قبيل تناسب السورة مع ما قبلها، أما بالنسبة للنقطة الثانية التي ذكرها وهي تناسب قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ۝١٣﴾ [الطارق]، مع قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ۝٦﴾ [الأعلى]، فربط قول الذكر الحكيم بهاتين الآيتين، وبيَّن أنَّ قول الفصل هو القرآن الكريم، فكان بذلك من قبيل تفسير القرآن بالقرآن، وفي معنى (الفَصْل) الذي هو البون بين الشيئين، أو القضاء بين الحق والباطل[1] تناسب مع عدم النسيان في قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ۝٦﴾ [الأعلى]، وهو ملمح لطيف ذكره الإمام رحمه الله.

وقد وجَّه الإمام السيوطي لفظي (الصَّدع) (المرْعَى) إلى التناسب فيما بينهما، وهو قول مقبول؛ وذلك لأن قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ۝١٢﴾ [الطارق]، معناه الانصداع عن النبات[2]، وهو الانشقاق عنه، وهو تناسب ظاهر، وقد أضاف العلماء المعاصرون معنىً جديدًا إعجازيًا في هذه الآية من خلال بيان التصدعات المختلفة في الأرض[3]، مما أضاف لمعنى الآية تأويلات متنوعة مناسبة لما ذكره الله تعالى في سورة الأعلى، وقد لخص الإمام المراغي

---

(1) ينظر: الفراهيدي: الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت:170هـ)، **العين**، ت: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، (دار ومكتبة الهلال)، ج7، ص126، ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور (ت:711هـ)، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، ط3، 1414هـ)، ج11،ص521.

(2) ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج8، ص376.

(3) ينظر: عادل الصعدي، (**والأرض ذات الصدع**)، مقال في موقع جامعة الإيمان، نُشر المقال في 2013/1/22م، وراجعه علي عمر بلعجم.

ما ذكره الإمام السيوطي، وتوسع الشيخ الغماري في تناسب الآيات بتكرار ما تفرد به السابقون.

ومما ظهر لي من خلال ما تقدَّم أنَّه سبحانه وتعالى لما ذكر كيدَ الكافرين ومكرهم وإمهالَه سبحانه، وإعلامَ النبي ﷺ ألا يستعجل العذاب المحيط بهم ناسب ذلك تذكير وتنبيه أمتِه ﷺ بتسبيحه سبحانه وتعالى، وتنزيهه وتعظيمه ومعرفة قدره وما خلقه، وما أنعم به على عباده، فكيد الكافرين وإمهال الله لهم يوجب العذاب والوبال عليهم، وتسبيح المولى الجليل ومعرفة قدره سبحانه وتعالى بابٌ لرحمته وفضله، ومن طرق باب الجليل الأعلى نال المراتب العلا.

المبحث الحادي عشر: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الغاشية وخاتمة سورة الأعلى

خاتمة سورة الأعلى:

قال الله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ١٧ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٨ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ١٩﴾ [الأعلى].

فاتحة سورة الغاشية:

قال الله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ١ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ٢ عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ٣ تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةَۢ ٤ تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ ٥﴾ [الغاشية].

المطلب الأول: بين يدي سورة الغاشية

أولًا: التعريف بالسورة

سورة الغاشية هي السورة الثامنة والثمانون حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، سميت في المصحف والتفاسير «سورة الغاشية»، وهي مكية، عدد آياتها ست وعشرون آية، وهي معدودة السابعة والستين في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة الذاريات، وقبل سورة الكهف[1].

ثانيًا: مقصد السورة

مقصدها تنبيه العبد ليوم القيامة، وتذكير النفوس بالقدرة الإلهية، وما أعده الله تعالى لعباده، وقال الإمام البقاعي في مقصد السورة "شرح ما في آخر (سبح)، من تنزيه الله تعالى عن العبث، بإثبات الدار الآخرة، وذكر ما فيها للأتقى والأشقى، والدلالة على القدرة عليها، وأدل ما فيها على هذا المقصود: الغاشية، نعوذ بالله من القلب الغاشي، والبصيرة الغاشية، لئلا يكون للغاشية علينا بسوء الأعمال ناشئة"[2].

قال الإمام ابن عاشور: "اشتملت سورة الغاشية على تهويل يوم القيامة وما فيه من عقاب قوم مشوهة حالتهم، ومن ثواب قوم ناعمة حالتهم، وعلى وجه الإجمال المرهب أو المرغب، والإيماء إلى ما يبين ذلك الإجمال كله بالإنكار على قوم لم يهتدوا بدلالة مخلوقات من خلق الله وهي نصب أعينهم، على تفرده بالإلهية، فيعلم السامعون أن الفريق المهدد هم المشركون، وعلى إمكان إعادته بعض مخلوقاته خلقًا جديدًا بعد الموت يوم البعث، وتثبيت النبي ﷺ على الدعوة إلى الإسلام، وأن لا يعبأ بإعراضهم، وأن وراءهم البعث، فهم راجعون

(1) ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج5، ص472، الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص324، ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص293، سعيد حوى، **الأساس في التفسير**، ج11، ص6489.

(2) البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص186-187.

إلى الله فهو مجازيهم على كفرهم وإعراضهم"[1]، ومن مقاصدها "الحديث عن اليوم الآخر، وإثبات مطلق القدرة الإلهية"[2].

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة الغاشية وخاتمة الأعلى ودراستُها

أولًا: أقوال المفسرين

أ. قال الإمام ابن الزبير الغرناطي: "لما تقدم تنزيهه سبحانه عما توهمه الظالمون، واستمرت آي السورة على ما يوضح تنزيه الخالق جل جلاله عن عظيم مقالهم، أتبع ذلك بذكر الغاشية"[3].

ب. قال الإمام أبو حيان: "ولما ذكر فيما قبلها ﴿فَذَكِّرۡ ...۝٩﴾ [الأعلى]، وذكر النار والآخرة، قال: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ۝١﴾ [الغاشية]"[4].

ج. قال الإمام النيسابوري: "لما انجر الكلام في السورة المتقدّمة إلى ذكر الآخرة، شرح في هذه السورة بعض أحوال المكلفين فيها"[5].

د. قال الإمام البقاعي: "لما ختمت «سبح» بالحثِّ على تطهير النفوس عن وضر[6] الدنيا، ورغَّب في ذلك بخيرية الآخرة تارة، والاقتداء بأولي العزم من الأنبياء أخرى، رهَّب أول هذه من الإعراض عن ذلك مرة، ومن التزكي بغير منهاج الرسل أخرى، فقال تعالى مذكراً بالآخرة التي حث عليها آخر تلك _أي سورة الأعلى_؛ مقرراً لأشرف خلقه ﷺ لأنَّ ذلك

---

(1) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص293.

(2) **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ج9، ص115.

(3) الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص362.

(4) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج10، ص461.

(5) النيسابوري، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ج6، ص489.

(6) الوَضَرُ: وَسَخُ الدَّسَمِ واللَّبَنِ، وغُسالةُ السِّقاءِ والقَصْعةِ ونحوِها. ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، **العين**، ج7، ص54.

أعظم في تقدير اتباعه، وأقعد في تحريك النفوس إلى تلقي الخبر بالقبول: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ...١﴾ [الغاشية]"[1].

هـ. قال الإمام السيوطي: "لما أشار سبحانه في سورة الأعلى بقوله: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى١١ ٱلَّذِي يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ١٢﴾، إلى قوله: ﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ١٧﴾ [الأعلى] إلى المؤمن والكافر، والنار والجنة إجمالًا، فصَّل ذلك في هذه السورة ـأي الغاشيةـ، فبسط صفة النار والجنة مستندة إلى أهل كل منهما، على نمط ما هنالك؛ ولذا قال هنا: ﴿عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ٣﴾ [الغاشية] في مقابل: ﴿...ٱلۡأَشۡقَى١١﴾ [الأعلى]، هناك، وقال هنا: ﴿تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةَۢ٤﴾ إلى ﴿لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ٧﴾ [الغاشية7] في مقابلة ﴿يَصۡلَى النَّارَ الۡكُبۡرَى﴾ هناك، ولما قال هناك في الآخرة: ﴿... خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ١٧﴾ [الأعلى] بسَّط هنا صفة أكثر من صفة النار؛ تحقيقًا لمعنى الخيرية"[2].

و. قال الإمام الآلوسي: "ولما أشار سبحانه فيما قبل إلى المؤمن والكافر والجنة والنار إجمالًا بسط الكلام هاهنا"[3].

ز. قال الشيخ الغماري: "مناسبتها لما قبلها أن الله تعالى أخبر في السورة السابقة أن الناس يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة، فأراد في هذه السورة أن يستنهض هممهم إلى طلب الآخرة، ويحذرهم هول يوم القيامة"[4].

ح. قال الدكتور عبد الله الخطيب: "لما بيَّنت الأعلى أن الناس يؤثرون الدنيا، وأن الآخرة أبقى، بيَّنتِ الغاشية صورًا من النجاح بالفوز بالجنة، وصورًا من الخسران بدخول النار نعوذ بالله من ذلك"[5].

ثانيًا: دراسة أقوال المفسرين

---

(1) البقاعي، **نظم الدرر**، ج22، ص2.

(2) السيوطي، **تناسق الدرر في تناسب السور**، ص157. ينظر: **التفسير المنير**، ج30، ص202.

(3) الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص324. ينظر: **تفسير المراغي**، ج30، ص130.

(4) الغماري، **جواهر البيان**، ص145.

(5) هذا التوجيه مما ذكره أ.د عبد الله الخطيب أثناء وضع تعديلاته على الرسالة.

اتفق المفسرون المذكورون على أن سورة الأعلى قد ختمت بذكر الآخرة، وافتتحت سورة الغاشية بذكر أحوالها، وقد بيَّن الإمام أبو حيان وجه التناسب من خلال تناسب المفردات، حيث ربط ذكر الآخرة في سورة الأعلى بالغاشية، وعلى هذا سار الإمام النيسابوري.

إن الترابط الذي أتى به الإمام الغرناطي معنيٌّ بكامل سورة الأعلى من أولها، ويظهر ذلك حين ربط بتنزيه الله تعالى في بداية السورة، وكذلك فعل الإمام السيوطي في ربط مفردات السورتين؛ وهو أشبه ما يكون في تناسب السور بما قبلها، وذلك من خلال استعراض حال الفريقين مبينًا تفصيل سورة الغاشية لأحوالهم، بعد ذكر إجمالي في السورة السابقة، ولخص الإمام الآلوسي كلام الإمام السيوطي.

أما الوجه الذي أتى به الإمام البقاعي فكان فريدًا من خلال ربط التزكية ببيان حال من لم يُزكِّ قلبه، وبهذا يكون قد أضاف معنىً في التناسب لم يضفه السابقون.

كما جاء الشيخ الغماري بمناسبة موضوعية بين مناسبة سورة الأعلى لأول سورة الغاشية، مبينًا حال من يؤثر الحياة الدنيا كما جاء في سورة الأعلى، في مقابل طلب علو الهمم وتذكيرهم بمآلهم في سورة الغاشية، وهو ملحظ جميل بين تناسب الخاتمة مع الفاتحة رغم عدم ذكر الآيات من قبل المفسر.

ومن خلال ما تقدم من أوجه المناسبة أقول: إنَّ الغاشية التي تطمس أفئدة وقلوب وعيون العباد في الدنيا بإيثارهم إيَّاها عن ذكر الله تعالى وتزكية قلوبهم وتطهيرها لهي كفيلة أن تذكرهم غاشيةَ يوم القيامة؛ إذ الوجوه منكبة بعد استكبارها.

فلما ذكر الله تعالى غشاوة إيثار حبِّ الدنيا في سورة الأعلى حذَّرَ في السورة التالية من غشاوة يوم الآخرة.

كما ناسب ذكرُ الصحف بدلالة امتداد هذا القانون الرباني من بدء الخليقة إلى منتهاها إخبارَ النبي ﷺ عن هذا المآل يوم القيامة ليكون بيانًا سماويًّا امتدَّ من أوائل الأنبياء إلى آخرهم عليهم أفضل الصلاة والسلام ليتنبه الناس وليتذكروا.

المبحث الثاني عشر: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الفجر وخاتمة سورة الغاشية

خاتمة سورة الغاشية:

قال الله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية].

فاتحة سورة الفجر:

قال الله تعالى: ﴿وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر].

المطلب الأول: بين يدي سورة الفجر

أولًا: التعريف بالسورة

سورة الفجر هي السورة التاسعة والثمانون حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، ولم يُختلف في تسمية هذه السورة بـ «سورة الفجر»، وعدد آياتها اثنتان وثلاثون آية عند أهل العد بمكة والمدينة، وثلاثون عند أهل العدد بالكوفة والشام وعند أهل البصرة تسع وعشرون، وهي مكية باتفاق سوى ما حكى ابن عطية عن أبي عمرو الداني أنه حكى عن بعض العلماء أنها مدنية، وقد عدت العاشرة في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة الليل وقبل سورة الضحى[1].

ثانيًا: مقصد السورة

مقصدها النظر والتأمل في عواقب الأقوام السابقة، وقد قال الإمام البقاعي: "ومقصودها الاستدلال على آخر الغاشية: الإياب، والحساب بالثواب والعقاب، وأدل ما فيها على هذا المقصود: الفجر، بانفجار الصبح عن النهار الماضي بالأمس، من غير فرق في شيء من الذات، وانبعاث الناس من الموت الأصغر: النوم، بالانتشار في ضياء النهار، للمجازاة في الحساب"[2].

وقال الإمام ابن عاشور: "من الأغراض ضرب المثل لمشركي أهل مكة في إعراضهم عن قبول رسالة ربهم بمَثَل عاد وثمود وقوم فرعون، وإنذارهم بعذاب الآخرة، وتثبيت النبي ﷺ مع وعده باضمحلال أعدائه، وإبطال غرور المشركين من أهل مكة، إذ يحسبون أنَّ ما هم فيه من النعيم علامة على أن الله أكرمهم، وأن ما فيه المؤمنون من الخصاصة علامة على أن الله أهانهم، وأنهم أضاعوا شكر الله على النعمة، فلما يواسوا ببعضها الضعفاء، وما زادتهم إلا حرصًا على التكثر منها، وأنهم يندمون يوم القيامة على أن لم يقدموا لأنفسهم من الأعمال

---

(1) ينظر: البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص189، ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص311، الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص333، سعيد حوى، **الأساس في التفسير**، ج11، ص6509.

(2) البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص190.

ما ينتفعون به يوم لا ينفع نفسا مالها، ولا ينفعها إلا إيمانها وتصديقها بوعد ربها، وذلك ينفع المؤمنين بمصيرهم إلى الجنة"[1]، ومن مقاصدها "إثبات عذاب الكافرين يوم القيامة"[2].

لقد رَبَط الإمام البقاعي مقصد السورة بما قبلها، وذلك من خلال بيان الإياب والحساب في سورة الغاشية بالثواب والعقاب في سورة الفجر، أما الإمام ابن عاشور فقد ربط مقصد السورة بضرب المثل بما فُعل بعاد وثمود، وتنبيه أهل مكة بأنهم إن لم يقدموا من الأعمال الصالحة فلن ينتفعوا حين العرض على ربهم، وكلا المقصدين صحيحان.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة الفجر وخاتمة الغاشية ودراستُها

أولًا: أقوال المفسرين

أ. قال الإمام ابن الزبير الغرناطي: "أبدى سبحانه لمن تقدم ذكره وجهًا آخر من الاعتبار، وهو أن يتذكروا حال من تقدمهم من الأمم، وما أعقب تكذيبهم واجتراءهم، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧﴾ ... إلى قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝١٤﴾ [الفجر]، أي: لا يخفى عليه شيء من مرتكبات الخلائق، ولا يغيب عنه ما أكنوه ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ... ۝١٠﴾[الرعد]"[3].

ب. قال الإمام أبو حيان: "ولما ذكر فيما قبلها ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢﴾ [الغاشية]، و﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨﴾ [الغاشية]، أتبعها بذكر الطوائف المتكبرين المكذبين المتجبرين الذين وجوههم خاشعة، وأشار إلى الصنف الآخر الذين وجوههم ناعمة بقوله: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧﴾ [الفجر]، وأيضًا لما قال: ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ۝٢٣﴾ [الغاشية]، قال هنا: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝١٤﴾ [الفجر]، تهديدًا لمن كفر وتولى"[4].

---

(1) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص311-312.

(2) **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ج9، ص126.

(3) الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص362.

(4) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج10، ص469.

ج. قال الإمام البقاعي: "لما ختمت تلك _أي الغاشية_ بأنَّه لا بد من الإياب والحساب، وكان تغيير الليل والنهار وتجديد كل منهما بعد إعدامه دالًّا على القدرة على البعث، وكان الحج قد جعله الله في شرعه له على وجه التجرد عن المخيط ولزوم التلبية والسير إلى الأماكن المخصوصة آية مذكرة بذلك قال: ﴿وَٱلۡفَجۡرِ ۝١﴾ [الفجر]، أي: الكامل في هذا الوصف لما له من العظمة، حتى كأنَّه لا فجر غيره، وهو فجر يوم النحر الذي هو أول الأيام الآخذة في الإياب إلى بيت الله الحرام بدخول حرمه والتحلل من محارمه وأكل ضيافته، ولما ذكر هذا اليوم بما العبارة به عنه أدل على البعث لأنه ينفجر عن صبح قد أضاء، ونهار قد انبرم، وانقضى، لا فرق بينه وبين ما مضى، عمَّ فقال معبراً بالمقابل:﴿وَلَيَالٍ عَشۡرٍ ۝٢﴾ [الفجر]، هي أعظم ليالي العام، وهي آية الله على البعث بالقيام إلى إجابة داعي الله تعالى على هيئة الأموات"[1].

د. قال الإمام السيوطي: "لم يظهر لي في وجه ارتباطها سوى أنَّ أولها كالإقسام على صحة ما ختم به السورة التي قبلها، من قوله جل جلاله: ﴿إِنَّ إِلَيۡنَا إِيَابَهُمۡ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُمۡ﴾ [الغاشية:25-26]، وعلى ما تضمنه من الوعد والوعيد، كما أنَّ أول الذاريات قسم على تحقيق ما في "ق"، وأول المرسلات قسم على تحقيق ما في ﴿هَلۡ أَتَىٰ... ۝١﴾ [الإنسان] وأول ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ ... ۝١﴾ [النازعات] قسم على تحقيق ما في ﴿عَمَّ ...۝١﴾ [النبأ]، هذا مع أنَّ جملة: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ ...۝٦﴾ [الفجر] هنا، مشابهة لجملة ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ ...۝١٧﴾ [الغاشية] هناك"[2].

هـ. قال الإمام الآلوسي: "ولما ذكر سبحانه فيما قبلها ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢﴾ [الغاشية]، و﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ ۝٨﴾ [الغاشية]؛ أتبعه تعالى بذكر الطوائف المكذبين من المتجبرين الذين وجوههم خاشعة، وأشار جل شأنه إلى الصنف الآخر الذين وجوههم ناعمة

(1) البقاعي، **نظم الدرر**، ج22، ص21-22.

(2) السيوطي، **تناسق الدرر في تناسب السور**، ص158.

بقوله سبحانه فيها ﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾﴾ [الفجر]، وأيضا فيها مما يتعلق بأمر الغاشية ما فيها"[1].

و. قال الشيخ المراغي: "ومناسبتها لما قبلها: أنه ذكر في تلك الوجوه الخاشعة والوجوه الناعمة، وذكر في هذه طوائف من المكذبين المتجبرين الذين وجوههم خاشعة، وطوائف من الذين وجوههم ناعمة، وأنَّ القسم الذي في أول السورة كالدليل على صحة ما تضمنته خاتمة السورة السابقة من الوعد والوعيد"[2].

ز. ذكر الشيخ الغماري أن مناسبتها لما قبلها حين أمرَ الله تعالى نبيه في السورة السابقة بتذكير الكفار، وأوعدهم بالعذاب ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾﴾ [الغاشية]، فذكر هنا أنه أهلك كفارًا كانوا أشد من كفار مكة وأقوى منهم ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ ...﴿٦﴾﴾ [الفجر]، إلى آخر الآيات، فما أصاب هؤلاء من الهلاك والعذاب، ليس ببعيد من أولئك[3].

ح. قال الدكتور عبد الله الخطيب: "إن علينا حسابهم في فجر يوم الحشر الأكبر، ففي ذكر الفجر بيان قدرته تعالى على الإتيان بالفجر، وتعاقب الليل والنهار دلالة على الحشر الذي ترى فيه عدالته، وما الحج في الليالي العشر إلا صورة مصغرة عنه، فالفجر يأتي بعد موت أصغر، والحج يأتي بعده حشر أكبر"[4].

ثانيًا: دراسة أقوال المفسرين

اتفق المفسرون المذكورون على أن وجه التناسب هو الاعتبار بحال مَن سبق من الأمم، وعلى هذا سار الإمام الغرناطي وأبو حيان مع بيان تفصيلي للفريقين.

ومما بيَّنه الإمام البقاعي في تناسب السورتين ذكرُه للفجر دلالةً على الإياب والحساب، وربط ذلك بالبعث، وهذا ملمح جميل؛ وذلك من خلال إبراز وقت الفجر كقيمة الإحياء

(1) الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص333.

(2) **تفسير المراغي**، ج30، ص140.

(3) ينظر: الغماري، **جواهر البيان**، ص146.

(4) هذا التوجيه مما ذكره أ.د عبد الله الخطيب جزاه الله خيرًا أثناء وضع تعديلاته على الرسالة.

بعد الممات، ثم ربطه بفجر يوم النحر، وربط الليالي العشر مع البعث من خلال استدلال أفضلية هذه الأيام، مع كونها دليلًا على إحياء الموت واستجابتهم للحساب، إثباتًا بذلك على البعث.

وقد ربط الإمام السيوطي بين فاتحة السورة وفاتحة ما قبلها لا خاتمتها، وهو ليس مناط هذا البحث، ثم بيَّن وجه التناسب بين قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ... ﴿١٧﴾﴾ [الغاشية]، مع قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ ...﴿٦﴾﴾ [الفجر]، وأظنه يقصد بذلك تذكير المشركين في السورتين، ففي الغاشية دعوتهم إلى التأمل والتفكر في ملكوت الله، وفي الفجر دعوتهم للتأمل في أحوال الأمم السابقة وهو تناسب لطيف بين فاتحة السورة ومحاور السورة التي قبلها.

ولم يضف الإمامان الآلوسي والمراغي سوى ما ذكره الإمام أبو حيان في بيان وجه التناسب، بيد أن الغماري قد فصَّل في تناسب بيان أحوال الأمم السابقة مع تذكير أهل مكة بذلك.

وظهر لي من خلال ما تقدم أنه تعالى لما ذكر حالَ المكذبين بالرسالة النبوية في سورة الغاشية، ووعيده جل جلاله في التفرد بحسابهم حين يبعثون إليه؛ أقسمَ بالوقت من بدايته إلى منتهاه، ذاكرًا أيامًا فضيلةً، منبهًا لعظم شأنها، مبيِّنًا أنَّ كلَّ من كذب به سبحانه سيُجازى من بداية تحمله وتعقُّله، بدلالة قوله تعالى ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجر﴾ [الفجر]، وإنما ذُكِرَت هذه الأيام العظيمة؛ لأنَّ فيها تُمحى الخطايا والذنوب، ويغفر الله فيها للعبد ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وبالرغم من هذا العطاء الرباني فإن الجاحد لا يتعظ ولا يبادر إلى الإيمان بالله سبحانه وتعالى.

ثم ناسب ذِكرُ حالِ الكفار السابقين في سورة الفجر؛ تنبيهَ النبي ﷺ لمشركي العرب ومن بعدهم بأنْ يتفكروا في أحوالِ الأمم السابقين، وما جرى معهم من عذاب الله وغاشيته عليهم؛ إذ يصبح عليهم فجرٌ صادق، يُشرق بوحدانية الله، فيسير بهم لنيل القرب في مناجاته؛ فيختمون حياتهم بالسير لمرضاة الله، لا إلى سخطه.

انتهى الفصل الأول من هذه الدراسة ولله الحمد والمنة والفضل.

الفصل الثاني: التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها من سورة الفجر إلى سورة القارعة

المبحث الأول: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة البلد وخاتمة سورة الفجر

خاتمة سورة الفجر:

قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ۝٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ۝٣٠﴾ [الفجر].

فاتحة سورة البلد:

قال الله تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤﴾ [البلد].

المطلب الأول: بين يدي سورة البلد

أولًا: التعريف بالسورة

سورة البلد هي السورة التسعون حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، سميت في المصحف وكتب التفسير «سورة البلد»، إما على حكاية اللفظ الواقع في أولها، وإما لإرادة البلد المعروف وهو مكة، وهي مكية في قول الجمهور، وحكى الزمخشري والقرطبي الاتفاق عليه، واقتصر عليه معظم المفسرين، وحكى ابن عطية عن قوم: أنها مدنية، وبعضهم قال بمدنيتها إلا أربع آيات من أولها، وعدد آياتها عشرون آية، وقد عدت الخامسة والثلاثين في عدد نزول السور، نزلت بعد سورة (ق) وقبل سورة (الطارق)[1].

ثانيًا: مقصد السورة

مقصدها بيان طريق الهداية والنجاة من النار، وقال الإمام البقاعي في مقصودها: "نفي القدرة عن الإنسان، وإثباتها لخالقه الديان، وذلك هو معنى اسمها، فإن من تأمل أمان أهل الحرم، وما هم فيه من الرزق والخير، على قلة الرزق ببلدهم، مع ما فيه غيرهم، ممن هم أكثر منهم وأقوى، من الخوف والجوع، علم ذلك"[2].

وقال الإمام ابن عاشور: "حوت من الأغراض التنويه بمكة، وبمقام النبي ﷺ بها، وبركته فيها وعلى أهلها، والتنويه بأسلاف النبي ﷺ من سكانها الذين كانوا من الأنبياء مثل إبراهيم وإسماعيل، أو من أتباع الحنيفية، مثل عدنان ومضر، والتخلص إلى ذم سيرة أهل الشرك، وإنكارهم البعث، وما كانوا عليه من التفاخر المبالغ فيه، وما أهملوه من شكر النعمة على الحواس، ونعمة النطق، ونعمة الفكر، ونعمة الإرشاد، فلم يشكروا ذلك بالبذل في سبل الخير، وما فرطوا فيه من خصال الإيمان وأخلاقه، ووعيد الكافرين وبشارة الموقنين"[3].

---

(1) ينظر: البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص193؛ الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص349؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص345.

(2) البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص193-194.

(3) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص345-346.

ومما ذكره الشيخ المراغي في مقاصد سورة البلد أن كثرة النعم على عبد ليست دليلًا على إكرام الله له، ولا البلاء دليلًا على إهانته وخذلانه، وقد استنبط ذلك من قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧﴾ [البلد:5-7][1].

وقال سيد قطب رحمه الله: "تضم هذه السورة الصغيرة جناحيها على حشد من الحقائق الأساسية في حياة الكائن الإنساني ذات الإيحاءات الدافعة واللمسات الموحية، حشد يصعب أن يجتمع في هذا الحيز الصغير في غير القرآن الكريم، وأسلوبه الفريد في التوقيع على أوتار القلب البشري بمثل هذه اللمسات السريعة العميقة"[2].

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة البلد وخاتمة سورة الفجر ودراستها

أولًا: أقوال المفسرين

أ. قال الإمام ابن الزبير الغرناطي: "لما أوضح سبحانه حالَ مَن تقدم ذكره في السورتين في عظيم حيرتهما وسوء غفلتهم وما أعقبهم ذلك من التذكر تحسرًا حين لا ينفع الندم، ولات حين مطمع، أتبع ذلك بتعريف نبيه عليه الصلاة والسلام بأنَّ وقوع ذلك منهم إنما جرى على حكم السابقة التي شاءها، والحكمة التي قدرها، كما جاء في الموضع الآخر ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا ...۝١٣﴾ [السجدة]، فأشار تعالى إلى هذا بقوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤﴾ [البلد]، أي: إنَّا خلقناه كذلك ابتلاءً ليكون ذلك قاطعًا لمن سبق له الشقاء عن التفكر والاعتبار، ﴿...وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ۝٥٧﴾ [الكهف]، فأعماهم بما خلقهم فيه من الكبد، وأعقل قلوبهم فحسبوا أنهم لا يقدر عليهم أحد، وقد بيَّن سبحانه فعله هذا بهم في قوله لنبيه عليه الصلاة والسلام ﴿... وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ...۝٢٨﴾ [الكهف]، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا...۝٩٩﴾

---

(1) ينظر: **تفسير المراغي**، ج30، ص154.

(2) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، الطبعة الشرعية الأولى1972، الطبعة الشرعية الثانية والثلاثون1423هـ - 2003م، ص3908.

[يونس]، فأنت تشاهدهم يا محمد ﷺ ذوي أبصار، وآلات يعتبر بها النظَّار، ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩﴾ [البلد]، فلا أخذ في خلاص نفسه، واعتبر بحاله وأمسه ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١﴾ [البلد]، ولكن ﴿...وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ...۝١١﴾[الرعد:11]"[1].

ب. قال الإمام أبو حيان: "ولما ذكر تعالى ابتلاءه للإنسان بحالة التنعيم وحالة التقدير، وذكر من صفاته الذميمة ما ذكر، وما آل إليه حاله وحال المؤمن، أتبعه بنوع من ابتلائه ومن حاله السيئ وما آل إليه في الآخرة"[2].

ج. قال الإمام البقاعي: "لما ختم كلمات الفجر بالجنة التي هي أفضل الأماكن التي يسكنها الخلق، لاسيما المضافة إلى اسمه الأخص المؤذن بأنها أفضل الجنان، بعد ما ختم آياتها بالنفس المطمئنة بعد ذكر الأمارة التي وقعت في كبد الندم الذي يتمنى لأجله العدم، بعد ما تقدم من أنها لا تزال في كبد ابتلاء المعيشة في السراء والضراء، افتتح هذه بالأمارة مقسماً في أمرها بأعظم البلاد، وأشرف أولي الأنفس المطمئنة"[3].

د. قال الإمام السيوطي: "ووجه اتصالها بما قبلها أنَّه لما ذم فيها مَن أحب المال، وأكل التراث، ولم يحض على طعام المسكين، ذكر في هذه السورة الخصال التي تطلب من صاحب المال، من فك الرقبة، والإطعام في يوم ذي مسغبة"[4].

هـ. قال الإمام الآلوسي: "ولما ذم سبحانه فيما قبلها من أحب المال وأكل التراث أكلا لمًّا، ولم يحض على طعام المسكين ذكر جل وعلا فيها الخصال التي تطلب من صاحب المال من فك الرقبة وإطعام في يوم ذي مسغبة وكذا لما ذكر عز وجل النفس المطمئنة هناك ذكر سبحانه هاهنا بعض ما يحصل به الاطمئنان فقال عز قائلا: ﴿لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾[5].

---

(1) الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص363-364.

(2) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج10، ص479.

(3) البقاعي، **نظم الدرر**، ج22، ص45-46.

(4) السيوطي، **تناسق الدرر في تناسب السور**، ص158.

(5) الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص349، وهو بيان لما ذكره الإمام السيوطي. ينظر: **تفسير المراغي**، ج30، ص155.

ثانيًا: دراسة أقوال المفسرين

اتفق المفسرون السابقون أن وجه مناسبة فاتحة سورة البلد لخاتمة سورة الفجر يتعلق ببيان حال الإنسان في الأولى، وجوانب نفسه حيث ناسب في الثانية كيفية التخلص من هذه الجوانب في نفس الإنسان.

ومن التوجيهات الحسنة تعرُّضُ الإمام البقاعي للفتةٍ طيبة في التناسب في ياء المضافة للمتكلم في كلمة (جنتي) في قوله تعالى ﴿وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر:30]، وفي القسم المتعلق بأشرف البلاد وأطهرها بعد أن صفت هذه النفس الطيبة من كَبَد الابتلاء.

ومن الإلهام الموفق ما بيَّنه الإمام الآلوسي في ذكر ما يحصل به الاطمئنان في فاتحة سورة البلد الأمين مع ما يناسبه من ذكر النفس المطمئنة في سورة الفجر، وقد كرر الإمام الآلوسي ما ذكره الإمام السيوطي من تناسب فاتحة سورة البلد لمحور سورة الفجر، فهو من قبيل المناسبة العامة.

ومن خلال ما تقدم من أوجه المناسبة يظهر لي أنَّه حين ذكر الله تعالى في سورة الفجر أعلى مراتب النفس وأنقاها وأصفاها وهي النفس المطمئنة إلى قضاء الله وقدره، وبشَّرها بدخول أعلى مراتب الجنان؛ ناسبَ ذلك ذكره سبحانه وتعالى لأعظم الخلق، وأعظم الأنفس البشرية وهي نَفْسُ الحبيب المصطفى ﷺ بتعظيم الله تعالى للبلد الذي هو حالٌّ ومولود فيه ﷺ، فانتهت السورة بذكر النفس المطمئنة لتبدأ السورة التي تليها بالتعظيم للبلد الذي حلَّ وأقام فيه صلوات ربي وتسليماته عليه[1]، ثم أقسم بكل والد وولده إشارة إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام، وولد سيدنا إسماعيل عليه السلام؛ لينتهي القسم بخلق الله تعالى الإنسان مكابدًا شدائد الدنيا؛ لينتهي به الحال لاحقًا راكب الأنبياء والصالحين ذوي الأنفس المطمئنة، أو مقيدًا بركب الجاحدين ذوي النفوس السيئة، أعاذنا الله وإياكم منها.

(1) ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص349. إشارة لما بيَّنه الآلوسي في تفسيره حين قال: (شيء من الاطمئنان).

المبحث الثاني: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الشمس وخاتمة سورة البلد

خاتمة سورة البلد:

قال الله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [البلد].

فاتحة سورة الشمس:

قال الله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس].

المطلب الأول: بين يدي سورة الشمس

أولًا: التعريف بالسورة

سورة الشمس هي السورة الحادية والتسعون حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، وسميت في معظم التفاسير بـ (الشمس)، وعنونها الإمام البخاري سورة «والشمس وضحاها» بحكاية لفظ الآية[1]، وكذلك سميت في بعض التفاسير لئلا تلتبس على القارئ بسورة إذا الشمس كورت المسماة سورة التكوير، وهي مكية بالاتفاق، وآياتها خمس عشرة آية في عدد جمهور الأمصار، وعدَّها أهل مكة ست عشرة آية، وعدت السادسة والعشرين في عدد نزول السور نزلت بعد سورة (القدر)، وقبل سورة (البروج)[2].

ثانيًا: مقصد السورة

مقصدها تزكية النفس وتطهيرها من الرجس والدنس، وقال الإمام الرازي في مقصد السورة: هو "الترغيب في الطاعات، والتحذير من المعاصي، واعلم أنه تعالى ينبِّه عباده دائمًا بأن يذكر في القسم أنواع مخلوقاته المتضمنة للمنافع العظيمة، حتى يتأمل المكلف فيها ويشكر عليها، لأن الذي يقسم الله تعالى به يحصل له وقع في القلب، فتكون الدواعي إلى تأمله أقوى"[3]، ومن الملاحظ ندرة بيان مقاصد السور عند الإمام الرازي في جزء عم، حيث يتفرع في مسائل السورة مباشرة، وقد ربط مقصود السورة الإجمالي هنا بالترغيب والترهيب، ثم فصَّل في مقصود إيراد الله تعالى للقَسَم في السور بشكل عام.

وذكر الإمام البقاعي أن مقصود السورة هو: "إثبات التصرف في النفوس التي هي سرج الأبدان، تقودها إلى سعادة، أو كبد ونكد وهوان، كما أنَّ الشمس سراج الفلك، يتصرف سبحانه فيها بالاختيار إضلالاً وهداية، ونعيماً وشقاوة، كتصرفه في الشمس بمثل ذلك، من صحة واعتلال، وانتظام واختلال، وكذا في جميع الأكوان بما له من عظيم الشأن،

---

(1) ينظر: **صحيح البخاري**، كتاب التفسير، باب: لتركبن طبقًا عن طبق، ج6، ص169.

(2) ينظر: البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص196؛ الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص357؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص365-366.

(3) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج31، ص173.

واسمها "الشمس" واضح الدلالة على ذلك، بتأمل المَسَم والمُسَم عليه، بما أعلم به، وأشار إليه"[1]، ومن خلال هذا المقصد يتوضح للقارئ ربط الإمام اسمَ السورة بمقصدها حيث ربط نفس الإنسان كالشمس التي هي سراج الفلك.

ومما ذُكر في مقصد السورة قول الإمام ابن عاشور أنها "تهديد للمشركين بأنهم يوشك أن يصيبهم عذاب بإشراكهم وتكذيبهم برسالة محمد ﷺ كما أصاب ثمودًا بإشراكهم وعتوهم على رسول الله ﷺ الذي دعاهم إلى التوحيد، وقدم لذلك تأكيد الخبر بالقسم بأشياء معظمة، وذكر من أحوالها ما هو دليل على بديع صنع الله تعالى الذي لا يشاركه فيه غيره، فهو دليل على أنه المنفرد بالإلهية، والذي لا يستحق غيره الإلهية، وخاصة أحوال النفوس ومراتبها في مسالك الهدى والضلال، والسعادة والشقاء"[2]، وهذا مقصد أجاد به الإمام ابن عاشور، إذ ربط ترهيب المشركين بالمُسَم بأشياء معظمة.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين خاتمة البلد وفاتحة الشمس ودراستها

أولًا: أقوال المفسرين

أ. قال الإمام ابن الزبير الغرناطي: "لما تقدم في سورة البلد تعريفه تعالى بما خُلق فيه الإنسان من الكبد، مع ما جعل له سبحانه من آلات النظر، وبسط له من الدلائل والعبر، وأظهره في صورة من مَلك قيادَه، وميَّز رشده وعناده، وهذا بيان النجدين ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ ...﴿٣﴾﴾ [الإنسان]، وذلك بما جعل له من القدرة الكسبية التي حقيقتها اهتمام، أو كد، أو ألم، وأتى بالاستبداد والاستقلال، ثم ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات]، أقسم سبحانه في هذه السورة على فلاح من اختار رشده، واستعمل جهده، وأنفق وجده ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴿٩﴾﴾ [الشمس] وخيبة من عاب هداه فاتبع هواه، ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴿١٠﴾﴾ [الشمس]، فبيَّن حال الفريقين وسلوك الطريقين"[3].

---

(1) البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص196.

(2) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص365-366.

(3) الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص364.

ب. قال الإمام أبو حيان: "ولما تقدم القَسَم ببعض المواضع الشريفة وما بعدها، أقسم هنا بشيء من العالم العلوي والعالم السفلي، وبما هو آلة التفكر في ذلك، وهو النفس، وكان آخر ما قبلها مختتمًا بشيءٍ من أحوال الكفار في الآخرة، فاختتم هذه بشيء من أحوالهم في الدنيا، وفي ذلك بمآلهم في الآخرة إلى النار، وفي الدنيا إلى الهلاك المستأصل"[1].

ج. قال الإمام البقاعي: "لما أثبت في سورة البلد أن الإنسان في كبد، وختمها بأن من حاد عن سبيله كان في أنكد النكد، وهو النار المؤصدة، أقسم أول هذه _أي الشمس_ على أن الفاعل لذلك أولاً وآخراً هو الله سبحانه؛ لأنه يحول بين المرء وقلبه، وبين القلب ولبه، فقال مقسماً بما يدل على تمام علمه، وشمول قدرته في الآفاق علويها وسفليها، والأنفس سعيدها وشقيها، وبدأ بالعالم العلوي، فأفاد ذلك قطعاً العلم بأنه الفاعل المختار، وعلى العلم بوجوب ذاته وكمال صفاته، وذلك أقصى درجات القوى النظرية، تذكيراً بعظائم آلائه، ليحمل على الاستغراق في شكر نعمائه، الذي هو منتهى كمالات القوى العملية، مع أن أول المقسم به مذكر بما ختم به آخر تلك من النار: ﴿وَٱلشَّمۡسِ ...١﴾ [الشمس]، أي: الجامعة بين النفع والضر بالنور والحر"[2].

د. قال الإمام السيوطي: "إنَّ سورة الشمس ظاهرة الاتصال بسورة البلد، فإنَّه سبحانه لما ختمها بذكر أصحاب الميمنة، وأصحاب المشأمة، أراد الفريقين في سورة الشمس على سبيل الفَذْلَكَة[3]، فقوله في الشمس ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا٩﴾ [الشمس]، هم أصحاب الميمنة في سورة البلد، وقوله: ﴿وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا١٠﴾ [الشمس]، هم أصحاب المشأمة في سورة

---

(1) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج10، ص485

(2) البقاعي، **نظم الدرر**، ج22، ص69-70.

(3) قال الصاغاني: فذلكة: أي أنهاه وأفرغ منه. وقال الخفاجي: جملة عدد قد فصل. ينظر: الزبيدي، محمد بن محمد، **تاج العروس**، مجموعة من المحققين، (دار الهداية)، ج27، ص293-294؛ أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت:1424هـ) مع فريقه، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، (عالم الكتب، ط1، 1429هـ-2008م)، ج3، ص1683.

البلد، فكانت هذه السورة فَذْلَكَة تفصيل تلك السورة؛ ولهذا قال الإمام[1]: المقصود من هذه السورة: الترغيب في الطاعات، والتحذير من المعاصي"[2].

هـ. قال الإمام الآلوسي: "ولما ختم سبحانه السورة المتقدمة بذكر أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة، أعاد جل شأنه في هذه السورة الفريقين على سبيل الفذلكة بقوله سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس]، وفي هذه ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس:8] وهو كالبيان لقوله تعالى في الأولى ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ [البلد]، على أول التفسيرين، وختم سبحانه الأولى بشيء من أحوال الكفرة في الآخرة، وختم جل وعز هذه بشيء من أحوالهم في الدنيا"[3].

و. قال الشيخ الغماري: "ومناسبتها لما قبلها أنَّ الله تعالى بيَّن في السورة السابقة أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة، فذكر هنا أصحاب الميمنة بوصف الفلاح، وأصحاب المشأمة بوصف الخيبة ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس]، فيستفاد مما هناك مع ما هنا أن أصحاب الميمنة مفلحون، أي: فائزون لدخولهم الجنة، وأصحاب المشأمة خائبون، أي: خاسرون لدخولهم النار"[4].

ز. قال الشيخ عبد الحميد الفراهي: "ذكر في السورة السابقة أصحاب الميمنة، والمشأمة الذين بدلوا نعمة الله، وأبطلوا مقصد أمنته، وفرائض بيته من المواساة، فشقوا به أكبر شقوة لطغيانهم، فضرب لهم مثلًا في هذه السورة من قصة أشقى الناس الذي جلب عليهم الهلاك، لما اجترأ في جنب الله، فقريش أولًا هدموا مقصد بيته الحرام، وثانيًا: سيهمون برسوله المكرم مثل ثمود، فيشقون به كما شقوا بكعبته"[5].

ثانيًا: دراسة أقوال المفسرين

---

(1) يقصد بذلك الإمام الرازي. ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، مقاصد سورة الشمس ج31، ص173.

(2) السيوطي، **تناسق الدرر في تناسب السور**، ص160.

(3) الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص357.

(4) الغماري، **جواهر البيان**، ص147.

(5) الفراهي، **نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان**، ص312.

أصابت الحقيقة في سورة الشمس كبدَ الإنسان في سورة البلد؛ والحقيقة هنا طريق الفلاح والخيبة، هذا ما بيَّنه الإمام الغرناطي حين وجه تناسب السورتين، وإلى هذا المعنى أشار الإمام أبو حيان موجهًا بشكل أدق تناسب فاتحة سورة الشمس مع خاتمة ما قبلها.

إنَّ في التناسب الذي ذكره الإمام البقاعي إشارة لطيفة وهي متجهة كما وجَّهها الإمام الغرناطي إلى تناسب فاتحة السورة لمحور السورة السابقة لا خاتمتها.

وكان وجه المناسبة ظاهرًا ومُرجَّحًا عند الإمام السيوطي؛ إذ ربط حال الفريقين في سورة البلد بعاقبتهما في سورة الشمس، مبينًا أن سورة الشمس ناسبت خاتمة البلد بإجمال بعد تفصيل.

وقد اختصر كلٌّ من الشيخين المراغي والزحيلي ما ذكره الإمام السيوطي وما ذكره الآلوسي[1]، مع شيء من بيان المفردات للشيخ الغماري والفراهي.

ومن خلال ما تقدم أقول: لما ذكر الله تعالى حال الأضداد في خاتمة سورة البلد؛ فبيَّن حال أهل الإيمان بتواصيهم بالرحمة لغيرهم وتواصيهم بالصبر وجزائهم، وحالَ أهل الشؤم والضلال وعقابهم ناسب ذلك سير تلك المخلوقات المأمورة بأمر الله تعالى وأضدادها المختومة بالنفس بتبيين الطاعة والمعصية لها، فكان ذكر حال الأضداد وجزاؤهم مناسبًا لذكر حال الأضداد من المخلوقات المأمورة بأمر الله تعالى وبما ختمت به سورة البلد من حال أهل الإيمان وحال أهل الباطل؛ فأهل الميمنة قد زكوا أنفسهم، فأفلحوا ونجوا، وأهل الشؤم قد أضلوا وأغووا أنفسهم، فخابوا وخسروا، ونالوا النار المؤصدة، وهذا المعنى لم يخرج عن أقوال المفسرين وإنما من باب التفصيل، وفي ظاهر التناسب بين السورتين ما يغني عن الشرح والإيضاح.

(1) ينظر: **تفسير المراغي**، ج30، ص165، الزحيلي، **التفسير المنير**، ج30، ص255.

المبحث الثالث: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الليل وخاتمة سورة الشمس

خاتمة سورة الشمس:

قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾ [الشمس].

فاتحة سورة الليل:

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾﴾ [الليل].

المطلب الأول: بين يدي سورة الليل

أولًا: التعريف بالسورة

سورة الليل هي السورة الثانية والتسعون حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، سميت هذه السورة «سورة الليل» بدون واو، وببعض كتب التفسير «سورة والليل»، واختلف في مكيتها ومدنيتها، فالجمهور على أنَّها مكية، وقيل بعضها مكي وبعضها مدني، وعدد آياتها إحدى وعشرون آية، وعدت التاسعة في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة (الأعلى) وقبل سورة (الفجر)[1].

ثانيًا: مقصد السورة

مقصدها بيان صراط الهداية والتحذير من طريق الغواية، وقال الإمام البقاعي "ومقصودها: الدلالة على مقصود الشمس، وهو التصرف التام في النفوس بإثبات كمال القدرة بالاختلاف، وباختلاف الناس في السعي مع اتحاد مقاصدهم، وهي الوصل إلى الملاذ من شهوة البطن والفرج، وما يتبع ذلك من الراحة، واسمها "الليل" أوضح ما فيها على ذلك، بتأمل القَسَم والجواب، والوقوع من ذلك على الصواب، وأيضاً: الليل نفسه دال على ذلك، بأنه على غير مراد النفوس، بما فيه من الظلام، والنوم الذي أخو الموت، وذلك صادر عن كثرة المرادات"[2].

وقال الإمام ابن عاشور في مقصود السورة أنَّها "احتوت على بيان شرف المؤمنين وفضائل أعمالهم، ومذمة المشركين ومساويهم، وأن الله يهدي الناس إلى الخير، فهو يجزي المهتدين بخير الحياتين، والضالين بعكس ذلك، وأنه أرسل رسوله ﷺ للتذكير بالله، وما عنده فينتفع من يخشى فيفلح، ويصدف عن الذكرى من كان شقيًا فيكون جزاؤه النار الكبرى،

(1) ينظر: البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص193؛ الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص365؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص377.

(2) البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص193.

وأولئك هم الذين صدهم عن التذكر إيثار حب ما هم فيه في هذه الحياة، وأدمج في ذلك الإشارة إلى دلائل قدرة الله تعالى وبديع صنعه"[1].

ومن مقاصدها: "الحض على الأوصاف التي يحصل بها الفلاح، والتحذير مما تحصل به الخيبة، مع بيان أن كل إنسان ميسر لما خلق له"[2].

ومما ظهر لي في ضوء ما ذكره المفسرون من مقصد السورة أنه يتحدث عن أحوال أهل القيامة، مع الترغيب والترهيب، وذكر الأمثلة لأهل التقى كأمثال سيدنا أبي بكر الصديق ﷺ ومن تبعهم بإحسان، وأمثلة لمن حاد عنهم وخالفهم.

وقد ربط الإمام البقاعي مقصد السورة باسمها مع ما قبلها في سورة الشمس، فالليل دلالة على الظلام، وهو لأصحاب التحيّر يستغرق جميع أقطار أفكارهم فلا يهتدون الرشد[3]، وبذلك يشير الإمام إلى النفس المذكورة في سورة الشمس، وهو ملمح جيد في ربط مقصد السورتين ببعضهما.

وأجاب الإمام الطاهر إجابةً وافية حول مقصد السورة والغرض منها إذ وضَّحت السورة حال العباد في الدنيا ومصيرهم في الآخرة بإشارة إلى دلائل صنيع الله تعالى وقدرته ليرتدع المسيء، وليزداد أهل الإحسان إحسانًا، ومن دلالات ما أقسم الله تعالى من مخلوقاته أهمية جواب قَسَمِه، حيث ذكر بأنَّ عملكم لمختلف؛ فمنكم: مَن سعيه في طلب دنياه، ومنكم مَن سعيه في شهوات نفسه واتباع هواه، ومنكم مَن في طلب جاهه ومُناه، وآخر في طلب عقباه، وآخر في تصحيح تقواه، وآخر في تصفية ذكراه، وآخر في القيام بحسن رضاه، وآخر في طلب مولاه، ومنكم: من يجمع بين سعي النّفس بالطاعة، وسعي القلب بالإخلاص، وسعي البدن بالقرب، وسعي اللسان بذكر الله، والقول الحسن للناس، ودعاء الخلق إلى الله والنصيحة لهم، ومنهم مَن سعيه في هلاك نفسه، وما فيه هلاك دنياه[4].

---

(1) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص378.

(2) **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ج9، ص169.

(3) ينظر: القشيري: عبد الكريم بن هوزان (ت: 465هـ)، **لطائف الإشارات**، ت: إبراهيم البسيوني، ج3، ص735.

(4) ينظر: المرجع السابق، ج3، ص735-736.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين بين التناسب بين فاتحة الليل وخاتمة الشمس ودراستُها

أولًا: أقوال المفسرين

أ. قال الإمام ابن الزبير الغرناطي: "لما بيَّن قبل حالهم في الافتراق، وأقسَمَ سبحانه على ذلك الشأن في الخلائق بحسب تقديره أزلًا ﴿... لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧﴾ [الكهف:7]، فقال تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤﴾ [الليل]، فاتصل بقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس]، ثم إنَّ قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥﴾ إلى ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل]، يلائمه تفسيرًا وتذكيرًا – بما الأمر عليه من كون الخير والشر بإرادته وإلهامه بحسب السوابق – قوله: ﴿فألْهَمَهَا فجُورَها وتَقْوَاهَا﴾ [الشمس:8]، فهو سبحانه أهَّلهم للإعطاء وللاتقاء والتصدق، والمقدر للبخل والاستغناء والتكذيب، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ [الصافات]، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ۝٢٣﴾ [الأنبياء]، ثم زاد ذلك إيضاحًا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلْـَٔاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ۝١٣﴾ [الليل] [(1)].

ب. قال الإمام أبو حيان: "ولما ذكر فيما قبلها ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس]، ذكر هنا من الأوصاف ما يحصل به الفلاح، وما تحصل به الخيبة، ثم حذر النار، وذكر من يصلاها ومن يتجنبها"[(2)].

ج. قال الإمام البقاعي: "لما بيَّن في الشمس حال من زكى نفسه، وحال من دساها، وأوضح في آخرها من مخالفة ثمود لرسولهم ما أهلكهم، فعلم أنَّ الناس مختلفون في السعي في تحصيل نجد الخير ونجد الشر، فمنهم من تغلب عليه ظلمة الليل، ومنهم من يغلب عليه نهار الهدى، فتباينوا في مقاصدهم، وفي مصادرهم ومواردهم، بعد أن أثبت أنه هو الذي تصرف في النفوس بالفجور والتقوى، أقسم أول هذه بما يدل على عجائب صنعه في ضره ونفعه على ذلك، تنبيهاً على تمام قدرته في أنه الفاعل بالاختيار، يحول بين المرء وقلبه حتى يحمله على التوصل إلى مراده، بضد ما يوصل إليه، بل بما يوصل إلى مضاده، وعلى أنه لا يكاد يصدق

(1) ابن الزبير، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص364-365.

(2) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج10، ص491-492.

الاتحاد في القصد، والاختلاف في السعي والتوصل، وشرح جزاء كل تحذيراً من نجد الشر، وترغيباً في نجد الخير، وبين ما به التزكية وما به التدسية فقال: ﴿وَٱلَّيۡلِ ...١﴾ [الليل]، أي: الذي هو آية الظلام الذي هو سبب الخبط والخلط لما يحدث عنه من الإشكال واللبس في الأحوال والإهلال الموصل إلى ظلمة العدم، وهو محل الأسرار بما يصل الأخيار، ويقطع الأشرار"[1].

د. قال الإمام السيوطي بعد ذكر تناسب السور الثلاث (الشَّمس والَّليل والضُّحَى) تناسبًا إجماليًا: "وسورة الليل هي تفصيل إجمال سورة الشمس، فقوله: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ٥﴾ [الليل] وما بعدها، تفصيل ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا٩﴾ [الشمس]، وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ٨﴾ [الليل]، تفصيل قوله: ﴿وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا١٠﴾ [الشمس]"[2].

هـ. قال الشيخ المراغي: "ومناسبتها لما قبلها أنه ذكر هناك فلاح المطهرين لأنفسهم وخيبة المدسّين لها، وهنا ذكر ما يحصل به الفلاح، وما تحصل فيه الخيبة، فهي كالتفصيل لسابقتها"[3].

و. قال الإمام الغماري: تناسب هذه السورة سابقتها في تقسيم الناس إلى قسمين: مؤمن، وهو المفلح ميسر للجنة، وهي اليسرى، وكافر، وهو الخائب ميسر للنار، وهي العسرى[4].

ز. قال الشيخ الزحيلي: "لما ذكر في سورة الشمس قبلها: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا١٠﴾ [الشمس]، ذكر هنا من الأوصاف ما يحصل به الفلاح، وما تحصل به الخيبة، بقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ٥﴾ ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ٨﴾ [الليل]

---

(1) البقاعي، **نظم الدرر**، ج22، ص85-86.

(2) السيوطي، **تناسق الدرر**، ص160.

(3) **تفسير المراغي**، ج30، ص173.

(4) الغماري، **جواهر البيان**، ص148.

فهي كالتفصيل لما قبلها، ولما كانت سورة الليل نازلة في بخيل، افتتحت بالليل الذي هو ظلمة"[1].

ثانيًا: دراسة أقوال المفسرين

اتفق بعض المفسرين المذكورين على أن سورة الشمس جاءت مجملة، وجاءت سورة الليل مفصلة لها، وقد رد الإمام أبو حيان التناسب في سورة الليل إلى بيان الأوصاف الواردة في سورة الشمس، في قوله تعالى ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس]، وذهب الإمام السيوطي بأنَّ سورة الليل تفصيل بعد إجمال لسورة الشمس.

وربط الإمام البقاعي بين ذكر الله تعالى لحال ثمود، وبين بداية سورة الليل من خلال قَسَم الله تعالى بمخلوقاته الدالة على بيان قدرته في عقاب الظالمين، والإثابة للمحسنين.

وزاد الشيخ المراغي والشيخ الزحيلي عما قاله الإمام أبو حيان، سوى ربط سبب النزول بالسورة وهو بعيدٌ عن مجال البحث، وتكرار لما ذكره الإمام السيوطي[2].

وفصَّل الإمام الغماري في تناسب السورة مع ما قبلها بكونهما قد قسمتا الناس إلى قسمين معلومين، واتفق معظم المفسرين السابقين على أن وجه التناسب بين السورتين هو تناسب تفصيل بعد إجمال.

ويظهر لي من خلال ما تقدم من أوجه المناسبة أنه لما ذكر الله تعالى مآلَ ثمود، وطغيانَهم، وتكذيبَهم لرسولهم، وجحودَهم، ثم جزاءَهم غير المتبوع بخوف؛ لأنه صدر من الجليل سبحانه؛ ناسب ذلك ذكر الليل بظلامه وطغيانه، دلالةً من تفسير قوله تعالى ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾[3] [الفلق]، فناسب ذكر الليل بعد ذكر أهل الضلال، وأقسم الله تعالى

---

(1) الزحيلي، **التفسير المنير**، ج30، ص266.

(2) السيوطي، **تناسق الدرر في تناسب السور**، ص160.

(3) قال ابن عاشور: والليل: تكثر فيه حوادث السوء من اللصوص والسباع والهوام، وتقييد ذلك بظرف إذا وقب أي إذا اشتدت ظلمته لأن ذلك وقت يتحيَّنه الشطار، لتحقق غلبة الغفلة والنوم على الناس فيه، يقال: أغدر الليل، لأنه إذا اشتد ظلامه كثر الغدر فيه، فعبر عن ذلك بأنه أغدر، أي صار ذا غدر على طريق المجاز العقلي. ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص627.

به، إذ يغطي الأرض بظلامه، فيمحو كل شائب ليتجلى النهار صحوًا لعباده المؤمنين الموحدين به، فكما أنَّ النهارَ يطلع ويظهر من بين الظُّلمة، كذلك ينجي الله رسلَه من بين أيدي الظَّلَمَة.

وقد أتت خاتمة الآيات في سورة الشمس بالتفصيل في بيان عاقبة المكذبين، ثم جاءت آيات الليل بالعموم في قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝٤﴾ [الليل]؛ لتبيِّن أنَّ على الإنسان السعي في حياته، فبائع نفسه فمعتقها، كحال أهل الإيمان على مر العصور، أو موبقها كحال أهل ثمود وغيرهم من المشركين بالله تعالى.

المبحث الرابع: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الضحى وخاتمة سورة الليل

خاتمة سورة الليل:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الليل].

فاتحة سورة الضحى:

قال الله تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾﴾ [الضحى].

المطلب الأول: بين يدي سورة الضحى

أولًا: التعريف بالسورة

سورة الضحى هي السورة الثالثة والتسعون حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، سميت هذه السورة في المصحف وفي كثير من كتب التفسير «سورة الضحى»، وسميت في عديد من التفاسير وفي «صحيح البخاري» «سورة والضحى»[1] بإثبات الواو، وهي مكية بالاتفاق، وآياتها إحدى عشرة بدون اختلاف في ذلك، وعدت هذه السورة الحادية عشرة في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة (الفجر) وقبل سورة (الانشراح)[2].

ثانيًا: مقصد السورة

مقصدها فضل النبي ﷺ ومقامه ﷺ عند ربه سبحانه وتعالى، قال الإمام البقاعي: "ومقصودها: الدلالة على آخر الليل، بأن أتقى الأتقياء الذي هو الأتقى على الإطلاق في عين الرضا دائماً، لا ينفك عنه في دنيا ولا في آخرة، لما تحلى به من صفات الكمال، التي هي الإيصال للمقصود، بما لها من النور المعنوي، كالضحى بما له من النور الحسي، الذي هو أشرف ما في النهار، وقد علم بهذا: أن اسمها دال على مقصودها"[3].

وقد ربطَ الإمامُ البقاعي مقصدَ السورةِ باسمها، موجهًا ذلك إلى أفضلية النبي ﷺ في السورة، فكما أن النبي ﷺ قد تحلّى بصفات الكمال فكذلك الضحى الذي هو بداية النور والإشراق، ومن هذا المعنى نستدل بأن مقصد السورة هو بيان فضل الحبيب المصطفى صلوات ربي وتسليماته عليه بذكر نعم الله عليه، والوصايا المتعلقة به.

وقال الإمام ابن عاشور في مقصد سورة الضحى أنها "إبطال قول المشركين حين زعموا أن ما يأتي من الوحي للنبي ﷺ قد انقطع عنه، وزاده بشارة بأنَّ الآخرة خير له من الأولى على معنيين في الآخرة والأولى، وأنه سيعطيه ربه ما فيه رضاه، وذلك يغيظ المشركين، ثم ذكره الله

---

(1) **صحيح البخاري**، كتاب التفسير، باب: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل]، ج6، ص172

(2) ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج5، ص473؛ البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص202؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص393.

(3) البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص202-203.

بما حفَّه به من ألطافه وعنايته في صباه وفي فتوته وفي وقت اكتهاله[1] وأمره بالشكر على تلك النعم بما يناسبها من نفع لعبيده، وثناء على الله بما هو أهله"[2].

"ويدور محور السورة على إثبات أن مدة الوحي ليست دليلًا على القلى، مع تعداد أنعم تدل على الرعاية، بالإضافة إلى توجيه للتعامل مع من حرمها"[3].

وفي مقصد السورة هنا نلحظ أن الإمام ابن عاشور عليه رحمة الله قد شمل المعنى إجمالًا وبيَّن التوجيهات الربانية في هذه السورة مستدلًّا بسبب النزول للسورة، وبدلالات آياتها، وعنوَنَ المقصد برد المشركين عمَّا اتهموا به النبي ﷺ، وفي المقصدين السابقين تكاملٌ وتنوع.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين خاتمة سورة الليل وفاتحة سورة الضحى ودراستها

أولًا: أقوال المفسرين

أ. قال الإمام الرازي: "سورة والليل سورة أبي بكر ﷺ، وسورة الضحى سورة محمد ﷺ، ثم ما جعل بينهما واسطة؛ ليُعلَم أنه لا واسطة بين محمد ﷺ وأبي بكر ﷺ، فإذا ذكرت الليل أولًا وهو أبو بكر ﷺ، ثم صعدت وجدت بعده النهار وهو محمد ﷺ، وإن ذكرت والضحى أولًا وهو محمد ﷺ، ثم نزلت وجدت بعده، والليل وهو أبو بكر ﷺ، ليعلم أنه لا واسطة بينهما"[4].

ب. قال الإمام ابن الزبير الغرناطي: "لما قال تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ [الشمس]، ثم أتبعه بقوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ ...۝٧﴾ [الليل]، وبقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ۝١٣﴾ [الليل]، فلزم الخوف، واشتد الفزع، وتعين على الموحد الإذعان بالتسليم والتضرع في التخلص، والتجاؤه إلى السميع العليم، آنس تعالى أحب عباده إليه، وأعظم منزلة لديه، وذكر له ما منحه من تقريبه واجتبائه، وجمع خير الدارين له، فقال:

---

(1) وأما قولهم للنبات: اكتهل، فإنما هو تشبيه بالرجل الكهل، واكتهال الروضة: أن يعمها النور. قال الأعشى: مؤزر بعميم النبت مكتهل. ينظر: أحمد بن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج5، ص144.

(2) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص294.

(3) **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ج9، ص200.

(4) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج31، ص191.

﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤﴾ [الضحى][1].

ج. قال الإمام أبو حيان: "ولما ذكر فيما قبلها ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ۝١٧﴾ [الليل]، وكان سيد الأتقين رسول الله ﷺ، ذكر تعالى هنا نعمه عليه"[2].

د. قال الإمام البقاعي: "ولما حكم في آخر الليل بإسعاد الأتقياء، وكان النبي ﷺ أتقى الخلق مطلقاً، وكان قد قطع عنه الوحي حيناً ابتلاء لمن شاء من عباده، وكان ﷺ صلاح الدين والدنيا والآخرة، وكان الملوان[3] سبب صلاح معاش الخلق وكثير من معادهم، أقسم سبحانه وتعالى بهما على أنه أسعد الخلائق دنيا وأخرى، فقال مقدماً ما يناسب حال الأتقى الذي قصد به أبو بكر ﷺ قصداً أولياً من النور الذي يملأ الأقطار، ويمحو كل ظلام يرد عليه ويصل إليه، مفهماً بما ذكر من وقت الضياء الناصع حالة أول النهار وآخر الليل التي هي ظلمة ملتف بساقها ساق النهار عند الإسفار: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١﴾ [الضحى]"[4].

هـ. قال الإمام السيوطي في مناسبة سورة الضحى: "أنها متصلة بسورة الليل من وجهين، فإنَّ فيها: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ ۝١٣﴾ [الليل]، وفي الضحى: ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤﴾ [الضحى]، وفي الليل: ﴿وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ۝٢١﴾ [الليل]، وفي الضحى: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضحى]"[5].

و. قال الشيخ الغماري: "ناسب أن تكون سورة الضحى في فضل النبي الأكرم، والرسول الأعظم ﷺ إيذانًا بأن شرف التابع هناك لشرف المتبوع هنا ﷺ".

ز. قال الشيخ الزحيلي: هذه السورة متصلة بسورة الليل من وجهين:

---

(1) ابن الزبير، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص365-366.

(2) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج10، ص496، وقد كرر الآلوسي والمراغي هذه المناسبة. ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص372؛ **تفسير المراغي**، ج30، ص182.

(3) الليل والنهار. ينظر: الكجراتي، جمال الدين، (ت: 986هـ)، **مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار**، (مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط3، 1387هـ)، ج4، ص617.

(4) البقاعي، **نظم الدرر**، ج22، ص101.

(5) السيوطي، **تناسق الدرر**، ص160.

1- ختمت سورة الليل بوعد كريم من الله تعالى بإرضاء الأتقى في الآخرة، وقال تعالى في سورة الضحى مؤكدًا وعده لنبيه ﷺ بقوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضحى].

2- ذكر تعالى في السورة السابقة: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧﴾ [الليل]، ثم عدد الله تعالى نعمه على سيد الأتقياء في هذه السورة وهو محمد ﷺ[1].

ثانيًا: دراسة أقوال المفسرين

اتفق المفسرون المذكورون أن تناسب فاتحة سورة الضحى لخاتمة سورة الليل تناسب تكاملي بين ذكر سورة الليل لسيدنا أبي بكر ﷺ وتفضيلها له، مع ذكر صاحب الضياء والنور سيدنا محمد ﷺ.

وجاءت مناسبة الإمام الرازي على وجهٍ موضوعيٍ بين السورتين، فربط سورة الليل بخاتمتها، وسمَّاها سورة سيدنا أبي بكر ﷺ؛ بسورة الضحى وسماها بسيدنا محمد ﷺ، وهذا الربط سديد إذ فيه إشارة إلى خلافة سيدنا أبي بكر ﷺ وفضله.

وقد جاءت سورة الضحى لتآنس قلب حبيبنا المصطفى ﷺ وأمته، بعد وصايا الله سبحانه وتعالى لأمته بالخضوع والإذعان والتسليم في خاتمة سورة الليل، وهو وجه جيد ذكره الإمام الغرناطي.

وجَّه الإمام أبو حيان مناسبة سورة الضحى إلى أن سيد الأتقين رسول الله ﷺ وبيَّن الله تعالى نعمه عليه، وهو معنىً أشار إليه الرازي في تفسيره، وعلى هذا سار الإمام البقاعي بالتوجيه، إلا أنه ربط خاتمة سورة الليل باسم سورة الضحى.

كان تناسب الإمام السيوطي في المفردات، فذكر الآيات المتشابهة بين السورتين ليترك للقارئ الربط بينهما، فاتضح الوجه في معنى الرضى، ولم يتضح في لفظ الآخرة.

ومن خلال ما تقدم أحاول الاجتهاد في المناسبة بين خاتمة سورة الليل، وفاتحة سورة الضحى، فأرى أنها تتفرع لقسمين؛ أولهما المناسبة الصوتية، ففي آية [19] من سورة الليل كان مقطعها طويلًا في البنيان الصوتي، ثم تناقص هذا في الآية التي بعدها، إلى أن قلَّ الميزان

(1) الزحيلي، **التفسير المنير**، ج30، ص279، أضاف لما نقله من أب حيان. ينظر: **البحر المحيط**، ج10، ص496.

الصوتي للحروف في نهاية السورة، ثم بدأت سورة الضحى بمقطع صوتي أقصر متناسب مع الترتيب الصوتي لسورة الليل، ثم عاد التناسب الصوتي من القصر إلى الطول مرة أخرى، فكانت قراءة الآيات على هذا الشكل: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾ ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾، وفي هذا التناسب معنى لطيف يمكن تصوره؛ وهو أن الليل الممتلئ بالأحداث في أوله ثم يعود إلى هدوئه رويدًا رويدًا إلى أن تشرق شمس الضحى ويبدأ يوم جديد، بالإضافة لمناسبة انتهاء السورة والفصل القرآني فيها، وقد كتب العديد من الباحثين مسائل حول الإعجاز الصوتي ولهم في ذلك آراء مختلفة تصب في إجلال كلام الله تعالى وتعظيمه، وأن هذا القرآن ينتقي الأصوات بحسب الدلالات ليسجل أوثق المعاني وأجملها[1].

وأما وجه المناسبة الأخرى فهو أنه سبحانه وتعالى ذكر في خاتمة سورة الليل حال الفريقين من أهل الفجور وأهل التقى، بما يتضمن من ذكر أمثلة عليهما من سبب النزول؛ ثم أقسم بالضحى الذي يتبع العتمة، وبالليل الذي يقبل بالظلام، فقابلت هاتان الآيتان الفريقين المذكورين في سورة الليل.

وعنوان المناسبة بين السورتين الرضى، فمن كان تقيًّا كسيدنا أبي بكر الصديق ﷺ[2]، فإن الله تعالى سيمنحه الرضى، وأي كرم كمنح الرضى من الله تعالى، وكما أنه تعالى ذكر في سورة الضحى رضى الله لنبيه ﷺ فقد منح الرضى صاحبه أبا بكر ﷺ، ومن كان في دربه.

---

(1) ينظر: أ.د دفة بلقاسم، **نماذج من الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم** دراسة دلالية، قسم الأدب العربي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة الجزائر؛ بدر، عبدالله أبو السعود. (2000)، **الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم**، الإعجاز العلمي: الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ع 7، 48-53؛ داود، محمد محمد إمام. (2010)، **من الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم**، المؤتمر العلمي الدولي الثاني – معالم التلاقي بين علوم اللغة العربية والعلوم الإسلامية: جامعة الأزهر – كلية اللغة العربية بالزقازيق، مج 3، الزقازيق: كلية اللغة العربية بالزقازيق، جامعة الأزهر، 1735 – 1738؛ العبد، محمد السيد سليمان. (1989)، **من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم**، المجلة العربية للعلوم الإنسانية: جامعة الكويت – مجلس النشر العلمي، مج 9، ع 36، 72-111.

(2) قال ابن كثير: "وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق ﷺ، حتى إنَّ بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك. ولا شك أنه داخل فيها". ابن كثير: إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن**

المبحث الخامس: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الشرح وخاتمة سورة الضحى

خاتمة سورة الضحى:

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١﴾ [الضحى].

فاتحة سورة الشرح:

قال الله تعالى: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ۝١ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۝٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ۝٣ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ۝٤﴾ [الشرح].

العظيم، ت: سامي سلامة، عدد3، ج8، ص422. مع مخالفة بعض الفرق من غير أهل السنة كالشيعة لهذا التأويل إذ فسر الطبرسي (الأتقى) بأنه المبالغ في التقى دون ذكر تفسير الصحابة ومن بعدهم لهذه الآية، ينظر: الطبرسي: أبو علي الفضل بن الحسن (ت:548هـ)، **مجمع البيان في تفسير القرآن**، دار العلوم ببيروت، ط10،= =ج10، ص290، وقد أخذ الطبرسي من تفسير الطبري في هذه السورة كثيرًا من الأقوال والشواهد الشعرية، ولم يأخذ ما ذكره عن الصحابة والتابعين في تفسير (الأتقى). ينظر: الطبري، **جامع البيان**، ج24، ص479.

المطلب الأول: بين يدي سورة الشرح

أولًا: التعريف بالسورة

سورة الشرح هي السورة الرابعة والتسعون حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، سميت في بعض التفاسير (سورة الشرح)، و(سورة الانشراح)، و(سورة ألم نشرح)، وهي مكية، ذكر أكثر المفسرين الإجماع على ذلك، ووافق البقاعي هذا الإجماع، إلا أنه ذكر قولًا لم أجده عند غيره لسيدنا ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة بمدنيَّتها، وقد عدت الثانية عشرة في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة (الضحى) بالاتفاق وقبل سورة (العصر)، وهي ثماني آيات[1].

ثانيًا: مقصد السورة

مقصدها مؤانسة فؤاد النبي ﷺ وبشارته بالخير العظيم، وقال الإمام البقاعي: "ومقصودها تفصيل ما في آخر الضحى من النعمة، وبيان أن المراد بالتحدث بها: هو شكرها بالنصب في عبادة الله، والرغبة إليه بتذكر إحسانه، وعظيم رحمته بوصف الربوبية، وامتنانه. وعلى ذلك دل اسمها (الشرح)"[2].

وقال الإمام ابن عاشور: "احتوت على ذكر عناية الله تعالى لرسوله ﷺ بلطف الله له، وإزالة الغم والحرج عنه، وتفسير ما عسر عليه، وتشريف قدره لينفس عنه، فمضمونها شبيه بأنه حجة على مضمون سورة الضحى تثبيتًا له بتذكيره سالف عنايته به، وإنارة سبيل الحق، وترفيع الدرجة، ليعلم أن الذي ابتدأه بنعمته ما كان ليقطع عنه فضله، وكان ذلك بطريقة التقرير بماض يعلمه النبي ﷺ، وأتبع ذلك بوعده بأنه كلما عرض له عسر فسيجد من أمره يسرًا كدأب الله تعالى في معاملته، فليتحمل متاعب الرسالة، ويرغب إلى الله عونه"[3].

---

(1) ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج5، ص496؛ البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص207؛ الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص385؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص407-408؛ سعيد حوى، **الأساس في التفسير**، ج11، ص6575.

(2) البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص207-208.

(3) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص407-408.

وقد أعاد الإمام البقاعي مقصد السورة إلى التي قبلها، ثم إلى اسمها، وهو ما دأب عليه الإمام في ذكر مقاصد السور، فربط بين الإيضاح في هذه السورة، وبين توجيه الله تعالى نبيه ﷺ بالتحدث بالنعم في السورة التي قبلها.

وأورد الإمام البقاعي أغراضًا ومقاصد مهمة للسورة، وهي المبادئ التي قامت عليها السورة، ويمكن أن تعنون بتشريف النبي ﷺ وبشارته.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة الشرح وخاتمة الضحى ودراستها

أولًا: أقوال المفسرين

أ. قال الإمام الرازي: "يروى عن طاوس وعمر بن عبد العزيز أنهما كانا يقولان هذه السورة وسورة الضحى سورة واحدة، وكانا يقرءانهما في الركعة الواحدة، وما كانا يفصلان بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم، والذي دعاهما إلى ذلك هو أنَّ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ ...﴿١﴾﴾ [الشرح]، كالعطف على قوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴿٦﴾﴾ [الضحى]، وليس كذلك لأنَّ الأول: كان نزوله حال اغتمام الرسول ﷺ من إيذاء الكفار، فكانت حال محنة وضيق صدر والثاني: يقتضي أن يكون حال النزول منشرح الصدر، طيب القلب، فأنى يجتمعان"[1].

ب. قال الإمام ابن الزبير الغرناطي: "معنى سورة الشرح من معنى السورة التي قبلها، وحاصل السورتين تعداد نعمه عليه سبحانه، فإن قلت فلم فصلت سورة (ألم نشرح) ولم ينسق ذكر هذه النعم في سورة واحدة قلت: من المعهود في البشر فيمن عدد على ولده أو عبده نعماء أن يذكر له أولًا ما شاهد الحصول عليه منها بكسبه مما يمكن أن يتعلق في بعضها بأن ذلك وقع جزاء لا ابتداء، فإذا استوفى له ما قصده من هذا، أتبعه بذكر نعم ابتدائية قد كان ابتداؤه لها قبل وجوده؛ كقول الأب مثلًا لابنه: ألم أختر لأجلك الأم، والبقعة، حيث استولدتك وأعددت من مصالحك كذا وكذا، ونظير ما أشرنا إليه قوله سبحانه لزكرياء عليه الصلاة والسلام ﴿... وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴿٩﴾﴾ [مريم]، وقد قدم له: ﴿... إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ...﴿٧﴾﴾ [مريم]، وتوهم استبداد الكسبية في وجود الولد غير خافية في حق من قَصر نظره

(1) ينظر: **مفاتيح الغيب**، ج32، ص205.

ولم يوفَّق، فابتدأ بذكرها، ثم أعقب ما لا يمكن أن يتوهم فيه ذلك وهو قوله: ﴿... وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝٩﴾ [مريم]، وله نظائر من الكتاب، وعليه جاء ما ورد في هاتين السورتين والله أعلم"[1].

ج. قال الإمام أبو حيان: "مناسبتها لما قبلها ظاهرة"[2].

د. قال الإمام البقاعي: "ولما أمره ﷺ آخر الضحى بالتحديث بنعمته التي أنعمها عليه فصَّلها في هذه السورة، فقال مثبتاً لها في استفهام إنكاري مبالغة في إثباتها عند من ينكرها والتقرير بها مقدماً المنة بالشرح في صورته قبل الإعلام بالمغفرة كما فعل ذلك في سورة الفتح الذي هو نتيجة (الشرح)، لتكون البشارة بالإكرام أولاً لافتاً القول إلى مظهر العظمة تعظيماً للشرح: ﴿ألم نَشْرَح﴾ أي شرحاً يليق بعظمتنا"[3].

هـ. قال الإمام السيوطي: "هي شديدة الاتصال بسورة الضحى؛ لتناسبهما في الجمل؛ ولهذا ذهب بعض السلف إلى أنهما سورة واحدة بلا بسملة بينهما[4]، قال الإمام[5]: والذي دعاهم إلى ذلك هو: أن قوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ ...۝١﴾ [الشرح]، كالعطف على ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦﴾ [الضحى]، قلت: وفي حديث الإسراء أن الله تعالى قال: "يا محمد، ألم أجدك يتيمًا فأويت، وضالًّا فهديت، وعائلًا فأغنيت، وشرحت لك صدرك، وحططت عنك

(1) الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص368.

(2) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج10، ص499.

(3) البقاعي، **نظم الدرر**، ج22، ص115.

(4) ينظر: **مفاتيح الغيب**، ج32، ص205.

(5) ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج32، ص205.

وزرك، ورفعت لك ذكرك، فلا أذكر إلا ذكرت"[1] الحديث، أخرجه ابن أبي حاتم، وفي هذا أَوْفَى دليل على اتصال السورتين معنى"[2].

و. قال صاحب الظلال: "نزلت هذه السورة بعد سورة الضحى، وكأنها تكملة لها، فيها ظل العطف الندي. وفيها روح مناجاة الحبيب للحبيب، وفيها استحضار مظاهر العناية، واستعراض مواقع الرعاية، وفيها البشرى باليسر والفرج، وفيها التوجيه إلى سر اليسر وحبل الاتصال الوثيق"[3].

ز. قال الشيخ الغماري: "نفى الله تعالى في السورة السابقة ترك نبيه، ردًا لدعوى بعض المشركين ذلك، وامتن عليه ببعض نعمٍ أنعم عليه بها قبل النبوة، ثم قال له ﴿وأَمَّا بنعمةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى:11]، فذكر هنا نعمًا منحه إيَّاها في بدء النبوة وبعدها، وهي شرح صدره،

---

(1) ينظر: الطحاوي: أحمد بن محمد (ت:321هـ)، **شرح مشكل الآثار**، ت: شعيب الأرنؤوط، (مؤسسة الرسالة، ط1، 1415 هـ)، ج10، ص125؛ الطبراني: سليمان بن أحمد (ت:360هـ)، **المعجم الأوسط**، ت: طارق بن عوض الله بن محمد , عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني،(القاهرة: دار الحرمين)، رقم:3651، ج4، ص75؛ **قال النقاش في سند هذا الحديث: لا أعلم أحدا رواه عن سعيد غير عطاء**. ينظر: النقاش: محمد بن علي الأصبهاني (ت:414هـ)، **ثلاثة مجالس من أمالي أبي سعيد النقاش**، الناشر: مخطوط نُشر في برنامج جوامع الكلم المجاني التابع لموقع الشبكة الإسلامية الطبعة: الأولى، 2004، ص23. توقفت الرواية عند (ألم أجدك ضالًّا فهديتك)؛ **قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط**. ينظر: الهيثمي: علي بن أبي بكر (ت:807هـ)، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، ت: حسام الدين القدسي، (القاهرة: مكتبة القدسي، 1414 هـ)، رقم: 13922، ج8، ص254.

وقد رجعت إلى (عطاء بن السائب) في كتب علم الرجال فوجدته ثقة إلا أنه اختلط في آخر عمره. ينظر: **طبقات ابن سعد** ج6، ص338؛ **ثقات ابن حبان**، ج3، ص190؛ **تهذيب التهذيب**، ج7، ص203؛ الذهبي: محمد بن أحمد، **سير أعلام النبلاء**، ج6، ص110. وبحثت إن كان وقع الخلط منه في هذه الرواية أم بعدها، وكان الذي أخذ منه هذا الحديث هو حماد بن زيد، ووقع البحث على قولين في عطاء، الأول: قال النسائي: "ثقة في حديثه القديم، إلا أنه تغير، ورواية: حماد بن زيد، وشعبة، وسفيان عنه جيدة"، وقال أبو النعمان: "عن يحيى بن سعيد: عطاء بن السائب تغير حفظه بعد، وحماد بن زيد سمع منه قبل أن يتغير". ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج6، ص113. وهذا دليل على صحة الرواية، ولا ضعف فيها؛ لثبوت رواية حماد بن زيد عن عطاء قبل اختلاطه والله أعلم.

(2) السيوطي، **تناسق الدرر**، ص161.

(3) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ص3929.

ووضع وزره، ورفع ذكره، وتيسير العسير له، فالسورتان متناسبتان في الموضوع، متقاسمتان بيان فضل النبي عليه الصلاة والسلام"[1].

ح. قال الشيخ الزحيلي: "هي شديدة الاتصال بسورة الضحى، لتناسبهما في الجمل والموضوع؛ لأن فيهما تعداد نعم الله تعالى على نبيه ﷺ، مع تطمينه وحثه على العمل والشكر، حيث قال في السورة السابقة: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦﴾ [الضحى]، وأضاف هنا وعطف: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ [الشرح]، ولهذا ذهب بعض السلف إلى أنهما سورة واحدة بلا بسملة بينهما، والأصح المتواتر كونهما سورتين، وإن اتصلتا معنى"[2].

ثانيًا: دراسة أقوال المفسرين

اتفق المفسرون المذكورون على أن وجه المناسبة بين خاتمة سورة الضحى وفاتحة سورة الشرح متعلق ببيان فضل الحبيب المصطفى ﷺ وعلو منزلته، وقدره عند الله.

وضرب الإمام الغرناطي مثالًا في وجه مناسبة السورتين ولله المثل الأعلى، وكان المثال صوابًا في موضعه، فبيان النعم الجزائية تسبق بيان النعم الابتدائية، وهو ما أتت به سورة الشرح، وبذلك رد الإمام الغرناطي قول من يجمع بين السورتين لفظًا.

ثم ذكر الإمام البقاعي مناسبة دقيقة بين السورتين، فبيَّن أن الاستفهام الإنكاري المذكور في سورة الشرح مناسبٌ لخاتمة سورة الضحى، ولحق بعده المغفرة، لأن البشارة بالإكرام أولى من وضع الوزر.

وأورد الإمام السيوطي الرواية على سبيل الاتصال المعنوي لا اللفظي، لأن المتواتر أولى من الآحاد، وهذه الرواية رغم الحكم بصحتها إلا أنها ليست دليلًا على الاتصال اللفظي بين

---

(1) الغماري، **جواهر البيان**، ص149.

(2) الزحيلي، **التفسير المنير**، ج30، ص291. وأشار إلى هذا الخلاف كثير من المفسرين، قال الآلوسي بعد ذكره رواية طاووس وعمر بن العزيز: ".... وعلى ذلك الشيعة كما حكاه الطبرسي منهم". ينظر: **روح المعاني**، ج15، ص385. نقل الرواية من الطبري؛ ولم أجد هذا الوصل للسورتين عند الطبرسي في تفسيره (مجمع البيان)، وإنما ذكر ذلك في تفسيره جوامع الجامع أشار إلى أن هذا القول من رواية العياشي عن الصادق كما في المجمع. ينظر: الطبرسي، **مجمع البيان**، ج10، ص299؛ الطبرسي، **تفسير جوامع الجامع**، ت: مؤسسة النشر الإسلامي، ط1، 1421هـ.ج3، ص804.

سورة الضحى وسورة الشرح، ويكفي هذا القول رد الإمام الرازي؛ إذ بيَّن أن سورة الضحى نزلت حين حزن النبي ﷺ من أذى المشركين فجاءت حال ضيق في الصدر، وسورة الشرح اقتضت أن تنزل حال انشراح في الصدر وتطييب لخاطر الحبيب صلوات ربي وسلامه عليه فلا يجتمعان في سورة واحدة.

وقد صاغ سيد قطب والشيخ الغماري المناسبة بين السورتين بشكل موضوعي، إذ جاءت السورتان مبينتين فضل النبي ﷺ وعلو منزلته، وتحدثه بنعم ربه أن شرح صدره.

وقد أعاد الشيخ الزحيلي المعنى الذي ذكره الإمام السيوطي في وجه مناسبة فاتحة سورة الشرح مع خاتمة سورة الضحى، مع ذكره للخلاف بين السورتين.

وما إن يستنشق المرءُ نسماتِ الضحى إلا وينشرحُ صدره، في يومٍ غابت بلياليه همومُه وأحزانُه.

ومن خلال ما تقدم من أوجه المناسبة يتبين أن فاتحة سورة الشرح أتت مكملة لخاتمة سورة الضحى، وذلك من عدة وجوه، أولها تناسبُ انتهاءِ الوصايا في سورة الضحى ببيان الله تعالى نعمه لحبيبه ﷺ، وهو من باب من التشريف والتعظيم لحبيبنا المصطفى ﷺ، ثانيها ناسبت آخر كلمة في سورة الضحى بداية أول سورة الشرح، وكأنه توجيه إلهي للنبي ﷺ أن يحدث ويبوح بشرح صدره، ووضع وزره، ورفع ذكرهﷺ.

ثم إن البشارة الربانية لحبيبنا المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه تتضح في هاتين السورتين، وفيهما من الرسائل العجيبة لأمته ﷺ، فإن من اقتدى بالنبي ﷺ في رحمته باليتيم والضعيف، وبعدم زجره للسائل المحتاج، وبالشاكر لإحسانه، الحامد الذاكر لنعمه سبحانه؛ فسيشرح الله له صدره، ويزيل همومه وأحزانه، ويرفع ذكره.

المبحث السادس: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة التين وخاتمة سورة الشرح

خاتمة سورة الشرح:

قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ۝٨﴾ [الشرح].

فاتحة سورة التين:

قال الله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ۝٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٍ ۝٤﴾ [التين].

المطلب الأول: بين يدي سورة التين

أولًا: التعريف بالسورة

سورة التين هي السورة الخامسة والتسعون حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، سميت لدى بعض كتب التفسير بـ «سورة والتين» بإثبات الواو تسمية بأول كلمة فيها، وسماها بعضهم «سورة التين» بدون واو لأن فيها لفظ «التين»، وهي مكية عند أكثر العلماء، وذكر القرطبي عن قتادة أنَّها مدنية، ونسب أيضا إلى ابن عباس، والصحيح عن ابن عباس أنه قال: هي مكية، وعدت الثامنة والعشرين في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة البروج، وقبل سورة الإيلاف، وعدد آياتها ثمان[1].

ثانيًا: مقصد السورة

مقصدها بيان فضل الإنسان، وقال الإمام البقاعي في مقصد سورة التين: "ومقصودها: سر مقصود (ألم نشرح)، وذلك هو إثبات القدرة الكاملة، وهو المشار إليه باسمها، فإن في خلق التين والزيتون من الغرائب، ما يدل على ذلك، وكذا فيما أشير إليه بذلك من النبوات، وضم القَسَم إلى المقسم عليه، وهو الإنسان، الذي هو المحب ما في الأكوان، واضح في ذلك"[2].

وقال الإمام ابن عاشور: "احتوت هذه السورة على التنبيه بأن الله خلق الإنسان على الفطرة المستقيمة ليعلموا أن الإسلام هو الفطرة، كما قال في الآية الأخرى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم:30]، وأنَّ ما يخالف أصوله بالأصالة أو بالتحريف فساد وضلال، ومتبعي ما يخالف الإسلام أهل ضلالة، والتعريض بالوعيد للمكذبين بالإسلام، والإشارة بالأمور المقسم بها إلى أطوار الشرائع الأربعة إيماء إلى أنَّ الإسلام جاء مصدقًا لها، وأنها مشاركة أصولها لأصول دين الإسلام، والتنويه بحسن جزاء

---

(1) ينظر: القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت:671هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ج20، ص110؛ البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص209؛ الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص393؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص419؛ سعيد حوى، **الأساس في التفسير**، ج11، ص6589.

(2) البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص209.

الذين اتبعوا الإسلام في أصوله وفروعه، وشملت الامتنان على الإنسان بخلقه على أحسن نظام في جثمانه ونفسه"[1].

وتحدث الإمام البقاعي في سورة التين أن مقصدها إثبات قدرة الله، من خلال اسمها الدال على العجائب في معناه اللفظي وما يدل إليه كالنبوات السماوية، أما الإمام ابن عاشور ففصَّل في مقاصدها ومعانيها، فبينت السورة أن الناس خُلقوا على الفطرة المستقيمة، ودلالة القسم هو النبوات الأربعة توضيحًا أن الإسلام أتى مكملًا ومصدقًا لها.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين خاتمة الشرح وفاتحة التين ودراستها

أولًا: أقوال المفسرين

أ. قال الإمام ابن الزبير الغرناطي: "هذه سورة موضحة ومتممة للمقصود في السورتين قبلها، فبان لك أن الصور الإنسانية بظاهر الأمر مما هي عليه من الترتيب والإتقان، قد كانت تقتضي الاتفاق بظاهر ارتباط الكمال بها، من حيث إنها في أحسن تقويم والافتراق يبعد في الظاهر، .... فأوضحت هذه السورة أن ما أعطى الله نبيه ﷺ وخصه به من ضروب الكرامات، وابتدأه به من عظيم الآلاء مما تضمنت السورتان إلى ما منحه من خير الدارين، وما تضمن قَسَمه سبحانه أنه ما ودعه ولا قلاه من الملاطفة والتأني ودلائل الحب والتقريب، كل ذلك فضل منه تعالى وإحسان لا لعمل تقدم يستوجب ذلك أو بعضه، ولو تقدم عمل لم يقع إلا بمشيئته وتوفيقه وإرادته، ولا يستوجب أحد عليه شيئاً وإنما هو فضله يوتيه من يشاء، فقال سبحانه منبهًا على ما وقع الإيماء إلى بعضه ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٍ ۝٤﴾ [التين]"[2].

ب. قال الإمام أبو حيان: "ولما ذكر فيما قبلها من كمَّله الله خَلْقًا وخُلُقًا، وفضَّله على سائر العالم، ذكر هنا حالة من يعاديه، وأنه يرده أسفل سافلين في الدنيا والآخرة، وأقسم تعالى بما أقسم به أنه خَلَقَه مهيئًا لقبول الحق، ثم نقله كما أراد إلى الحالة السافلة"[3].

---

(1) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص419-420.

(2) ابن الزبير الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص396-370.

(3) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج10، ص502.

ج. قال الإمام البقاعي: "لما ذكر سبحانه وتعالى في تلك السورة (الشرح) أكمل خلقه وما كمله به، وختمها بالأمر بتخصيصه سبحانه وتعالى بالرغبة إليه، فكان ﷺ يقوم حتى تورم قدماه، ويبذل الجهد لمولاه في كل ما يرضاه، ذكر في هذه (التين) أنه سبحانه وتعالى كما جعل ذاته أكمل ذوات المخلوقات خصه بأن جعل نوعه ﷺ أكمل الأنواع وهو الإنسان، وأصله أعظم الأصول هو إبراهيم ﷺ، وبلده أفضل البلاد وهي مكة، وأن من عاداه بمنابذة شرعه أسفل الخلق، وأن له سبحانه وتعالى تمام القدرة، وهو فاعل بالاختيار، يعلي من يشاء ويسفل من يشاء، فمنزلتها من آخر تلك منزلة العلة من المعلول، وأقسم فيها بأشياء أشار بها إلى شرفها في أنفسها، وفي عجيب صنعها، وشرف البقاع التي يكون بها إيماء إلى ما شرفها به مما أظهر بها من الخير والبركات بسكنى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والصالحين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ..."[1].

د. قال الإمام السيوطي: "...فظهر من هذه المناسبة وضعها بعد (أَلَمۡ نَشۡرَحۡ)، فإن سورة الشرح أخبر فيها عن شرح صدر النبي ﷺ، وذلك يستدعي كمال عقله ورُوحِه، فكلاهما في القلب الذي محله الصدر، وعن تبرئته من الوِزْر الذي ينشأ عن النفس والهوى، وهو معصوم منهما، وعن رفع الذكر؛ حيث نزه مقامه عن كل وصم، فلما كانت هذه السورة في هذا العلَم الفرد من الإنسان، أعقبها بسورة مشتملة على بقية الأناسي، وذكر ما خامرهم من متابعة النفس والهوى"[2].

هـ. قال الإمام الآلوسي: "ولما ذكر سبحانه في السورة السابقة حال أكمل النوع الإنساني بالاتفاق، بل أكمل خلق الله عزَّ وجلَّ على الإطلاق ﷺ ذكر عزَّ وجلَّ في هذه السورة حال النوع، وما ينتهي إليه أمره وما أعد سبحانه لمن آمن منه، بذلك الفرد الأكمل وفخر هذا النوع المفضل ﷺ وشرَّف وعظَّم وكرَّم فقال عزَّ قائلًا: بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١﴾ [التين]"[3].

---

(1) البقاعي، **نظم الدرر**، ج22، ص129-130.

(2) السيوطي، **تناسق الدرر**، ص162-163.

(3) الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص393.

و. قال الشيخ الغماري: "امتنَّ الله على نبيه ﷺ في السورة السابقة بخصال شرَّفه بها، فناسب أن يشرِّف بلده الذي نشأ فيه، فأقسم به تشريفًا له ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ۝٣﴾ [التين] مكة"[1].

ز. قال الشيخ سعيد حوى: "فالصلة واضحة بين نهاية سورة (أَلَمۡ نَشۡرَحۡ) وبداية سورة (التِّين) فسورة (أَلَمۡ نَشۡرَحۡ) تأمر بالعمل الصالح، وسورة التين تبين أنه لا خلاص من السقوط إلا بالإيمان والعمل الصالح"[2].

ح. قال الدكتور عبد الله الخطيب: بين الله تعالى مقام النبي ﷺ في سورة التين ثم بين موقف الناس برسالته، ما بين تابع لطريق العليين بالهداية، أو طريق أسفل سافلين بالضلالة، فسورة الشرح تبين مقام النبوة، وسورة التين توضح مصير من اتبع هذا المقام من الأمم، وقد ركزت سورة التين على منهجين مهمين منذ بدء الخليقة، فشجرة طوبى التي تفرَّع منها الأنبياء وأتباعهم، وشجرة الزقوم التي خرج منها الفراعنة وأتباعهم[3].

ثانيًا: دراسة أقوال المفسرين

قال الإمام القشيري: "قال تعالى: ﴿وَطُورِ سِينِينَ ۝٢﴾ [التين]، وهو الجبل الذي كلّم الله موسى عليه، ولموضع قدم الأحباب حرمة، ﴿وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ۝٣﴾ [التين]، يعني: مكة، ولهذا البلد شرف كبير، فهي بلد الحبيب ﷺ، وفيها البيت، ولبيت الحبيب، وبلد الحبيب قدرٌ ومنزلة"[4].

وقد أشار الإمام ابن الزبير الغرناطي إلى أن مناسبة فاتحة سورة التين لما قبلها تشير إلى الكمال الذي خلقه الله تعالى في النبي ﷺ، ذاكرًا نعم الله تعالى على نبيه ﷺ، وبيَّن الإمام أبو حيان أن سورة التين إشارة إلى من يعادي النبي ﷺ بأن يرده إلى أسفل السافلين، بعد أن خلقه على فطرة سوية تقبل الحق.

---

(1) الغماري، **جواهر البيان**، ص150.

(2) سعيد حوى، **الأساس في التفسير**، ج11، ص6589.

(3) هذا التوجيه مما ذكره أ.د عبد الله الخطيب جزاه الله خيرًا أثناء وضع تعديلاته على الرسالة.

(4) ينظر: القشيري، **لطائف الإشارات**، ج3، ص745.

وأوضح الإمام البقاعي وجه تناسب فاتحة سورة التين مع خاتمة سورة الشرح، مفصِّلًا ما ذكره الإمام أبو حيان، مشيرًا إلى أن أكمل الأنواع هو الإنسان، وأكمل البشر هو حبيب رب العالمين ﷺ، إضافة لذكره مدلول القسم الذي أقسم الله تعالى به بداية السورة مع ما يناسب خاتمة سورة الشرح، وهو قول راجح عندي في وجه مناسبة فاتحة سورة التين لما قبلها، لأنه ربط بين فاتحة السورة وخاتمتها، دون الرجوع إلى السورة كاملة بموضوعها، أو مع ما قبلها، وهو ما دأب عليه الإمام البقاعي في ذكر مناسباته.

وأضاف الإمام السيوطي ملمحًا جديدًا في أوجه المناسبة، إذ إن سورة التين أتمت بقية أصناف الناس، فبعد بيان فضل النبي ﷺ الكامل في الروح والعقل المنزه عن النقص في الهوى والنفس؛ وضحت سورة التين تتمة الأصناف من البشر، وانطلق الآلوسي من هذا الوجه ليبين أن خاتمة سورة التين تناسب فاتحة العصر من خلال بيان حال الفرد الأكمل ﷺ، ثم بيان حال هذا النوع وهو الإنسان، وذلك في سورة التين، فناسب ترتيبهما.

وقد لخص المراغي ما أتى به الآلوسي[1]، وقد أشار الشيخ سعيد حوى إلى أنه لا خلاص من السقوط إلَّا من صاحَب الإيمان والعمل الصالح، ففسر ﴿...أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥﴾ [التين]، بالسقوط، وبعضهم فسَّره بالهرم والشيب، وما الاستثناء إلا بيان جريان الأجر للعبد، كما كان حال شبابه.

ومن خلال ما تقدم من أقوال المفسرين أقول: إن الرجوع إلى الله تعالى لا يتأتى دون معرفة طريقه، والتفكر في الأمم الماضية والحاضرة، والتأمل في خلق الله للإنسان، فمن أوجه المناسبة بين خاتمة سورة الشرح وفاتحة سورة التين أن التقرب إلى الله تعالى في العبادة والطاعة والاجتهاد في ذلك سبيلٌ إلى معرفةِ الإنسان ذاته، وتبصِّره في نفسه، وتأسيهِ بحبيبه ﷺ.

ثم إن هذه الإشارات الربانيَّة في سورة التين المكية، لتوضح عظمة هذا الدين في شموليته وهيمنته على الشرائع السابقة، وإن المسلك الصحيح الذي يجب أن يسير عليه الناس هو مسلك النبي ﷺ والاقتداء به.

(1) ينظر: **تفسير المراغي**، ج30، ص193.

إن الناظر من غير تأمل ليجد انعدام التناسب بين هاتين السورتين، ثم إذا تتبَّع معانيهما، ومدلول ألفاظهما، واطلع على أقوال المفسرين واجتهاداتهم في المناسبة بينهما، عَلِمَ حقًّا وصدقًا أن هذا القرآن من عند الله تعالى، وأن ترتيب السور فيه توقيفيٌ، وأن الخلاف الذي وقع في ذلك لا يجعل له نصيبًا من الرجحان، والله أعلم[1].

(1) ينظر لمعرفة أقوال العلماء في هذا الخلاف: طه عابدين طه، **ترتيب سور القرآن الكريم**، دراسة تحليلية لأقوال العلماء، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، العدد التاسع، السنة الخامسة والسادسة.

المبحث السابع: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة العلق وخاتمة سورة التين

خاتمة سورة التين:

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾ [التين].

فاتحة سورة العلق:

قال الله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق].

المطلب الأول: بين يدي سورة العلق

أولًا: التعريف بالسورة

سورة العلق هي السورة السادسة والتسعون حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، اشتهرت تسمية هذه السورة في عهد الصحابة والتابعين باسم «سورة اقرأ باسم ربك»، وسميت في المصحف ومعظم التفاسير «سورة العلق»؛ لوقوع لفظ «العلق» في أوائلها، وعنونها البخاري: «سورة اقرأ باسم ربك الذي خلق»[1]، وتسمى: «سورة اقرأ»، وعنونها ابن عطية وأبو بكر بن العربي: «سورة القلم» وهذا اسم سميت به: «سورة ن»، وهي مكية بالاتفاق، وهي أول سورة نزلت في القرآن كما ثبت في الأحاديث الصحيحة الواضحة، ونزل أولها بغار حراء على النبي ﷺ وهو مجاور فيه في رمضان ليلة سبع عشرة منه من سنة أربعين بعد الفيل، إلى قوله: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق]، ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة، وعدد آياتها في عد أهل المدينة ومكة عشرون، وفي عد أهل الشام ثمان عشرة، وفي عد أهل الكوفة والبصرة تسع عشرة[2].

ثانيًا: مقصد السورة

مقصدها بيان الاتجاهات التي يسلكها الإنسان، حتى يبلغ الحقيقة الكبرى ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨﴾ [العلق]، وقال الإمام البقاعي في مقصد سورة العلق: "ومقصودها، الأمر بعبادة من له الخلق والأمر، شكراً لإحسانه، واجتناباً لكفرانه، طمعاً في جنانه، وخوفاً من نيرانه، لما ثبت من أنه يدين العباد يوم المعاد، وكل من اسميها دال على ذلك، لأن المربي يجب شكره، ويحرم كفره، على أن "اقرأ" يشير إلى الأمر، والعلق يشير إلى الخلق، واقرأ يدل على البداية، وهي العبادة بالمطابقة، وعلى النهاية، وهي النجاة يوم الدين باللازم، والعلق يدل على كل من النهاية والبداية بالالتزام، لأن من عرف أنه مخلوق من دم؛ عرف أن خالقه قادر على إعادته من تراب، فإن التراب أقبل للحياة من الدم، ومن صدَّق بالإعادة عمل لها،

---

(1) ينظر: **صحيح البخاري**، كتاب التفسير، ج6، ص173.

(2) ينظر: البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص212؛ الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص399؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص433-434؛ سعيد حوى، **الأساس في التفسير**، ج11، ص6597.

وخصَّ العلق، لأنه مركب الحياة، ولذلك سمي نفساً، فكأنه إشارة إلى تحريم أكل الدم، لأن من أكله تطبع بطابع صاحبه، وصارت نفسه كنفسه"[1].

وقال الإمام ابن عاشور في مقصد سورة العلق: هو "تلقين محمد ﷺ الكلام القرآني وتلاوته، إذ كان لا يعرف التلاوة من قبل، والإيماء إلى أن علمه بذلك ميسر، لأنَّ الله الذي ألهم البشر العلم بالكتابة قادر على تعليم من يشاء ابتداءً، وإيماء إلى أن أمته ستصير إلى معرفة القراءة والكتابة والعلم، وتوجيهه إلى النظر في خلق الله الموجودات، وخاصة خلقه الإنسان خلقًا عجيبًا مستخرجًا من علقة، فذلك مبدأ النظر، وتهديد من كذَّب النبي ﷺ، وتعرَّض ليصدّه عن الصلاة والدعوة إلى الهدى والتقوى، وإعلام النبي ﷺ أن الله عالم بأمر من يناوؤنه وأنه قامعهم وناصر رسوله، وتثبيت الرسول ﷺ على ما جاءه من الحق والصلاة والتقرب إلى الله، وأن لا يعبأ بقوة أعدائه؛ لأن قوة الله تقهرهم"[2].

وقد بيَّنت سورة العلق عظيم قدرة الله، ببيان خلق الإنسان من علق، وقدرة الله عل تعليمه بعد خلقه، وكلها دلائل جلية على عظيم قدرة الله وكمال فضله[3].

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة العلق وخاتمة التين ودراستُها

أولًا: أقوال المفسرين

أ. قال الإمام ابن الزبير الغرناطي: "لما قال سبحانه لنبيه ﷺ ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾ [التين]، وكأن معنى ذلك على هذا بعد وضوح الأمر لك وبيانه، وقد نزهه تعالى عن التكذيب بالحساب، وأعلى قدره عن ذلك، ولكن سبيل هذا إذا ورد كسبيل قوله تعالى: ﴿... لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ...۝٦٥﴾ [الزمر]، وبابه، وحكم هذا القبيل واضح في حق من تعدى له الخطاب، وقصد بالحقيقة به من أمته ﷺ من حيث عدم عصمتهم وإمكان تطرق الشكوك والشبهة إليهم، فتقدير الكلام: أي شيء يمن فيه أن يحملكم على التوقف والتكذيب بأمر الحساب، وقد وضح لكم ما يرفع

(1) البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص213.

(2) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص433-434.

(3) **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ج9، ص249.

الريب ويزيل الإشكال، ألم تعلموا أن ربكم أحكم الحاكمين، أفيليق به وهو العليم الخبير أن يجعل اختلاف أحوالكم في الشكوك بعد خلقكم في أحسن تقويم، أيحسن أن يفعل ذلك عبثًا وقد قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا... ﴿٢٧﴾﴾ [ص]، فلما قرر سبحانه العبيد على أنه أحكم الحاكمين مع ما تقدم من موجب نفي الاسترابة في وقوع الجزاء إذا اعتبر ونظر، وقعت في الترتيب سورة العلق مشيرة إلى ما به يقع الشفاء، ومنه يعلم الابتداء والانتهاء، أو هو كتابه المبين الذي جعله تبيانًا لكل شيء وهدىً ورحمةً وبشرى للمحسنين، فأمر بقراءته ليتدبروا آياته فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴿١﴾﴾ [العلق]، أي مستعينًا به فسوف يتضح سبيلك وينتهج دليك، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴿١﴾﴾ [الفرقان]، وأيضًا فإنَّه تعالى أعلم عباده بخلقه الإنسان ﴿... فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴿٥﴾﴾ [التين]، وحصل منه على ما قدم بيانه افتراق الطرفين وتباين الغايتين، كل ذلك بسابق حكمته وإرادته ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا ...﴿١٣﴾﴾ [السجدة]"[1].

ثم عقد الإمام الغرناطي فصلًا أذكرها هنا لأهميتها:

"ولعل بعض من يتفطن، يعترض هنا بأن هذه السورة من أول ما نزل فكيف يستقيم مرادك من ادعاء ترتيبها على ما تأخر عنها نزولًا؟، فنقول له: وأين غاب اعتراضك في عدة سور مما تقدم، بل في معظم ذلك، وإلا أفليست سورة البقرة من المدني ومقتضى تأليفنا هذا بناء ما بعدها من السور ــ على الترتيب الحاصل في مصحف الجماعة ــ إنما هو عليها وفيما بعد من المكي ما لا يحصى؟، فإنما غاب عنك نسيان ما قدمناه في الخطبة من أن ترتيب السور على ما هي عليه راجع إلى فعله عليه الصلاة والسلام، كان ذلك بتوقيف منه أو باجتهاد الصحابة رضي الله عنهم على ما قدمناه، فارجع بصرك وأعد في الخطبة نظرك، والله يوفقنا إلى اعتبار بيانه وتدبر آياته ويحملنا في ذلك ما يقربنا إليه بمنه وفضله"[2].

---

(1) الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص370-371. ينظر المصدر نفسه، تحقيق: سعيد الفلاح، ص213.

(2) ينظر: المرجع السابق، ص372.

ب. قال الإمام أبو حيان: "ولما ذكر فيما قبلها خَلْقُ الإنسان في أحسن تقويم، ثم ذكر ما عرض له بعد ذلك، ذكره هنا منبهًا على شيء من أطواره، وذكر نعمته عليه، ثم ذكر طغيانه بعد ذلك، وما يؤول إليه حاله في الآخرة"[1].

ج. قال الإمام البقاعي: "لما أمره سبحانه وتعالى في (الضُّحَى) بالتحديث بنعمته، وذكره بمجامعها في ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾، فأنتج ذلك إفراده بما أمره به في ختمها من تخصيصه بالرغبة إليه، فدلَّ في الزيتون على أنَّه أهل لذلك لتمام قدرته الذي يلزم منه أنه لا قدرة لغيره إلا به، فأنتج ذلك تمام الحكمة، فأثمر قطعاً البعث للجزاء، فتشوف السامع إلى ما يوجب حسن الجزاء في ذلك اليوم وبأيّ وسيلة يقف بين يدي الملك الأعلى في يوم الجمع الأكبر من خصال الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فأرشد إلى ذلك في هذه السورة، فقال بادئاً بالتعريف بالعلم الأصلي ذاكراً أصل من خلقه سبحانه وتعالى في أحسن تقويم، وبعض أطواره الحسنة والقبيحة تعجيباً من تمام قدرته سبحانه وتعالى، وتنبيهاً على تعرفها وإنعام النظر فيها، وقدم الفعل العامل في الجار والمجرور هنا لأنه أوقع في النفس لكونها أول ما نزل فكان الأمر بالقراءة أهم: ﴿اقْرَأْ﴾ وحذف مفعوله إشارة إلى أنه لا قراءة إلا بما أمره به، وهي الجمع الأعظم، فالمعنى: أوجد القراءة لما لا مقروء غيره، وهو القرآن الجامع لكل خير"[2].

د. قال الإمام السيوطي: "لما تقدم في سورة التين بيان خلق الإنسان في أحسن تقويم، بيَّن هنا أنه تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢﴾ [العلق]، وذلك ظاهر الاتصال، فالأول بيان العلة الصورية، وهذا بيان العلة المادية، أنه تعالى لما قال في آخر التين: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين:8]، بيَّن في أول العلق أنه تعالى مصدر علم العباد بحكمته، فبين أنه ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق]، وصدر ذلك بالأمر بالقراءة، واستفتاحها باسمه دائمًا؛ لتكون للإنسان عونًا على كمال العلم بحكمة أحكم الحاكمين."[3].

هـ. قال الشيخ الغماري: "مناسبة هذه السورة لما قبلها: أنَّ الله تعالى أنكر في السورة السابقة على الكفار تكذيبهم بالبعث ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ۝٧﴾ [التين]، والخطاب

(1) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج10، ص506.

(2) البقاعي، **نظم الدرر**، ج22، ص152.

(3) السيوطي، **تناسق الدرر**، ص163

للمكذب بالبعث، والاستفهام إنكاري، فصرح هنا بالبعث، وأكد وقوعه ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ۝٨﴾ [العلق]"[1].

و. قال الشيخ المراغي: "مناسبتها لما قبلها أنَّه ذكر هناك خلق الإنسان في أحسن تقويم، وذكر هنا خلق الإنسان من علق، إلَّا أنه ذكر هنا من أحوال الآخرة ما هو كالشرح والبيان لما سلف"[2].

ز .قال الشيخ سعيد حوى: "رأينا أنَّ سورة التين تنتهي بقوله تعالى: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ ۝٧﴾ [التين]، ورأينا أن أحد الاتجاهين في تفسيرها أن الخطاب لرسول الله ﷺ، وتقديره: فمن يكذبك بعد هذا البيان يا محمد في أمر اليوم الآخر والجزاء والحساب؟ وأن الاتجاه الآخر في الآية: فما يحملك أيها الإنسان على التكذيب بالحساب؟ وتأتي سورة العلق بعد ذلك لتخاطب رسول الله ﷺ ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ...۝١﴾ [العلق]، فإنَّ القراءة المأمور بها هي الدليل على أنَّ يوم الدين آت، فللسورة صلتها الواضحة بما قبلها"[3].

ثانيًا: دراسة أقوال المفسرين

ذكر الإمام الغرناطي وجه المناسبة بين فاتحة سورة العلق وخاتمة سورة التين، من خلال مناسبة ابتداء الإنسان ونهايته في سورة العلق لبيان الله تعالى أنه أحكم الحاكمين في سورة التين، مع مقابلة بين حسن التقويم وخلق الله للإنسان.

أما تعقيب الإمام الغرناطي اللاحق لوجه المناسبة؛ فهو تأكيده على معنى أوجه المناسبة بناءً على ترتيب المصحف، إذ قد يُشكل على القارئ بيان وجه مناسبة سورة العلق لما قبلها مع كونها أول ما نزل من القرآن، فرد ذلك إلى أن أوجه المناسبة هذه أتت بناءً على ترتيب المصحف لا على ترتيب النزول، فسورة البقرة مدنية، وإذا أوجب تقديمها بناء على تاريخ النزول تكون مكية لا مدنية.

---

(1) الغماري، **جواهر البيان**، ص150.

(2) **تفسير المراغي**، ج30، ص197.

(3) سعيد حوى، **الأساس في التفسير**، ج11، ص6599.

وقد ربط الإمام أبو حيان بين سورتي التين والعلق من خلال استيضاح سورة العلق للأطوار والنعم التي مُنحت للإنسان الذي خلق في أحسن تقويم، فكانت سورة العلق مفصلةً لمجمل سورة التين.

ووجَّه الإمام البقاعي المناسبة على نحوٍ موضوعي بين سورة العلق وما قبلها من سور الضحى والشرح والتين، بحيث تكون سورة العلق نتيجة الجزاء المتعلق للعبد، مع التعريف بأصل خلقة الإنسان ونعم الله تعالى عليه، وهذا الوجه من قبيل ما ذكره الإمام أبو حيان مع شيءٍ من التفصيل.

ومن الأوجه الحسنة في بيان وجه المناسبة بين فاتحة سورة العلق وخاتمة سورة التين ما انقدحت له بصيرة الإمام السيوطي رحمه الله، إذ أوضح أنَّ في سورة التين بيان العلة الصورية الأصلية في قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٍ ۝٤﴾ [التين]، وفي سورة العلق بيان العلة المادية: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢﴾ [العلق]، فلما ختمت سورة التين بالاستفهام الإنكاري عن أحكم الحاكمين، أتى الأمر الإلهي بالقراءة التي توصل للعلم النافع، وفي سياق وجه المناسبة هذا سار المراغي والآلوسي والزحيلي[1].

وكانت مناسبة سورة العلق لما قبلها عند الشيخ سعيد حوى من خلال قوله تعالى: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ﴾ [التين:7]، مع أول سورة العلق، وأن القراءة دلالة على يوم الدين، وهذا وجه فريد مأخوذ من أن القراءة في ابتداء خلق الإنسان دليل على سأن له نهاية محتومة يحاسب على عمله فيها.

وظهر لي أن من صفات أهل الإيمان والصلاح؛ المداومة على التأمل في ملكوت الله تعالى، وما خلق وأبدع سبحانه، ولما ذكر الله تعالى خَلْقَه الإنسانَ في أحسن تقويم ناسب في سورة العلق بيان وكيفية نشأته في قوله: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢﴾[العلق].

(1) ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص400؛ **تفسير المراغي**، ج30، ص197؛ الزحيلي، **التفسير المنير**، ج30، ص311.

ثم إنَّ عدم معرفة الله تعالى والتفكر بآلائه سبيلُ أهل التكذيب وديدنهم، فلو عرفوا الله وعبدوه حق عبادته لكانوا من أهل الإيمان والعمل الصالح، ولكنهم أبوا إلا أن يكونوا أسفل السافلين.

وها هي الآيات الأولى التي نزلت على قلب الرسول ﷺ تقرر حقيقة عظيمة وجليلة أنَّ القراءةَ باسم الله هي مفتاحُ فَهم الكون، ومفتاحُ السعادة في الدنيا والآخرة، وأن العلم الحقيقي النافع إنما مصدره الجليل سبحانه الذي هو أحكم الحاكمين، فناسب الأمرُ الإلهي في القراءة بين عوالم الحق والتفكر بآلائه في سورة العلق ﴿ٱقۡرَأۡ... ١﴾ [العلق]، التأملَ في معرفة الله تعالى والتفكر في مخلوقاته ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ١ وَطُورِ سِينِينَ٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ٣﴾ [التين]؛ ليصل الإنسان بروحه من بداية نشأته إلى يوم جزائه.

المبحث الثامن: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة القدر وخاتمة سورة العلق

خاتمة سورة العلق:

قال الله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾ [العلق].

فاتحة سورة القدر:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾﴾ [القدر].

المطلب الأول: بين يدي سورة القدر

أولًا: التعريف بالسورة

سورة القدر هي السورة السابعة والتسعون حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، سميت هذه السورة في المصحف وكتب التفسير بـ (سورة القدر)، وهي مكية في قول الجمهور، ويروى عن ابن عباس ﷺ، وعن ابن عباس أيضًا والضحاك أنها مدنية ونسبه القرطبي إلى الأكثر، وقال الواقدي: هي أول سورة نزلت بالمدينة، ويرجحه أن المتبادر أنها تتضمن الترغيب في إحياء ليلة القدر وإنما كان ذلك بعد فرض رمضان بعد الهجرة، وقد عدها جابر بن زيد الخامسة والعشرين في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة (عبس) وقبل سورة (الشمس)، فأما قول من قالوا إنها مدنية فيقتضي أن تكون نزلت بعد المطففين وقبل البقرة، وآياتها خمس في العدد المدني والبصري والكوفي، وست في العد المكي والشامي[1].

ثانيًا: مقصد السورة

مقصدها بيان أفضلية ليلة القدر وعظيم شأنها، وقال الإمام البقاعي: "ومقصودها: تفضيل الأمر الذي هو إحدى قسمي ما ضمنه مقصود اقرأ، وعلى ذلك دل اسمها، لأنَّ ليلة القدر فضلت به، فهو من إطلاق المسبب على السبب، وهو دليلٌ لمن يقول باعتبار تفضيل الأوقات، لأجل ما كان فيها، كما قال ذلك اليهودي في اليوم الذي نزل فيه: ﴿...ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ...﴿٣﴾﴾ [المائدة]، وأقره الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ على ذلك، والله أعلم"[2].

وقال الإمام ابن عاشور: إنَّ مقصد السورة هو "التنويه بفضل القرآن وعظمته بإسناد إنزاله إلى الله تعالى، والردِّ على الذين جحدوا أن يكون القرآن منزلًا من الله تعالى، ورفع شأن

---

(1) ينظر: البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص216؛ الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص411؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص455؛ سعيد حوى، **الأساس في التفسير**، ج11، ص6597.

(2) البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص216. والرواية هي عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، أَنَّ رَجُلًا، مِنَ اليَهُودِ قَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَءُونَهَا، لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ اليَهُودِ نَزَلَتْ، لاَتَّخَذْنَا ذَلِكَ اليَوْمَ عِيدًا. قَالَ: أَيُّ آيَةٍ؟ قَالَ: ﴿... ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا...﴿٣﴾﴾ [المائدة]...) ينظر: **صحيح البخاري**، كتاب: التفسير، باب: زيادة الإيمان ونقصانه، رقم الحديث:45، ج1، ص18،

الوقت الذي أُنزل فيه، ونزول الملائكة في ليلة إنزاله، وتفضيل الليلة التي توافق ليلة إنزاله من كل عام، ويستتبع ذلك تحريض المسلمين على تَحيُّن ليلة القدر بالقيام والتَّصدق"[1].

لقد أشار الإمام البقاعي في مقصد سورة القدر إلى دلالة نزول القرآن الكريم في سورة العلق، ودلالة شرف الأوقات وتفضيلها اعتبارًا بحديث سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ مع اليهودي وإقرار الفاروق على هذا التفضيل، فمقصد السورة عند الإمام متعلق بفضيلة ليلة القدر ورَبْطِ ذلك مع السورة التي قبلها.

ونبَّهت سورة القدر إلى عظمة القرآن الكريم كما بيَّن ذلك الإمام ابن عاشور، مضيفًا أنها جاءت للرد على المشركين المكذبين لكتاب الله تعالى، ومن مقاصدها بيان عظمة ليلة القدر، والحث على تحري وقوعها.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة القدر وخاتمة العلق ودراستُها

أولًا: أقوال المفسرين

أ. قال الإمام ابن الزبير الغرناطي: "وردت تعريفًا بإنزالِ ما تقدم الأمر بقراءته لما قدمت الإشارة إلى عظيم أمر الكتاب، وأن السلوك إليه سبحانه إنما هو من ذلك الباب، أعلم سبحانه بليلة إنزاله، وعرفنا بقدرها لنعتمدها في مظان دعائنا، وتعلق رجائنا، ونبحث على الاجتهاد في العمل، لعلنا نوافقها، وهي كالساعة في يوم الجمعة في إبهام أمرها مع جليل قدرها، ومن قبيل الصلاة الوسطى، ولله سبحانه في إخفاء ذلك رحمة، وكأنَّ في التعريف بعظيم قدر هذه الليلة التعريف بجلالة المنزل فيها، فصارت سورة القدر من تمام ما تقدم ووضح اتصالها"[2].

(1) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص455.

(2) الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص372.

ب. قال الإمام أبو حيان: "ومناسبتها لما قبلها ظاهر، لما قال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ [العلق]، فكأنه قال: اقرأ ما أنزلناه عليك من كلامنا، ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١﴾ [القدر]"[1].

ج. قال الإمام البقاعي: "لما ذكر الله سبحانه وتعالى كتابه في هذا الذكر العربي المعجز، ذكر إنزاله مستحضراً في كل قلب، كان ذلك مغنياً عن إعادته بصريح اسمه، فكان متى أضمره علمه المخاطب بما في السياق من القرائن الدالة عليه، وبما له في القلب من العظمة وفي الذهن من الحضور لا سيما في هذه السورة لافتتاح العلق بالأمر بقراءته، وختمها بالصلاة التي هي أعظم أركانها، فكانت دلالتها عليه دلالة هي في غاية الوضوح، فكان كأنه قال: واقترب بقراءة القرآن في الصلاة، فكان إضماره أدل على العظمة الباهرة من إظهاره، لدلالة الإضمار على أنه ما تم شيء ينزل غيره فهو بحيث لا يحتاج إلى التصريح به، قال مفخماً له بأمور: إضماره، وإسناد إنزاله إليه، وجعل ذلك في مظهر العظمة، وتعظيم وقت إنزاله المتضمن لعظمة البلد الذي أنزل فيه على قول الأكثر، والنبي الذي أنزل عليه، مؤكداً لأجل ما لهم من الإنكار، ﴿إِنَّا﴾"[2].

د. قال الإمام السيوطي: "قال الخطابي: لما اجتمع أصحاب النبي ﷺ على القرآن، ووضعوا سورة القدر عقب العلق، استدلوا بذلك على أن المراد بهاء الكناية في قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١﴾ [القدر]، إلى قوله: ﴿ٱقۡرَأۡ...۝١﴾ [العلق]، قال القاضي أبو بكر بن العربي: وهذا بديع جدًّا"[3].

---

(1) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج10، ص513.

(2) البقاعي، **نظم الدرر**، ج22، ص176-177.

(3) قال المحقق مرزوق علي إبراهيم: وهناك مناسبة أخرى خفية؛ هي: أنه تعالى لما ختم العلق بالأمر بالسجود والاقتراب من الله، وكان المقصود من الاقتراب التعرض للرحمة الفائضة من الله على المصلّي، والصلاة لا تكون إلا بقرآن، ذكر في أول هذه السورة أن القرآن رحمة في ذاته، ورحمة في الزمان الذي نزل فيه وهو ليلة القدر التي تتنزل الملائكة فيها بالروح والسلام على الكون. ينظر: السيوطي، **تناسق الدرر**، ص163.

هـ. قال الإمام الآلوسي: "ووجه مناسبتها قبلها أنها كالتعليل للأمر بقراءة القرآن المتقدم فيه، كأنه قيل: اقرأ القرآن، لأنَّ قدره عظيم، وشأنه فخيم"[1].

و. قال الإمام ابن عاشور: "ومن تسديد ترتيب المصحف أن وضعت سورة القدر عقب سورة العلق مع أنها أقل عدد آيات من سورة البينة وسور بعدها، كأنه إيماء إلى أن الضمير في ﴿... أَنزَلْنَٰهُ ...١﴾ [القدر]، يعود إلى القرآن الذي ابتدئ نزوله بسورة العلق"[2].

ز. قال الشيخ المراغي: "ومناسبتها لما قبلها أنَّ في تلك (العلق) أمرَ الرسول ﷺ بأن يقرأ القرآن باسم ربه الذي خلق، واسم الذي علم الإنسان ما لم يعلم، وفي هذه ذكر القرآن ونزوله وبيان فضله، وأنه من عند ربه ذي العظمة والسلطان، العليم بمصالح الناس، وبما يسعدهم في دينهم ودنياهم، وأنه أنزله في ليلة لها من الجلال والكمال ما قصته السورة الكريمة"[3].

ح. قال الشيخ الغماري: "افتتحت السورة السابقة بأمر النبي عليه الصلاة والسلام بالقراءة، ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ١﴾ [العلق]، فناسب أن يذكر في هذه السورة إنزال القرآن المأمور بقراءته ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ١﴾ [القدر][4].

ط. قال الشيخ الزحيلي: "أمر الله تعالى في سورة العلق نبيه ﷺ بقراءة القرآن باسم ربه الذي خلق، واسم الذي علّم الإنسان ما لم يعلم، ثم أبان في هذه السورة زمن البدء في نزول القرآن، وهو ليلة القدر ذات الشرف الرفيع والقدر العالي بسبب نزول القرآن فيها"[5].

ثانيًا: دراسة أقوال المفسرين

أشار الإمام الغرناطي في وجه مناسبة فاتحة سورة القدر مع خاتمة سورة العلق إلى شرح لسورة القدر وعظم الليلة فيها، مع إشارة مناسبة لأول سورة العلق، وهو من قبيل مناسبة فاتحة السورة لما قبلها، وعلى هذا سار الإمام أبو حيان في بيان وجه المناسبة.

---

(1) الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص411.

(2) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص456.

(3) **تفسير المراغي**، ج30، ص206.

(4) الغماري، **جواهر البيان**، ص151.

(5) الزحيلي، **التفسير المنير**، ج30، ص330.

وتوسع الإمام البقاعي في بيان المناسبة، إذ كان وجه المناسبة التي ذكرها واضحة جليَّة للقارئ، حيث ربط القرب والسجود في سورة العلق بتلاوة القرآن الكريم مع جلالة القرآن وعظمة إنزاله في سورة القدر، ولخص هذا المعنى الإمام الآلوسي.

ونقل الإمام السيوطي قولًا عن الإمام الخطابي رحمه الله[1] ولم يعلق عليه، والقول متصل بأول سورة العلق كما ذكر ذلك الإمام الغرناطي، وتابعهما ابن عاشور، ولم أتوصل إلى أثر من الصحابة في قول: إنَّ سبب وضع سورة القدر عقب العلق راجع إلى الضمير في قوله تعالى: ﴿... أَنزَلْنَٰهُ ...۝١﴾ [القدر]، وقد ابتدأ الإمام الخطابي المصدر بقوله "وقد قيل: إنَّ أصحاب رسول الله ﷺ حين جمعوا القرآن وضعوا سورة القدر عقب سورة العلق ليدلوا بذلك على أن المراد بهاء الكناية في قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ ...۝١﴾ [القدر]، القرآن، إشارة إلى قوله: ﴿ٱقْرَأْ...۝١﴾ [العلق]"، ولم تذكر (قيل) في نقل الإمام السيوطي، ومن المعلوم أن من دلالات مفردة (قيل) الضعف ومجهولية المصدر، ولما بحثت في هذه الرواية وجدتها عند الخطابي رحمه الله، ولم أجدها عند غيره، وحال هذه الرواية كحال الأثر المسند إلى سيدنا عثمان بن عفان ﷺ في ترتيب الأنفال إذ حقق د. طه عابدين السندَ وخرَّجه وبين ضعفه[2]، هذا من ناحية السند، أما من ناحية المتن، فلو كان ترتيب السور من الصحابة رضوان الله عليهم لوصلت إلينا روايات تتعلق بهذا الترتيب واختياراتهم واختلافاتهم لأجل ذلك، ولما كانت أكثر سور القرآن مرتبة بأمرٍ توقيفيٍ من عند النبي ﷺ كان من الضرورة إرسال بقية السور على هذا الأساس والله أعلم، وقد أشار الدكتور عبد الله الخطيب إلى أن النص المذكور من الخطابي لا يعني أن الترتيب اجتهادي بل إن الاستدلال هذا قوى أمر الترتيب.

وقد ربط الشيخ المراغي فاتحة سورة القدر مع أول سورة العلق بالأمر الإلهي لقراءة القرآن الكريم مع توجيه ذلك في سورة القدر، وإلى هذا سار الشيخ الغماري والزحيلي، وهو توجيه مناسب وغير متكلف، وهو متعلق بمناسبة فاتحة السورة لفاتحة ما قبلها.

---

(1) ينظر: أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت 388 هـ)، **أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)**، ت: محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، ج1، ص446.

(2) ينظر: طه عابدين طه، **ترتيب سور القرآن الكريم**، ص61.

ومن أوجه المناسبة في هذه الآيات بيان فضل السجود في ليالي القدر، فلما ختم الله تعالى سورة العلق بتوجيه حبيبه ﷺ إلى السجود والقرب منه مهاجرًا عن كل صنوف الهموم، مستريحًا بصلاته ﷺ، ألمح إليه ﷺ وإلى أمته أنَّ من ليالي القرب والمناجاة ليلة القدر.

وفي هذه الآيات دعوةٌ لكل مهموم ومكروب ضاقت عليه سبل الدنيا، بأن سبيل الفرج هو السجود والقرب من الحق سبحانه وتعالى، فعن سيدنا أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»[1]، ولا بد لتحقيق مراد هذا السبيل من التخلق بأخلاق القرآن العظيم والسير في طريقه، معظِّمًا لشعائره، متعرِّضًا لنفحات أيامه، اللهم حققنا بهذه الأيام تحققًا يورثنا الرضى منك يا كريم.

قال الإمام القشيري رحمه الله: "في ليلةٍ قُدِّر فيها الرحمة لأوليائه، في ليلةٍ يجد فيها العابدون قدر نفوسهم، ويشهد فيها العارفون قدر معبودهم، وشتَّان بين وجود قدر، وشهود قدر! فلهؤلاء وجود قدر، ولكن قدر أنفسهم، ولهؤلاء شهود قدر ولكن قدر معبودهم"[2].

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الصلاة، باب: ما يقال في الركوع والسجود، رقم الحديث: 482، ج1، ص350.

(2) القشيري، **لطائف الإشارات**، ج3، ص750.

المبحث التاسع: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة البيّنة وخاتمة سورة القدر

خاتمة سورة القدر:

قال الله تعالى: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ۝٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ۝٥﴾ [القدر].

فاتحة سورة البيّنة:

قال الله تعالى: ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ۝١ رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ۝٢ فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ ۝٣﴾ [البينة].

المطلب الأول: بين يدي سورة البينة

أولًا: التعريف بالسورة

سورة البينة هي السورة الثامنة والتسعون حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، وردت تسمية هذه السورة في كلام النبي ﷺ: ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا...١﴾ [البينة]، روى البخاري ومسلم عن سيدنا أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال لسيدنا أبي بن كعب ﷺ: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك: لم يكن الذين كفروا قال: وسماني لك؟ قال: نعم. فبكى»[1]، فقوله: أن أقرأ عليك لم يكن الذين كفروا واضح أنه أراد السورة كلها فسماها بأول جملة فيها[2]، وسميت هذه السورة في معظم كتب التفسير وكتب السنة سورة (لم يكن)، وسميت «سورة القيِّمة» وكذلك في بعض التفاسير، وسميت في المصحف «سورة البينة»، وسميت سورة «البرية» وسميت «سورة الانفكاك»، فهذه ستة أسماء، واختلف في أنها مكية أو مدنية، وهي مكية عند الجمهور، وقد عدت إحدى ومئة في ترتيب النزول، نزلت بعد سورة (الطلاق) وقبل سورة (الحشر)، وعدد آياتها ثمان عند الجمهور، وعدها أهل البصرة تسع آيات[3].

ثانيًا: مقصد السورة

مقصودها بيان عظيم التنزيل الحكيم في مآل أهل الضلال وأهل النعيم، وقال الإمام البقاعي: "ومقصودها: الإعلام بأنَّ هذا الكتاب القيم، من علو مقداره، وجليل آثاره، إن كان لقوم نُوراً وهدى، فهو لآخرين وَقْراً وعمى، فيقود إلى الجنة دار الأبرار، ويسوق إلى النار دار الأشقياء الفجار، وفي ذلك دلَّ كلٌّ من أسمائها: الذين كفروا، والمنفكين، والبرية،

---

(1) **أخرجه البخاري**، كتاب: التفسير، باب مناقب أبي بن كعب ﷺ، رقم الحديث: 3809، ج5، ص36، باب كلا لئن لم ينته، رقم الحديث:4959، ج6، ص175؛ **أخرجه مسلم**، كتاب: فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب: فضائل أبي بن كعب ﷺ، رقم: 799، ج4، ص1915.

(2) هذا تعليق الطاهر بن عاشور. ينظر: **التحرير والتنوير**، ج30، ص467.

(3) ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج5، ص507؛ البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص219؛ الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص424؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص467-468؛ سعيد حوى، **الأساس في التفسير**، ج11، ص6619.

بتأمل الآية في انقسام الناس إلى أهل الشقاوة، وأهل الهداية، والقيمة: بانقسام أهل الدعوة فيها بحسب الإرادة إلى القسمين: أهل الشقاوة وأهل السعاد"[1].

وقال الإمام ابن عاشور في مقصد سورة البينة: إنها "توبيخ المشركين وأهل الكتاب على تكذيبهم بالقرآن والرسول ﷺ، والتعجيب من تناقض حالهم إذ هم ينتظرون أن تأتيهم البينة فلما أتتهم البينة كفروا بها، وتكذيبهم في ادعائهم أن الله أوجب عليهم التمسك بالأديان التي هم عليها، ووعيدهم بعذاب الآخرة، والتسجيل عليهم بأنهم شر البرية، والثناء على الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ووعدهم بالنعيم الأبدي ورضى الله عنهم وإعطائه إياهم ما يرضيهم، وتخلل ذلك تنويه بالقرآن وفضله على غيره باشتماله على ما في الكتب الإلهية التي جاء بها الرسول ﷺ من قبل وما فيه من فضل وزيادة"[2].

وجَّه الإمام البقاعي مقصد سورة البيِّنة إلى مزية القرآن الكريم القيم في كونه طريقًا لأهل الإيمان سعادة وتمسكًا، ولأهل الشقاء وبالًا وعمى، وعلى هذا سار الإمام ابن عاشور في مقصد السورة مفصِّلًا وموضحًا حال الفريقين.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة البيِّنة وخاتمة القدر ودراستها

أولًا: أقوال المفسرين

أ. قال الإمام ابن الزبير الغرناطي: "هي من كمال ما تقدمها، لأنه لما أمر عليه السلام بقراءة كتابه الذي به اتضحت وقامت حجته، وأتبع ذلك بالتعريف بليلة إنزاله وتعظيمها بعظيم ما أهلت له مما أنزل فيها، أتبع ذلك بتعريفه عليه السلام بأن هذا الكتاب هو الذي كانت يهود تستفتح به على مشركي العرب وتعظم أمره وأمر الآتي به حتى إذا حصل ذلك مشاهدًا لهم كانوا أول كافر، فقال تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١﴾ ... إلى قوله ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: 1-5]"، وفي التعريف بهذا تأكيد ما تقدم بيانه مما يثمر الخوف وينهج بإذن الله التسليم والتبري من ادعاء حول أو قوة، فإن هؤلاء كانوا قد قدم إليهم في أمر الكتاب والآتي به ما

(1) البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص220.

(2) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص468.

يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل، وقد كانوا يؤملون الانتصار به عليه الصلاة والسلام من أعدائهم ويستفتحون بكتابه، فرحم الله من لم يكن عنده علم منه كأبي بكر وعمر وأنظارهما رضى الله عنهم، وحرم هؤلاء الذين قد كانوا على بصيرة من أمره وجعلهم بكفرهم شر البرية ورضي عن الآخرين ورضوا عنه، وأسكنهم في جواره ومنحهم الفوز الكبير والحياة الأبدية، وإن كانوا قبل بعثته عليه السلام على جهالة وعمى، فلم يضرهم إذ قد سبق لهم في الأزل: ﴿...أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧﴾ [البينة]"[1].

ب. قال الإمام أبو حيان: "ولما ذكر إنزال القرآن، وفي السورة التي قبلها ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ [العلق]، ذكر هنا أنَّ الكفار لم يكونوا منفكين عن ما هم عليه حتى جاءهم الرسول يتلو عليهم ما أنزل عليه من الصحف المطهرة التي أمر بقراءتها"[2].

ج. قال الإمام البقاعي: "لما أخبر سبحانه وتعالى أن الليلة الشريفة التي صانها بنوع خفاء في تنزل من يتنزل فيها وفي تعيينها لا تزال قائمة على ما لها من تلك الصفة حتى يأتي الفجر الذي يحصل به غاية البيان، أخبر أن أهل الأديان سواء كان لها أصل من الحق أم لا لم يصح في العادة الجارية على حكمة الأسباب في دار الأسباب أن يتحولوا عما هم فيه إلا بسبب عظيم يكون بيانه أعظم من بيان الفجر، وهو القرآن المذكور في القدر والرسول المنزل عليه ذلك فقال: ﴿لَمۡ يَكُنِ﴾ أي في مطلق الزمان الماضي والحال والاستقبال كوناً هو كالجبلة والطبع، وهذا يدل على ما كانوا عليه قبل ذلك من أنهم يبدلون ما هم عليه من الكفر أو الإيمان بكفر أو بدعة ثم لا يثبتون عليه لأن ذلك ليس في جبلاتهم، وإنما هو خاطر عارض كما هو محكيّ عن سيرتهم من بعد موسى عليه الصلاة والسلام لما كانت تسوسهم الأنبياء عليهم السلام"[3].

---

(1) الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ت: الفلاح، ص215.

(2) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج10، ص518.

(3) البقاعي، **نظم الدرر**، ج22، ص185-186.

د. قال الإمام السيوطي: "هذه السورة واقعة موقع العلة لما قبلها؛ كأنه لما قال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ ...﴿١﴾﴾[القدر:1] قيل: لِمَ أنزل؟ فقيل: لأنه لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة، وهو رسول من الله يتلو صحفًا مطهرة، وذلك هو المنزَّل"[1].

هـ. قال الإمام الآلوسي: "ووجه مناسبتها لما قبلها أن قوله تعالى فيها ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البينة:1] كالتعليل لإنزال القرآن كأنه قيل: إنّا أنزلناه لأنه لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى يأتيهم رسول يتلو صحفًا مطهرةً وهي ذلك المنزل فلا تغفل"[2].

و. قال الشيخ سعيد حوى: " رأينا أنَّ سورة القدر بدأت بقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر:1]، فهي حديث عن القرآن، والملاحظ أن سورة البينة تبدأ بقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴿٣﴾﴾ [البينة]، فسورة البينة تبدأ بالكلام عن عدم انفكاك أهل الكتاب والشرك عما هم فيه إلا ببعثة الرسول المنزل عليه القرآن، كما تتحدث عن موقف هؤلاء من الرسول والقرآن بعد ما بعث الرسول، وأنزل عليه القرآن، فالصلة واضحة بين سورة القدر وسورة البينة"[3].

ح. قال الشيخ الزحيلي: "هذه السورة كالعلة لما قبلها، فكأنه لما قال سبحانه: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ قيل: لم أنزل القرآن؟ فقيل: لأنه لم يكن الذين كفروا منفكّين عن كفرهم، حتى تأتيهم البينة، فهي كالعلة لإنزال القرآن، المشار إليه في سورة القدر المتقدمة"[4].

ثانيًا: دراسة أقوال المفسرين

اتفق معظم المفسرين المذكورين على ربط فاتحة سورة البينة بالقرآن الكريم المذكور في سورة القدر، وهو ربط حسن، وقد أشار الإمام الغرناطي إلى وجه التناسب بين فاتحة سورة البينة وخاتمة سورة القدر، من خلال إبراز المحور الأساس لسورة القدر، وهو بيان فضل القرآن

---

(1) السيوطي، **تناسق الدرر**، ص164.

(2) الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص425. ينظر: **تفسير المراغي**، ج30، ص211.

(3) سعيد حوى، **الأساس في التفسير**، ج11، ص6621.

(4) الزحيلي، **التفسير المنير**، ج30، ص399.

الكريم، ثم ربط بين أول سورة القدر وفاتحة سورة البينة، وعلى هذا سار الإمام السيوطي، مبيّنًا أن سورة البينة أجابت عن سؤال أول سورة القدر وهو عن سبب نزول القرآن الكريم، واختصر الإمام الآلوسي والزحيلي وسعيد حوى ما ذكره الإمام السيوطي.

ومن خلال لفظ الفجر في آخر سورة القدر، وبيان هذه الليلة، حاول الإمام البقاعي إظهارَ التناسب بين السورتين، وذلك من خلال تعبيره عن الفجر بأن المشركين لا يزالون على دينهم حتى يأتي أمر أعظم من رؤيتهم الفجر وهو رؤية الرسول ﷺ فيصدقوا به أو يكذبوه.

وعقد الإمام أبو حيان وجه مناسبة فاتحة سورة البينة بسورة القدر وسورة العلق من خلال ذكر القرآن الكريم وعدم انفكاك المشركين حتى أتاهم القرآن الكريم.

لما ذكر الله تعالى فضل ليلة القدر وعظمتها، ناسب ذلك تذكير المشركين من أهل الكتاب وغيرهم أن يقرأوا كتاب الله تعالى، ويتوبوا إليه سبحانه، وأن أبواب المغفرة مفتوحة لهم ولغيرهم من العاصين، انطلاقًا من الهدي النبوي فيما روى سيدنا أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ دَخَلَ رَمَضَانُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ قَدْ حَضَرَكُمْ، وَفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَهَا فَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَلَا يُحْرَمُ خَيْرَهَا إِلَّا مَحْرُومٌ»[1].

ولما كانت هذا الليلة وما فيها من الخير العظيم تشغل حال أهل الإيمان والعابدين لله تعالى، فإن حال المشركين منفصل منفكٌّ تمامًا عن هذا الخير العظيم، إلا من لحق بهذا الخير وآمن بالله ورسوله فهو من المفلحين الناجين.

---

(1) **سنن ابن ماجه**، ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجه اسم أبيه يزيد (273هـ)، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب: الصيام، باب: ما جاء في فضل شهر رمضان، رقم الحديث 1644، ج1، ص526، ، قال المحقق محمد فؤاد عبد الباقي في سند الحديث: "في الزوائد في إسناده عمران بن أبي داود أبو العوام القطان مختلف فيه. ومشاه الإمام أحمد ووثقه عفان والمجلي. وذكره ابن حبان في الثقات. وقال ابن عدي مغرب عن عمران. وروى عن غير عمران أحاديث غرائب. وأرجو أنه لابأس به. وباقي رجال الإسناد ثقات".

المبحث العاشر: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الزلزلة وخاتمة سورة البيّنة

خاتمة سورة البيّنة:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ۝٨﴾ [البيّنة].

فاتحة سورة الزلزلة:

قال الله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ [الزلزلة].

المطلب الأول: بين يدي سورة الزلزلة

أولًا: التعريف بالسورة

سورة الزلزلة هي السورة التاسعة والتسعون حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، سميت هذه السورة في كلام الصحابة سورة: (إذا زلزلت)، وكذلك عنونها البخاري[1]، وسميت في بعض كتب التفسير «سورة الزلزال»، وتسميتها سورة الزلزلة تسمية بالمعنى لا بحكاية بعض كلماتها، وهي مكية، قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وغيرهم، وقال قتادة ومقاتل: هي مدنية، لأن آخرها نزل بسبب رجلين كانا بالمدينة، وبناء على أنها مدنية جعلها سيدنا جابر بن عبد الله ﷺ بعد سورة النساء وقبل سورة الحديد، ورجح سيد قطب القول بأنها مكية بناء على أسلوبها التعبيري وموضوعها، وقد عدت الرابعة والتسعين في عداد نزول السور، وعدد آياتها تسع عند جمهور أهل العدد، وعدها أهل الكوفة ثماني[2].

ثانيًا: مقصد السورة

مقصدها بيان الحساب والدلالة على المآل، قال الإمام البقاعي: "ومقصودها انكشاف الأمور، وظهور المقدور أتم ظهور، وانقسام الناس في الجزاء في دار البقاء، إلى سعادة وشقاء، وفي ذلك دل اسمها بتأمل الظرف ومظروفه، وما أفاد من بديع القدر، وصروفه"[3].

وقال الإمام ابن عاشور: من أغراضها "إثبات البعث وذكر أشراطه، وما يعتري الناس عند حدوثها من الفزع، وحضور الناس للحشر وجزائهم على أعمالهم من خير أو شر، وهو تحريض على فعل الخير واجتناب الشر"[4].

انكشاف الأمور وإثبات اليوم الآخر، مقصد حقيقي دلَّ عليه الإمام البقاعي وابن عاشور لسورة (الزلزلة)، وهذا المقصد له فرعان، أولهما بيان حقيقة الجزاء، وثانيهما الإثبات

---

(1) ينظر: **صحيح البخاري،** كتاب التفسير، باب: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥﴾ [العلق]، ج6، ص175.

(2) ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز،** ج5، ص510؛ البقاعي، **مصاعد النظر،** ج3، ص230؛ الآلوسي، **روح المعاني،** ج15، ص433؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير،** ج30، ص489-490؛ سيد قطب، **في ظلال القرآن،** ص3954؛ سعيد حوى، **الأساس في التفسير،** ج11، ص6629.

(3) البقاعي، **مصاعد النظر،** ج3، ص231.

(4) ابن عاشور، **التحرير والتنوير،** ج30، ص490.

التام لهذه الحقيقة الكبرى، وكلاهما اتَّضحا في سورة الزلزلة واسمها دالٌّ على "هزة عنيفة للقلوب الغافلة، هزة يشترك فيها الموضوع والمشهد والإيقاع اللفظي، وصيحة قوية مزلزلة للأرض ومن عليها فما يكادون يفقهون حتى يواجههم الحساب والوزن والجزاء في بضع فقرات قصار"[1].

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة الزلزلة وخاتمة البيِّنة ودراستُها

أولًا: أقوال المفسرين

أ. قال الإمام الرازي: "ذكروا في المناسبة بين أول هذه السورة وآخر السورة المتقدمة وجوهًا؛ أحدها: أنه تعالى لما قال: ﴿جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ... ٨﴾ [البينة]، فكأن المكلف قال: ومتى يكون ذلك يا رب فقال: ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ١﴾ [الزلزلة]، فالعالمون كلهم يكونون في الخوف، وأنت في ذلك الوقت تنال جزاءك وتكون آمنًا فيه، كما قال: ﴿وَهُمۡ مِنۡ فَزَعٍ يَوۡمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ [النمل:89]، وثانيها: أنَّه تعالى لما ذكر في السورة المتقدمة وعيد الكافر ووعد المؤمن أراد أن يزيد في وعيد الكافر، فقال: أجازيه حين يقول الكافر السابق ذكره: ما للأرض تزلزل، نظيره قوله: ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞ...١٠٦﴾ [آل عمران]، ثم ذكر الطائفتين فقال: ﴿...فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ...١٠٦﴾ [آل عمران]، ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ... ١٠٧﴾ [آل عمران]، ثم جمع بينهما في آخر السورة فذكر الذرة من الخير والشر"[2].

ب. قال الإمام ابن الزبير الغرناطي: "وردت سورة الزلزلة عقب سورة البينة؛ ليبيّن بها حصول جزاء الفريقين ومآل الصنفين المذكورين في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ٦﴾ [البينة]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧﴾ [البينة]، إلى خاتمة السورة، ولما كان حاصل ذلك افتراقهم على صنفين، ولم يقع تعريف بتباين أحوالهم، أعقب ذلك بمآل

(1) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ص3954.

(2) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج32، ص253.

الصنفين واستيفاء جزاء الفريقين المجمل ذكرهم فقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦﴾ [الزلزلة]"[1].

ج. قال الإمام أبو حيان: "ولما ذكر فيما قبلها كون الكفار يكونون في النار، وجزاء المؤمنين، فكأن قائلًا قال: متى ذلك؟ فقال: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾ [الزلزلة]"[2].

د. قال الإمام النيسابوري: "لما ختم السورة المتقدمة بالوعيد والوعد، أتبعه بذكر وقت الجزاء، وعدد من أماراته الزلزلة الشديدة التي تستأهلها الأرض، وهي معنى إضافة الزلزال إلى ضمير الأرض"[3].

هـ. قال الإمام البقاعي: "لما ختم تلك ـ أي البينة ـ بجزاء الصالح والطالح في دار البقاء على ما أسلفوه في مواطن الفناء، ذكر في هذه أول مبادئ تلك الدار وأوائل غاياتها، وذكر في القارعة ثواني مبادئها وآخر غاياتها، وأبلغ في التحذير بالإخبار بإظهار ما يكون عليه الجزاء، فقال معبراً بأداة التحقق لأن الأمر حتم لا بد من كونه: ﴿إِذَا... ۝١﴾ [الزلزلة]، ... ولو شرح بما يليق به لطال الشرح، وذلك كما تقول: أكرم التقي إكرامة وأهن الفاسق الشقي إهانة، أي على حسب ما يليق به"[4].

و. قال الإمام السيوطي: "أقول: لما ذكر في آخر "لم يكن" أن جزاء الكافرين جهنم، وجزاء المؤمنين جنات، فكأنه قيل: متى يكون ذلك؟ فقيل: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾ [الزلزلة]، أي: حين تكون زلزلة الأرض، إلى آخره، هكذا ظهر لي، ثم لما راجعت تفسير الإمام الرازي، ورأيته ذكر نحوه فحمدت الله كثيرًا"[5].

---

(1) الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص373-374.

(2) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج10، ص521.

(3) النيسابوري، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ج6، ص546.

(4) البقاعي، **نظم الدرر**، ج22، ص202-203.

(5) السيوطي، **تناسق الدرر**، ص165.

ز. قال الإمام الآلوسي: "وكأنه لما ذكر عز وجل في السورة السابقة جزاء الفريقين المؤمنين والكافرين كان ذلك كالمحرك للسؤال عن وقته فبيَّنه جل شأنه في هذه السورة"[1].

ح. قال الشيخ المراغي: "ووجه مناسبتها لما قبلها أنَّه لما ذكر فيما سلف جزاء المؤمنين والكافرين، بين هنا وقت ذلك الجزاء وعلاماته"[2].

ط. قال الشيخ سعيد حوى: "خاتمة سورة البينة تتحدث عن جزاء الكافرين، وجزاء المؤمنين يوم القيامة، وتأتي سورة الزلزلة لتحدثنا عن ذلك اليوم، وما يكون فيه، وعن قاعدة الحساب والجزاء فيه"[3].

ثانيًا: دراسة أقوال المفسرين

اتفق المفسرون السابقون أن وجه مناسبة فاتحة سورة الزلزلة لخاتمة سورة البينة يأتي من خلال بيان حال فريق أهل الإيمان وأهل الكفر، وموعد الجزاء والحساب لهم.

فوجه المناسبة بين فاتحة سورة الزلزلة وخاتمة سورة البينة واضحٌ وجليٌّ عند الإمام الرازي ووافقه السيوطي، فقد ربط بين سؤال أهل الإيمان المذكورين في سورة (البينة) ربَّهم عن موعد الجزاء فيأتيهم الجواب ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ۝١﴾ [الزلزلة]، وبين وعيد الكفار واستزادة حصيلة الجزاء لهم في سورة الزلزلة، وإلى وجه المناسبة هذا سار بقية الأئمة المفسرين، وبعض المفسرين زاد بذكر مناسبة سورة الزلزلة كاملةً لما قبلها من قبيل التناسب بين السور.

إن طريق الخلاص من هول العقاب هو خشية ربِّ الأرباب، ولما ذكر الله تعالى في خاتمة سورة البيِّنة رضاه جلَّ في علاه عن أهل إيمان، وأن طريق الرضى هو الخشية، ناسب ذلك فاتحة سورة الزلزلة ببيان هذا اليوم العظيم وبعث الناس من قبورهم، إذ إنَّ أهل الإيمان قلوبهم مطمئنة بالله تعالى رغم زلزلة الأرض، وإخراج ما فيها، فهم متنعمون بالرضى من قبل ربِّهم سبحانه وتعالى.

---

(1) الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص433.

(2) **تفسير المراغي**، ج30، ص217.

(3) سعيد حوى، **الأساس في التفسير**، ج11، ص6632.

وقال الإمام التستري عليه رحمة الله: "الخشية سر، والخشوع علانية، من خشعت جوارحه لم يقربه الشيطان. قيل: فما الخشوع؟ قال: الوقوف بين يدي الله، والصبر على ذلك. قال: وكمال الخشية ترك الآثام في السر والعلانية"[1].

إذا نظر القارئ إلى مفردتَي (الخشية والزلزلة) يجد مقابلة بينهما، ولما ناسب جزاء أهل الإيمان الرضى، ناسب أهل الكفر زلزلة في قلوبهم وأجسادهم.

(1) التستري: أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (ت:283هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، ت: محمد باسل عيون السود، (بيروت: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، ط1، 1423 هـ)، ص201.

المبحث الحادي عشر: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة العاديات وخاتمة سورة الزلزلة

خاتمة سورة الزلزلة

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة].

فاتحة سورة العاديات

قال الله تعالى: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾ [العاديات].

المطلب الأول: بين يدي سورة العاديات

أولًا: التعريف بالسورة

سورة العاديات هي السورة المئة حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، سميت في المصحف بـ«سورة العاديات»، وكذلك في بعض التفاسير، وسميت في بعض كتب التفسير «سورة والعاديات» بإثبات الواو، وهي مكية في قول جماعة من أهل العلم، ونقل البقاعي الإجماع على ذلك، وفي رواية عن سيدنا أنس بن مالك ﷺ أنها مدنية، ورجح ابن عاشور ذلك، وعدت الرابعة عشرة في ترتيب نزول السور عند جابر بن زيد، بناء على أنها مكية، نزلت بعد سورة (العصر) وقبل سورة (الكوثر)، وآياتها إحدى عشرة[1].

ثانيًا: مقصد السورة

مقصدها التحذير من صفات مذمومة تودي بالعبد إلى النار، قال الإمام البقاعي في مقصد سورة العاديات: "ومقصودها الإعلام بأنَّ أكثرَ الخلقِ يوم الزلزلة هالك، لِإيثار الفاني من العزِّ والمال على الباقي عند ذي الجلال، المدلول عليه بالقَسَم، وهو العاديات، والمقسم عليه، وما عطف عليه، وقد عُلم أنَّ اسمها أدلُّ شيءٍ على ذلك"[2].

وقال الإمام ابن عاشور: "ذمُّ خصالٍ تفضي بأصحابها إلى الخسران في الآخرة، وهي خصال غالية على المشركين والمنافقين، ويراد تحذير المسلمين منها، ووعظ الناس بأنَّ وراءَهم حسابًا على أعمالهم بعد الموت ليتذكره المؤمن ويهدد به الجاحد، وأكَّد ذلك كله بأن افتتح بالقَسَم، وأدمج في القَسَم التنويه بخيل الغزاة، أو رواحل الحجيج"[3].

أشار الإمام البقاعي في مقصد سورة العاديات إلى فناء الدنيا، وربط هذا المعنى باسم السورة في إشارة إلى حب الخيل وغيرها من شهوات النفس.

---

(1) ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج5، ص513؛ البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص237؛ الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص441؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص497؛ سعيد حوى، **الأساس في التفسير**، ج11، ص6641.

(2) البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص237.

(3) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص498.

وتشابه مقصد السورة عند الإمام البقاعي والإمام ابن عاشور ، إذ أوضحا أنَّ سورة العاديات بمثابة تحذير للمسلمين، وإيعاز من بعدهم بالتنبه للصفات الواردة فيها، وهي صفات فيها من الابتلاء للعبد ما فيها، فمن بينها حبُّ الخير، كما قال الإمام التستري: "الخير المراد هاهنا ثلاث: حب النفس وحب الدنيا وحب الهوى، فسماها خيراً لتعارف أهلها، وإنما الخير ثلاث: الاستغناء عن الخلق، والافتقار إلى الله عزَّ وجلَّ، وأداء الأمر"[1] ، ولكنَّ العبد حين يدرك هذا الابتلاء، ويدرك حقيقته يطمئن قلبه ويجاهد لتحقيق مرضاة الله تعالى.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة العاديات وخاتمة الزلزلة ودراستها

أولًا: أقوال المفسرين

أ. قال الإمام ابن الزبير الغرناطي: "أقسم سبحانه على حال الإنسان بما هو، فقال: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات:6]، أي لكفور يبخل بما لديه من المال، كأنه لا يجازى ولا يحاسب على قليل ذلك وكثيره من أين اكتسبه وفيما أنفقه؟، وكأنه ما جمع بقوله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾ [الزلزلة]، ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧﴾ [العاديات]، وأنَّ الله على ذلك لمطلع، فلا نظر في أمره وعاقبة مآله، ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ...﴾، أي: المال ﴿...لَشَدِيدٌ ۝٨﴾ [العاديات]، لبخيل[2] ..."[3].

ب. قال الإمام أبو حيان: "لما ذكر فيما قبلها ما يقتضي تهديدًا ووعيدًا بيوم القيامة، بتعنيف لمن لا يستعد لذلك اليوم، ومن آثر أمرَ دنياهُ على أمرِ آخرته"[4].

ج. قال الإمام البقاعي: "لما ختم الزلزلة بالجزاء لأعمال الشر يوم الفصل، افتتح هذه ببيان ما يجرُّ إلى تلك الأعمال من الطبع، وما ينجر إليه ذلك الطبع مما يتخيله من النفع، موبخاً من لا يستعد لذلك اليوم بالاحتراز التام من تلك الأعمال، معنفًا من آثر دنياه على

---

(1) التستري، **تفسير القرآن العظيم**، ص203.

(2) في الأصل جاءت الآية الثامنة قبل السابعة في سورة العاديات. ينظر: الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ت: الفلاح، ص216.

(3) الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص216.

(4) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج10، ص527.

أخراه، مقسماً بما لا يكون إلا عند أهل النعم الكبار الموجبة للشكر، فمن غلب عليه الروح شكر، ومن غلب عليه الطبع – وهم الأكثر – كفر فقال: ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ١﴾ [العاديات]"[1].

د. قال الإمام السيوطي: "لا يخفى ما بين قوله في الزلزلة: ﴿وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ٢﴾ [الزلزلة]، وقوله في هذه السورة: ﴿...إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ٩﴾ [العاديات] من المناسبة والعَلاقة"[2].

هـ. قال الإمام الآلوسي: "ولما ذكر سبحانه فيما قبلها الجزاء على الخير والشر وأتبع ذلك فيها بتعنيت من آثر دنياه على آخرته ولم يستعد لها بفعل الخير، ولا يخفى ما في قوله تعالى هناك ﴿وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ٢﴾ [الزلزلة]، وقوله سبحانه هنا ﴿...إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ٩﴾ [العاديات] من المناسبة أو العلاقة على ما سمعت من أن المراد بالأثقال ما في جوفها من الأموات أو ما يعمهم والكنوز"[3] .

و. قال الشيخ المراغي: "وجه المناسبة بينها وبين ما قبلها أنه لما ذكر هناك الجزاء على الخير والشر أتبعه تعنيف الذين يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة، ولا يستعدون لحياتهم الثانية، بتعويد أنفسهم فعل الخير"[4].

ز. قال الشيخ سعيد حوى: "انتهت سورة الزلزلة بقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨﴾ [الزلزلة]، وسورة العاديات تتحدث

---

(1) البقاعي، **نظم الدرر**، ج22، ص210-211.

(2) أضاف المحقق: "وهناك مناسبة أخرى؛ هي: بيان الأصل الذي يضل به الإنسان أو يهتدي، فلما ذكر في آخر الزلزلة جزاء الإنسان على الخير والشر، بيَّن هنا أن الإنسان بطبعه يحب الخير، وحبه للخير إما للدنيا وهو الشر، وإما للآخرة وهو حقيقة الخير، فهذا الحب هو الذي يوجه الأعمال، ثم ذكَّر الإنسان بيوم يكشف فيه عما في القلوب من نوايا خفية: ﴿أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ١٠﴾ [العاديات]، إلى آخر السورة، وقد زاد الأمر تفصيلًا في السور التالية". ينظر: السيوطي، **تناسق الدرر**، ص166.

(3) الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص441.

(4) **تفسير المراغي**، ج30، ص221.

عن طبيعة الإنسان وكنوده ومحبته للمال والدنيا، وتعالج ذلك، وفي ذلك حضٌّ على فعل الخير وترك الشر فالسورة كثيرة الصلات بما قبلها"[1].

ح. قال الشيخ الزحيلي: "تظهر المناسبة بين السورتين من وجهين: أولهما هناك تناسب وعلاقة واضحة بين قوله تعالى في الزلزلة: ﴿وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ۝٢﴾ [الزلزلة]، وقوله في هذه السورة: ﴿...إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ۝٩﴾ [العاديات]، ثانيهما: لما ختمت السورة السابقة ببيان الجزاء على الخير والشر، وبّخ الله تعالى الإنسان على جحوده نعم ربه، وإيثاره الحياة الدنيا على الآخرة، وترك استعداده للحساب في الآخرة بفعل الخير والعمل الصالح، وترك الشر والعصيان"[2].

ثانيًا: دراسة أقوال المفسرين

اتفق المفسرون المذكورون في بيان وجه مناسبة فاتحة سورة العاديات مع خاتمة سورة الزلزلة على أنَّه تعالى لما ذكر الجزاء في الزلزلة أتبع ذلك بتعنيف أصحاب الصفات المذمومة في سورة العاديات.

وربط الإمام الغرناطي وجه التناسب من خلال جحود الإنسان وبخله في جواب القسم بسورة العاديات، مع إغفال هذا الإنسان أن الله سيحاسبه أعمل خيرًا أو شرًّا.

ووجَّه الإمام أبو حيان المناسبة من التهديد والوعيد في سورة الزلزلة إلى تعنيف من آثر دنياه على آخرته في سورة العاديات، وهو ملمح مهم في وجه مناسبة السورة، إذ إنَّ حدوث الوعيد يناسبه ذكر نماذج من صفات النفس المذمومة التي تستحق هذا الوعيد.

كما أشار الإمام البقاعي إلى تغلب الطبع عند الكافر في تتبع أثر نفسه وهواها، فلما كان الجزاء لأهل الكفر في سورة الزلزلة بيَّن الله تعالى الطريق المؤدي الذي سلكه هؤلاء أجارنا الله منهم في سورة العاديات.

وقد ربط الإمام الآلوسي قولي الإمامين أبي حيان والسيوطي مع بعضهما، موضحًا مناسبة جامعة للمعنى الكلي للسورتين، ولالتقاء المعاني المترابطة بين الآيات، كما وضح ذلك

(1) سعيد حوى، **الأساس في التفسير**، ج11، ص6644.

(2) الزحيلي، **التفسير المنير**، ج30، ص366.

الإمام السيوطي في مناسبة قوله تعالى ﴿وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ۝٢﴾ [الزلزلة]، لقوله تعالى: ﴿...إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ۝٩﴾ [العاديات]، ولم يخرج العلماء الباقون عن هذه الأوجه المذكورة.

وأضاف محقق كتاب تناسق الدرر معنىً جيدًا في التناسب، إذ بيَّن أن سورة الزلزلة توضح جزاء الإنسان على الخير والشر، وأن سورة العاديات تبيِّن أن الإنسان بطبعه يحب الخير، وحبه للخير إما للدنيا وهو الشر، وإما للآخرة وهو حقيقة الخير، فهذا الحب هو الذي يوجه الأعمال.

ويظهر لي من خلال ما تقدَّم أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر جزاءَ أهلِ الخيرِ، وجزاء أهل الشر؛ ناسب ذلك ذكر طبائع النفوس العاملة وأحوالها، وأن الخير والشر هما دوافع في النفس، يظهران في سلوك الإنسان، وأوضحت هذا المعنى من خلال ما بحثه أ.د. سليمان الدقور إذ بيَّن أن سورة العاديات وأمثالها هي سور أوصاف لموصوفات، والموصوفات تتحدد من خلال دلالة اللغة أو السياق، فوجد أنَّ أقوى ما في هذه السور دلالة السياق، ولما ربطها وجد أن العاديات وما بعدها تشير إلى النفوس العاملة وأثرها في العمل وتتكامل مع بقية السور الأخرى التي افتتحت هذا الافتتاح[1]، وهذا المعنى أشار إليه البقاعي إشارة خفية من خلال ذكره أن افتتاح سورة العاديات بيان ما يجرُّ إلى تلك الأعمال السيئة من الطبع، وما ينجر إليه ذلك الطبع مما يتخيله من النفع، والله تعالى أعلم.

(1) سمعت هذا التفسير الجيد للسورة من قبل شيخنا أ.د أحمد شكري في إحدى محاضراته نقلًا عن أحد زملائه، وقد أوضح أن هذا المعنى ليس بديلًا عن المعنى الذي أشار إليه الصحابة والمفسرون وإنما هو إضافة واستزادة مقبول، علمًا أن هذا المعنى له إشارات ضعيفة في كتب التفسير، ويظهر هذا المعنى بشكل أوضح لدى المفسرين في سورة النازعات. ينظر: أ.د سليمان الدقور، **الخريطة المفتاحية لتكامل قيم السور القرآنية**، لم يطبع بعد، وإنما وصلتني المعلومة من تسجيل صوتي للباحث.

المبحث الثاني عشر: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة القارعة وخاتمة سورة العاديات

خاتمة سورة العاديات:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ ۞أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ ۝١١﴾ [العاديات].

فاتحة سورة القارعة:

قال الله تعالى: ﴿ٱلۡقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٣ يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ۝٥﴾ [القارعة].

المطلب الأول: بين يدي سورة القارعة

أولًا: التعريف بالسورة

سورة القارعة هي السورة الحادية بعد المئة حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، اتُفق على أنها مكية، وعدت الثلاثين في عداد نزول السور نزلت بعد سورة (قريش) وقبل سورة (القيامة)، آياتها عشر في عد أهل المدينة وأهل مكة، وثمان في عد أهل الشام والبصرة، وإحدى عشرة في عد أهل الكوفة[1].

ثانيًا: مقصد السورة

مقصدها تنبيه العباد إلى دقة يوم المعاد، قال الإمام البقاعي في مقصد سورة القارعة: "ومقصودها إيضاح يوم الدين، بتصوير أحواله، وتقسيم الناس فيه، إلى ناجٍ وهالك، واسمها "القارعة" واضح في ذلك[2].

وقال الإمام ابن عاشور في مقصدها أنَّ الله تعالى قد "ذكر فيها إثبات وقوع البعث وما يسبق ذلك من الأهوال، وإثبات الجزاء على الأعمال وأن أهل الأعمال الصالحة المعتبرة عند الله في نعيم، وأهل الأعمال السيئة التي لا وزن لها عند الله في قعر الجحيم"[3].

لقد جاء مقصد سورة القارعة عند الإمام البقاعي من خلال اسمها، وبيان يوم الدين وأحوال العباد فيه، وعلى هذا المعنى أشار الإمام ابن عاشور من خلال بيان إثبات الله تعالى لوقوع البعث، وأنه سبحانه مجازٍ على الأعمال، وقال الشيخ الزحيلي إنَّ "موضوع سورة القارعة التخويف بأهوال القيامة"[4].

---

(1) ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج5، ص516؛ البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص239؛ الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص447؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص509؛ سعيد حوى، **الأساس في التفسير**، ج11، ص6649.

(2) البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص240.

(3) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص509.

(4) الزحيلي، **التفسير المنير**، ج30، ص374.

ويلاحظ في بداية السورة تكرار، يشير إلى معنى عظيم، ويسمى التكرار فِي البديع وهو أَن يُكَرر الْمُتَكَلّم اللَّفْظَة الْوَاحِدَة بِاللَّفْظِ وَالْمعْنَى؛ ومن بين أنواع التكرار ما أريد به التهويل والوعيد، كَقَوْلِه تَعَالَى ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣﴾ [القارعة][1].

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة القارعة وخاتمة العاديات ودراستها

أولًا: أقوال المفسرين

أ. قال الإمام الرازي: "اعلم أنَّه سبحانه وتعالى لما ختم السورة المتقدمة بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝١١﴾ [العاديات]؛ فكأنَّه قيل: وما ذلك اليوم؟ فقيل: هي القارعة"[2].

ب. قال الإمام ابن الزبير الغرناطي: "لما قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ، وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ [العاديات:9-10]، وكان ذلك مظنة لأن يسأل متى ذلك، فقيل يوم القيامة الهائل الأمر، الفظيع الحال، الشديد البأس والقيامة هي القارعة، وكررها تعالى عظيمًا لأمرها"[3].

ج. قال الإمام أبو حيان: "ومناسبتها لما قبلها ظاهرة، لأنه ذكر وقت بعثرت القبور، وذلك هو وقت الساعة"[4].

د. قال الإمام النيسابوري: "لما ختم السورة المتقدمة بأحوال المعاد ذكر في هذه السورة بعض أحوال الآخرة"[5].

هـ. قال الإمام البقاعي: "لما ختم العاديات بالبعث ذكر صيحته فقال: ﴿الْقَارِعَةِ﴾"[6].

---

(1) ينظر: الكفوي: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: 1094هـ)، **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، ت: عدنان درويش – محمد المصري، (بيروت: مؤسسة الرسالة)، ص297.

(2) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج32، ص265.

(3) الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص374.

(4) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج10، ص532.

(5) النيسابوري، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ج6، ص552.

(6) البقاعي، **نظم الدرر**، ج22، ص220.

و. قال الإمام الآلوسي: "ومناسبتها لما قبلها أظهر من أن تذكر"[1].

ز. قال الشيخ المراغي: "ومناسبتها لما قبلها أنَّ آخر السابقة كان في وصف يوم القيامة، وهذه السورة يأسرها في وصف ذلك اليوم، وما يكون فيه من الأهوال"[2].

ح. قال الشيخ الغماري: "تناسب سابقتها في ذكر يوم القيامة، مع إفادة تسميته بالقارعة، لأنها تقرع النفوس بأهوالها وشدائدها، والله تعالى أعلم"[3].

ط. قال الشيخ الزحيلي: "ختمت السورة السابقة بوصف يوم القيامة، وأعقبتها هذه السورة برمّتها بالحديث عن القيامة، ووصفها الرهيب، وأهوالها المخيفة"[4].

ثانيًا: دراسة أقوال المفسرين

اتفق المفسرون المذكورون على أنَّ المناسبة واضحة بين فاتحة سورة القارعة وخاتمة ما قبلها، إذ محور المناسبة ذكر اليوم الآخر وبيان أحواله، وقد أحال الإمام الرازي المناسبة إلى سؤال مضمر عن ماهية اليوم الآخر، حيث تبرز الإجابة في بداية سورة القارعة بذكر أهوالها.

وذكر الإمام الغرناطي وجه مناسبة شبيهة بما ذكره الإمام الرازي، وعلى هذا سار الإمامان أبو حيان والنيسابوري.

ثم فسَّر الإمام البقاعي القارعة بالصيحة وهي إحدى التفاسير الواردة فيها[5]، إذ إنه تعالى لما ذكر البعث في سورة العاديات ناسب ذكر صيحة البعث في السورة التي بعدها، وبيَّن الإمام الآلوسي والشيخ الغماري أن المناسبة ظاهرة مبينة بين السورتين، وأما الشيخ المراغي والشيخ الزحيلي فأوضحا أن المناسبة بين السورتين من خلال ذكر يوم القيامة وأوصافها، إذ ناسب ذلك بيان أهوالها في سورة القارعة.

---

(1) الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص447.

(2) **تفسير المراغي**، ج30، ص224.

(3) الغماري، **جواهر البيان، ص153**.

(4) الزحيلي، **التفسير المنير**، ج30، ص374.

(5) قال ابن عطية: قال قوم من المتأولين: الْقارِعَةُ: صيحة النفخة في الصور، لأنها تقرع الأسماع، وفي ضمن ذلك القلوب. ينظر: **المحرر الوجيز**، ج5، ص516.

ومن خلال ما تقدم يتبين وجه مناسبة فاتحة سورة القارعة لخاتمة ما قبلها، من خلال إعلام الله تعالى العبادَ أنه مطَّلع عليهم، خبيرٌ بهم، عالمٌ بما فعلوه في الدنيا، ويظهر ذلك في قوله: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرٞ ۝١١﴾ [العاديات]، ثمَّ أبان عن حدثٍ عظيم جليل، حدثٍ تقرع منه القلوب، ولما عرَّف الله تعالى عباده أنه مطَّلع على صدورهم ناسب ذلك بيان الحدث التي تقرع فيه هذه الصدور إيذانًا بالحقيقة الكبرى، فالقارعة هي القيامة نفسها، لأنها تقرع القلوب بهولها[1].

(1) قال ذلك جمهور المفسرين. ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج10، ص532.

المبحث الثالث عشر: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة التكاثر وخاتمة سورة القارعة

خاتمة سورة القارعة:

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾ [القارعة].

فاتحة سورة التكاثر:

قال الله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦﴾ [التكاثر].

المطلب الأول: بين يدي سورة التكاثر

أولًا: التعريف بالسورة

سورة التكاثر هي السورة الثانية بعد المئة حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، تسمى سورة (ألهاكم) و(التكاثر)، مكية إجماعاً، نقل ذلك الإمام ابن عطية، واختلف بعض المفسرين في كونها مدنية، حيث اختار الإمام السيوطي في الإتقان بأنها مدنية، وآياتها ثمان إجماعاً، وقد عدت السادسة عشرة في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة (الكوثر) وقبل سورة (الماعون) بناء على أنها مكية[1].

ثانيًا: مقصد السورة

مقصدها إنذار الإنسان، والتدبر بمآله، قال الإمام البقاعي في مقصد سورة التكاثر: "ومقصودها التصريح بما أشارت إليه العاديات، من أنَّ سبب الهلاك يوم الجمع الذي صورته القارعة، الجمع للمال، والإخلاد إلى دار الزوال، وكل من اسميها واضح الدلالة على ذلك"[2].

وقال الإمام ابن عاشور: "اشتملت على التوبيخ على اللهو عن النظر في دلائل القرآن ودعوة الإسلام بإيثار المال والتكاثر به، والتفاخر بالأسلاف، وعدم الإقلاع عن ذلك إلى أن يصيروا في القبور، كما صار من كان قبلهم، وعلى الوعيد على ذلك، وحثهم على التدبر فيما ينجيهم من الجحيم، وأنَّهم مبعوثون ومسؤولون عن إهمال شكر المنعم العظيم"[3].

وقال الشيخ الزحيلي: "تناولت سورة التكاثر مقاصد ثلاثة: أولها بيان انشغال الناس بملذات الحياة ومغرياتها، والغفلة حتى يأتي الموت: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ٢﴾ [التكاثر]، ثانيها: الإنذار بالسؤال عن جميع الأعمال في القيامة: ﴿كَلَّا سَوۡفَ

---

(1) ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج5، ص518؛ البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص241؛ السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ)، ج1، ص54؛ الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص451؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص517؛ سعيد حوى، **الأساس في التفسير**، ج11، ص6655.

(2) البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص241.

(3) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص518.

تَعۡلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٤﴾ [التكاثر]، ثالثها: التهديد برؤية الجحيم يقينًا، ومجابهة أهوال النار، والسؤال عن نعيم الدنيا: ﴿كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ۝٥﴾ [التكاثر]"[1].

وأبان الإمام البقاعي عن مقصد سورة التكاثر من خلال ربط المقصد بالسور الماضية، وأن مقصدها ذكر سبب الهلاك وهو الجمع للمال، ودلل على ذلك من اسمها، وإلى هذا المعنى أشار الإمام ابن عاشور والشيخ الزحيلي، في تفصيل مقصود آيات السورة كلها.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة التكاثر وخاتمة القارعة ودراستها

أولًا: أقوال المفسرين

أ. قال الإمام ابن الزبير الغرناطي: "لما تقدم ذكر القارعة وعظيم أهوالها، أعقبت بذكر ما شغل وصدَّ عن الاستعداد لها وألهى عن ذكرها، وهو التكاثر بالعدد والقرابة والأهلين، فقال: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ [التكاثر]"[2].

ب. قال الإمام النيسابوري: "لما ذكر القارعة وأهوالها، قال: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ...۝١﴾ [التكاثر]، أي شغلكم التكاثر"[3].

ج. قال الإمام البقاعي: "ولما أثبت في القارعة أمر الساعة، وقسَّم الناس فيها إلى شقي وسعيد، وختم بالشقيّ، افتتح هذه بعلة الشقاوة ومبدأ الحشر؛ لينزجر السامع عن هذا السبب ليكون من القسم الأول، فقال ما حاصله: انقسمتم فكان قسم منكم هالكًا؛ لأنَّه ﴿أَلۡهَاكُمُ﴾"[4].

د. قال الإمام السيوطي: "هذه السورة واقعة موقع العلة لخاتمة ما قبلها؛ كأنَّه لما قال هناك: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾ [القارعة]، قيل: لِمَ ذلك؟ فقال: لأنكم ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾

---

(1) الزحيلي، **التفسير المنير**، ج30، ص382.

(2) الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص375.

(3) النيسابوري، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ج6، ص554.

(4) البقاعي، **نظم الدرر**، ج22، ص225.

[التكاثر]، فاشتغلتم بدنياكم عن دينكم، وملأتم موازينكم بالحطام، فخفت موازينكم بالآثام"[1].

هـ. قال الشيخ المراغي: "ومناسبتها لما قبلها أنَّه في الأولى وصف القيامة وبعض أهوالها وجزاء الأخيار والأشرار، وأنَّ في هذه _أي التكاثر_ ذكر الجحيم، وهي الهاوية التي ذكرت في السورة السابقة، وذكر السؤال عما قدم المرء من الأعمال في الحياة الدنيا، وهذا بعض أحوال الآخرة"[2].

و. قال الشيخ الغماري: "مناسبتها لما قبلها أنه تعالى ذكر فيما مر أهوال يوم القيامة، فذمَّ هنا اللاهين عنها"[3].

ز. قال الشيخ الزحيلي: "أخبرت سورة القارعة عن بعض أهوال القيامة، وجزاء السعداء والأشقياء، ثم ذكر في هذه السورة علة استحقاق النار وهو الانشغال بالدنيا عن الدين، واقتراف الآثام، وهددت بالمسؤولية في الآخرة عن أعمال الدنيا"[4].

ثانيًا: دراسة أقوال المفسرين

اتفق المفسرون السابقون إلى أن وجه المناسبة بين فاتحة سورة التكاثر وخاتمة سورة القارعة يتبيَّن من كون فاتحة التكاثر أتت في محل العلة لخاتمة القارعة، إذ إنه سبحانه وتعالى لما بيَّن حال أهل النار ذكر أمرًا أساسيًا يتحقق من خلاله دخولها، وهو التكاثر الذي يأتي بمعنى التباري في الكثرة والتباهي بها[5]، والمفاخرة والانشغال بالدنيا، فنبَّه تعالى كم ذكر الإمام القشيري إلى أنه "شغَلَكُم تفاخرُكم فيما بينكم إلى آخر أعماركم إلى أن متّم"[6].

---

(1) قال المحقق: ومن المناسبة كذلك: التصريح هنا بوزن الأعمال التي أجملها في الزلزلة، وبين أصلها في العاديات. ينظر: السيوطي، **تناسب الدرر**، ص167.

(2) **تفسير المراغي**، ج30، ص228.

(3) الغماري، **جواهر البيان**، ص154.

(4) الزحيلي، **التفسير المنير**، ج30، ص381.

(5) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج4، ص791.

(6) القشيري، **لطائف الإشارات**، ج3، ص792.

وأشار الإمام الغرناطي في وجه المناسبة بين فاتحة سورة التكاثر وخاتمة سورة القارعة إلى أن سورة التكاثر قد نبهت إلى من شُغِلَ عن الاستعداد ليوم القيامة، وهو وجهٌ أجمله الإمام النيسابوري ولم يضف عليه.

وبيَّن الإمام البقاعي أن سورة التكاثر هي الزجر عما سيحصل لمصير الجاحد بالله تعالى، فكانت خاتمة سورة القارعة نتيجةً للسبب المذكور في التكاثر.

وقد أعاد الإمام السيوطي وجه العلة في سورة التكاثر، إذ إن مصيرَ الذي اشتغل بدنياه عن آخرته الهاويةُ، أجارنا الله وإياكم منها.

ولما ذكر الله تعالى في سورة القارعة نوع الجزاء لأهل الإيمان وأهل الكفر أتبع ذلك ذكر أهم الصفات المذمومة، وهي صفة حب الطمع في ما يملكه الإنسان.

ويمكن للقارئ لهذه الآيات أن يجد مناسبة صوتية عجيبة، إذ إنَّ خاتمة سورة القارعة جاءت بجريان حرف الهمس (الهاء) من أقصى الحلق؛ ليقع في ذلك أثرٌ عميقٌ في قلب الخاشع لله، متأملًا متفكرًا بهذا الوعيد، مستجيرًا منه، ثم يصحو من هذا التأمل الأخروي إلى التحذير الدنيوي المباشر من الله تعالى، بفاصلة مقطوعة النفس غير جارية فيه، نهايتها حرف الراء المفخم، ليدل على التيقظ والانتباه إلى المعاني الواردة، بألا تشغلهم اللذات عن ذكر الله، فيضلوا ضلالًا بعيدًا، نسأل الله السلامة والعافية، وهي مناسبة تدعم مناسبة المعاني بين السورتين.

انتهى الفصل الثاني من هذا البحث، ولله الحمد والمنة والفضل.

الفصل الثالث: التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها من سورة العصر إلى سورة الفاتحة

المبحث الأول: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة العصر وخاتمة سورة التكاثر

خاتمة سورة التكاثر:

قال الله تعالى: ﴿كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [التكاثر].

فاتحة سورة العصر:

قال الله تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ [العصر].

المطلب الأول: بين يدي سورة العصر

أولًا: التعريف بالسورة

سورة العصر هي السورة الثالثة بعد المئة حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، مكية في قول الجمهور، وسيدنا ابن عباس ﷺ، وسيدنا ابن الزبير ﷺ، ومدنية في قول مجاهد وقتادة ومقاتل، آياتها ثلاث بلا خلاف، وهي على قصرها جمعت من العلوم ما جمعت، وقد عدت الثالثة عشرة في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة (الانشراح) وقبل سورة (العاديات)[1].

روى الطبراني بسنده عن سيدنا عبيد الله بن حصين ﷺ قال: «كان الرجلان من أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقيا لم يفترقا إلا على أن يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر»[2]، وهذه من السنن المهجورة.

ثانيًا: مقصد السورة

مقصدها إرشاد العبد إلى طريق النجاة، وقال الإمام البقاعي في مقصد سورة العصر: "ومقصودها تفضيل نوع الإنسان، المخلوق من علق، وبيان خلاصته وعصارته وهم الحزب الناجي يوم السؤال، عن زكاة الأعمال، بترك الفاني، والإقبال على الباقي، لأنه خلاصة الكون، ولباب الوجود، واسمها "العصر" واضح في ذلك، فإن العصر يخلص روح المعصور، ويميز

---

(1) ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج5، ص520؛ البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص245؛ الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص457؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص527؛ سعيد حوى، **الأساس في التفسير**، ج11، ص6666.

(2) ينظر: الطبراني، **المعجم الأوسط**، باب من اسمه محمد، رقم الحديث: 5124، ج5، ص215. قال الهيثمي في سند الحديث: رجاله رجال الصحيح غير ابن عائشة، وهو ثقة. ينظر: الهيثمي: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (ت:807هـ)، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، ت: حسام الدين القدسي، رقم الحديث: 18198، باب ما جاء في الخوف والرجاء، ج10، ص307، وقد جاء في المصدر نفسه باب في المواعظ، ينظر: المرجع نفسه ج10، ص233، ولم يضف عبارة (غير ابن عائشة وهو ثقة).

صفاوته، ولذلك كان وقت هذا النبي الخاتم، الذي هو خلاصة الخلق ﷺ وقت العصر وكانت صلاة العصر أفضل الصلوات"[1].

وقال الإمام ابن عاشور: "اشتملت على إثبات الخسران الشديد لأهل الشرك ومن كان مثلهم من أهل الكفر بالإسلام بعد أن بلغت دعوته، وكذلك من تقلد أعمال الباطل التي حذر الإسلام المسلمين منها، وعلى إثبات نجاة وفوز الذين آمنوا وعملوا الصالحات والداعين منهم إلى الحق، وعلى فضيلة الصبر على تزكية النفس ودعوة الحق، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ اتخذوها شعارًا لهم في ملتقاهم، وعن الإمام الشافعي ﷺ: لو تدبَّر الناس هذه السورة لوسعتهم، وفي رواية عنه: لو لم ينزل إلى الناس إلا هي لكفتهم، وقال غيره: إنها شملت جميع علوم القرآن"[2] .

لقد بيَّن الإمام البقاعي أن مقصد سورة العصر هي تفضيل نوع الإنسان عن غيره، وتفضيل أهل الإيمان عن غيرهم، وأن عصره ﷺ هو أفضل العصور، وربط اسم السورة بمقصدها من خلال استخلاص أفضل النوع واستعصاره، وقد ذكر التفاسيرَ الواردة في معنى العصر في كتابه نظم الدرر، ومما أورده: "... أو زمان كل أحد الذي هو الخلاصة بالنسبة إليه تنبيهًا له على نفاسته، إشارة إلى اغتنام إنفاقه في الخير، إشفاقاً من الحشر..." [3]، وهذه إشارة لما أورده في مصاعد النظر.

وأشار الإمام ابن عاشور إلى مقاصد السورة الرئيسة في إثبات خسران أهل الكفر، وإثبات نجاة وفلاح أهل الإيمان، وأورد في ذلك أقوالًا في أفضلية السورة بكونها جمعت علوم القرآن.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة العصر وخاتمة التكاثر ودراستها

أولًا: أقوال المفسرين

(1) البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص245.

(2) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص527-528.

(3) **نظم الدرر**، ج22، ص236.

أ. قال الإمام ابن الزبير الغرناطي: "لما قال تعالى:﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ [التكاثر]، وتضمن ذلك الإشارة إلى قصور نظر الإنسان، وحصر إدراكه في العاجل دون الآجل الذي فيه فوزه وفلاحه، وذلك لبعده عن العلم بموجب الطبع ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾ [الأحزاب:72]، أخبر سبحانه أنَّ ذلك شأن الإنسان بما هو إنسان فقال: ﴿وَالْعَصْرِ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر:1-2]، فالقصور شأنه والظلم طبعه والجهل جبلته فيحق أن يلهيه التكاثر، إلا أن يدخل الله عليه روح الإيمان ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾، فهؤلاء الذين لا يلهيهم التكاثر ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ...۝٣٧﴾ [النور]"[1].

ب. قال الإمام أبو حيان: "لما قال فيما قبلها: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ [التكاثر]، ووقع التهديد بتكرار ﴿كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٣﴾ [التكاثر]، بيَّن حال المؤمن والكافر"[2].

ج. قال الإمام النيسابوري: "لما بيَّن في السورة المتقدمة أنَّ الاشتغال بأمور الدنيا والتهالك عليها مذموم، أراد أن يبين في هذه السورة ما يجب الاشتغال به من الإيمان والأعمال الصالحات، وهو حظ الآدمي من جهة الكمال ومن التواصي بالخيرات وكف النفس عن المناهي، وهو حظه من حيث الإكمال، وأكد ما أراد بقوله ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١﴾ [العصر]"[3].

د. قال الإمام البقاعي: "لما كانت لذَّة هذه الدنيا الظاهرة التنعم بما فيها من المتاع، وكان الإنسان مسؤولاً بما شهد به، ختم التكاثر عن ذلك النعيم متوعداً برؤية الجحيم، فكان ساكن هذه الدار على غاية الخطر، وكان نعيمه في غاية الكدر، قال دالاً على ذلك بأنَّ أكثر الناس هالك، مؤكداً بالقَسَم والأداة، لما للأغلب من التكذيب لذلك، إما بالمقال، أو بالحال: ﴿والعَصْر﴾[4].

---

(1) الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص376.

(2) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج10، ص538.

(3) النيسابوري، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ج6، ص558.

(4) البقاعي، **نظم الدرر**، ج22، ص236.

هـ. قال الإمام السيوطي: "ولهذا عقَّبها _أي التكاثر_ بسورة والعصر، المشتملة على أن الإنسان في خسر، بيان لخسارة تجارة الدنيا، وربح تجارة الآخرة"[1].

و. قال الإمام الآلوسي: "وفيها إشارة إلى حال من لم يلهه التكاثر ولذا وضعت بعد سورته"[2].

ز. قال الشيخ الفراهي: مر في السورة السابقة أن أهل النعم منهمكون في طلب المال، فأفنوا فيه أعمارهم، وهذا هو الخسران العظيم، وهو ذكر أهل النعيم المستهزئين بالرسل وآيات الله ولقائه، وفي أول سورة "والعصر" بيَّن خسران هؤلاء واضحًا، ثم بيَّن طريق الفلاح واقتناء الفوز العظيم والحظ الكامل من هذا العمر المستودع، لكي يتنافسوا فيما هو أحق به، وينتبهوا عن نوم اللهو والغفلة قبل الفوت والحسرة[3].

ح. قال الشيخ المراغي: "ومناسبتها لما قبلها أنَّه ذكر في السورة السابقة أنَّهم اشتغلوا بالتفاخر والتكاثر، وبكل ما من شأنه أن يلهي عن طاعة الله، وذكر هنا أن طبيعة الإنسان داعية له إلى البوار، وموقعة له في الدمار إلا من عصم الله وأزال عنه شرر نفسه، فكأن هذا تعليل لما سلف إلى أنه ذكر في السالفة صفة من اتبع نفسه وهواه، وجرى مع شيطانه حتى وقع في التهلكة، وهنا ذكر من تجمَّل بأجمل الطباع، فآمن بالله وعمل الصالحات، وتواصى مع إخوانه على الاستمساك بعرى الحق، والاصطبار على مكارهه"[4].

ح. قال الشيخ الغماري: "مناسبتها لما قبلها أنه تعالى ذم في تلك _أي التكاثر_ اللاهين عن يوم القيامة بالمال والمعاصي واتباع الشهوات، فذكر هنا أن اللهو بذلك يعمُّ جنس الإنسان، وسماه خسرًا إلا المؤمنين"[5].

ط. قال الشيخ الزحيلي: "لما بيَّن في السورة المتقدمة أنَّ الاشتغال بأمور الدنيا والتهالك عليها مذموم، أراد أن يبين في هذه السورة ما يجب الاشتغال به من الإيمان والأعمال

---

(1) السيوطي، **تناسق الدرر**، ص167.

(2) الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص457.

(3) ينظر: الفراهي، **نظام القرآن وتأويل الفرقان** بالفرقان، ص384.

(4) **تفسير المراغي**، ج30، ص233.

(5) الغماري، **جواهر البيان**، ص154.

الصالحات، وهو ما يعود إلى النفس، ومن التواصي بالخيرات وكفّ النفس عن المناهي أو المعاصي، وهو ما يعود إلى المجتمع، والخلاصة: بعد أن قال: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ وهدَّد بتكرار: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ بيَّن حال المؤمن والكافر"[1].

ثانيًا: دراسة أقوال المفسرين

اتفق المفسرون المذكورون على أن وجه التناسب بين فاتحة سورة العصر وخاتمة سورة التكاثر ذمُّ اللاهين، وما يستوجب الابتعاد عنهم، والتخلق بأخلاق أهل الإيمان والعمل الصالح.

فأشار الإمام الغرناطي إلى أنَّ التناسب يأتي من ذكر المثال مع مقارنته بالحالة العامة للإنسان، واتضح ذلك من خلال بيان صفة مذمومة في سورة التكاثر، وتوضيح أن الأصل في الإنسان الجهل والطمع، إن لم يعلق قلبه بالله، ويرتبط بحبل التقى، وإلى هذا المعنى سار الإمام البقاعي.

وأوضح الإمام أبو حيان أنه لما كرر الله تعالى الآيات في سورة التكاثر، كان ذلك التكرار مفيدًا في بيان حال أهل الخسران وأهل الإيمان في سورة العصر.

وانفرد الإمام النيسابوري في وجه المناسبة بين فاتحة سورة العصر وخاتمة التكاثر حيث عبَّر بقوله إن سورة التكاثر أتت تبين الأشياء المذمومة، وسورة العصر أتت تبين الأشياء المحمودة والصالحة كالتواصي بالحق والصبر، وبهذا السياق وضح الإمام الآلوسي وجه المناسبة.

وأشار الإمام السيوطي إلى ملمح جيد في التناسب بين السورتين، فلما كان التكاثر في المال والتفاخر فيه خسارة في الدنيا، أتت سورة العصر موضحة معنى الخسارة في الدنيا ومعنى الربح في الآخرة.

كما أوضح الشيخ الفراهي المناسبة، من خلال إبراز حال أهل النعم في السورة الأولى، واندفاعهم إلى الدنيا، وفناء أعمارهم فيها، وبين بيان خسران هؤلاء في سورة العصر، وإلى هذا المعنى ذهب الشيخ المراغي.

---

(1) الزحيلي، **التفسير المنير**، ج30، ص390. ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص457.

كما ألمح الشيخ الغماري أنَّ ذم المكثرين من الشهوات، والتعلق في الدنيا، لا يتعلق بمن سبق من الأقوام، بل يعم كل جنس الإنسان كما في سورة العصر، وهي التفاتة جيدة، فاللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا.

وأضاف الشيخ الزحيلي في وجه المناسبة إلى وجوب الاشتغال بالأعمال الصالحة، كما ظهر ذلك في سورة العصر، وذلك بعد التحذير والوعيد الحاصلَين في سورة التكاثر.

ولما أخبر الله تعالى عباده أنَّه سيسألهم عن مالهم وصحتهم وفراغهم والنعم الممنوحة إليهم، بيَّن أن هذا العبد خاسر إن لم يكن مؤمنًا به، عابدًا، متصفًا بالنصح واتباع الحق والصبر، وكأنَّ هذه الآيات أتت تباعًا لتنبِّه الإنسان وتذكره، بأن يكون من أتباع الحق لا أتباع الباطل.

المبحث الثاني: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الهمزة وخاتمة سورة العصر

خاتمة سورة العصر:

قال الله تعالى:﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ [العصر].

فاتحة سورة الهمزة:

قال الله تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ۝٣﴾ [الهمزة].

المطلب الأول: بين يدي سورة الهمزة

أولًا: التعريف بالسورة

سورة الهمزة هي السورة الرابعة بعد المئة حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، سميت هذه السورة بـ «سورة الهمزة»، وبـ «سورة ويل لكل همزة»، وهي مكية بالاتفاق، وعدت الثانية والثلاثين في عداد نزول السور نزلت بعد سورة (القيامة) وقبل سورة (المرسلات)، آياتها تسع بالاتفاق[1].

ثانيًا: مقصد السورة

مقصدها بيان حال المكذب بالله تعالى، وقال الإمام البقاعي في مقصد سورة الهمزة: "ومقصودها بيان الحزب الأكثر الخاسر، الذي ألهاه التكاثر، فبانت خسارته يوم القيامة، الخافضة، الرافعة، واسمها "الهمزة" ظاهر الدلالة على ذلك"[2].

وقال الإمام ابن عاشور: "غرض هذه السورة وعيد جماعة من المشركين جعلوا همز المسلمين ولمزهم ضربًا من ضروب أذاهم طمعًا في أن يلجئهم الملل من أصناف الأذى، إلى الانصراف عن الإسلام، والرجوع إلى الشرك"[3].

ألمح الإمام البقاعي في مقصد سورة الهمزة إلى أنها بيانٌ للخاسرين في الآخرة، وكان اسمها دليلًا على ما جاء فيها ومعنونًا لها، وفصَّل الإمام ابن عاشور في أحوال هؤلاء الخاسرين، فقد جاءت الآيات واضحة في عاقبتهم، وخسران سعيهم، وضلالة أمرهم، أجارنا الله منهم.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة الهمزة وخاتمة العصر ودراستها

أولًا: أقوال المفسرين

---

(1) ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج5، ص521؛ البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص247؛ الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص460؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص535؛ سعيد حوى، **الأساس في التفسير**، ج11، ص6673.

(2) البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص247.

(3) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص535-536.

أ. قال الإمام ابن الزبير الغرناطي: "لما قال سبحانه ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢﴾ [العصر]، أتبعه بمثال من ذكر نقصه وقصوره واغتراره، وظنه الكمال لنفسه حتى يعيب غيره، واعتماده على ما جمعه من المال، ظنًا أنه يخلده وينجيه، وهذا كله عين النقص الذي هو شأن الإنسان، وهو المذكور في السورة قبل، فقال تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ [الهمزة]، فافتتحت السورة بذكر ما أُعِدَّ له من العذاب جزاءً على همزه ولمزه الذي أثمره حسده"[1].

ب. قال الإمام أبو حيان: "لما قال فيما قبلها: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢﴾ [العصر]، بيَّن حال الخاسر"[2].

ج. قال الإمام النيسابوري: "لما ذكر حكم جنس الإنسان في خسرهم عقبه بمثال واحد"[3].

د. قال الإمام البقاعي: "لما بيَّن الناجين من قسمي الإنسان في العصر، وختم بالصبر، حصل تمام التشوف إلى أوصاف الهالكين، فقال مبيناً لأضلهم وأشقاهم الذي الصبر على أذاه في غاية الشدة، ليكون ما أعد له من العذاب مسلاة للصابر: ﴿وَيۡلٞ...۝١﴾ [الهمزة]، أي هلاكٌ عظيم"[4].

هـ. قال الإمام الآلوسي: "ولما ذكر سبحانه فيما قبلها أن الإنسان سوى من استثنى في خسر؛ بيّن عز وجل فيها أحوال بعض الخاسرين"[5].

و. قال الشيخ المراغي: "ومناسبتها لما قبلها أنه لما ذكر سبحانه في السورة السابقة أن جميع أفراد الإنسان منغمسون في الضلال إلا من عصم الله ذكر هنا بعض صفات أهل الضلال"[6].

---

(1) الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص376.

(2) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج10، ص540.

(3) النيسابوري، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ج6، ص561.

(4) البقاعي، **نظم الدرر**، ج22، ص243.

(5) ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص460؛ الغماري، **جواهر البيان**، ص155.

(6) **تفسير المراغي**، ج30، ص236.

ز. قال الشيخ سعيد حوى: "رأينا أنَّ سورة العصر ذكرت أن جنس الإنسان في خسر إلا من اتصف بصفات معينة، وتأتي سورة الهمزة لتحدد صفات الخاسرين ومظهر خسارهم، فللسورة صلتها بما قبلها، وهكذا نجد أنَّ للسورة سياقها الخاص، وصلتها بمحورها، وصلتها بما قبلها"[1].

ح. قال الشيخ الزحيلي: "بعد أن ذكر الله تعالى في السورة المتقدمة أنَّ جنس الإنسان في خسران ونقص وهلكة، أبان في هذه السورة حال الخاسر، وأراد به تبيان الخسران بمثال واحد"[2].

ثانيًا: دراسة أقوال المفسرين

اتفق المفسرون المذكورون على أنَّ وجه مناسبة فاتحة سورة الهمزة لخاتمة سورة العصر مرتبط بكون سورة الهمزة أتت لبيان بعض صفات أهل الخسران المذكورين في سورة العصر.

فبيَّن الإمام الغرناطي أنَّ وجه المناسبة هو ذكر سورة الهمزة لمثال خسران الإنسان في سورة العصر، كما تبعه الإمام أبو حيان في هذا القول.

ثم حدَّد الإمام النيسابوري وجه مناسبة سورة الهمزة بكونها أتت بمثال واحد عن خسارة الإنسان في سورة العصر، ومن الظاهر أنَّ سورة الهمزة تحدثت عن أصناف عدة مجموعة تحت صفة الخسران للإنسان، ولذا المعنى أوضح الإمام الآلوسي المناسبة، ولم يحدد الشيخ المراغي بمثال واحد وإنما بيَّن أن الله تعالى ذكر بعض صفات أهل الضلال.

وقد أتت سورة الهمزة تسلية للصابرين وتشوفًا لهلاك المكذبين الخاسرين، إذ بيَّن الإمام البقاعي أن فاتحة سورة الهمزة طمأنت أهل الإيمان الناجين المذكورين في سورة العصر أن العذاب لأهل الهمز واللمز من الجاحدين.

وبين الشيخ حوى والشيخ الزحيلي المناسبة، من خلال إيراد الله تعالى لجنس الخاسرين من البشر في سورة العصر، في مقابل تحديد صفات وأحوال الخاسرين في سورة الهمزة.

---

(1) سعيد حوى، **الأساس في التفسير**، ج11، ص6675.

(2) الزحيلي، **التفسير المنير**، ج30، ص396.

وإنَّ أنواع وصنوف الأذىٰ التي يُبتلىٰ بها الداعية كثيرة، لذا حثَّ الله سبحانه وتعالىٰ أهلَ الإيمان ودعاةَ الحق والهداية إلىٰ التحلي بالصبر وتحمل الأذىٰ، لأنَّها صفة الأنبياء، ووعد من يصيبهم بالأذىٰ بالخزي والندامة يوم القيامة، فجاءت سورة الهمزة تطمئن النبي ﷺ وأمته من بعده أن الويل لكل مؤذٍ في سبيل الدعوة، وتحذِّرُ من سوء عاقبة الطعَّان الذي يغتاب أهل الحق ويبغضهم، والذي يتفاخر بجاهه وماله ظاناً أن المال سيخلده في الدنيا.

المبحث الثالث: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الفيل وخاتمة سورة الهمزة

خاتمة سورة الهمزة:

قال الله تعالى: ﴿كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ۝٩﴾ [الهمزة].

فاتحة سورة الفيل:

قال الله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ۝١ أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ ۝٢ وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ۝٤ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ ۝٥﴾ [الفيل].

المطلب الأول: بين يدي سورة الفيل

أولًا: التعريف بالسورة

سورة الفيل هي السورة الخامسة بعد المئة حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، وردت تسميتها في كلام بعض السلف سورة (ألم تر)، وكذلك عنونها البخاري[1]، وسميت في جميع المصاحف وكتب التفسير بـ(سورة الفيل)، وهي مكية بإجماع الرواة، وقد عدت التاسعة عشرة في ترتيب نزول السور نزلت بعد سورة (قُلْ يَا أيها الكَافرون) وقبل سورة الفلق، وآياتها خمس[2].

ثانيًا: مقصد السورة

مقصدها الاعتبار بحال من آذى بيت الله ، والاعتبار في أخذِ الله تعالى لأبرهة ملك الحبشة ولجيشه حين أمَّ به الكعبة ليهدمها، وكان صاحب فيل يركبه، وقصته مشروحة في السير الطويلة... فنزلت الآية منبهة على الاعتبار بهذه القصة، ليعلم الكل أنَّ الأمر كله لله، ويستسلموا للإله الذي ظهرت في ذلك قدرته، حين لم تغن الأصنام شيئًا[3].

وقال الإمام البقاعي: "ومقصودها الدلالة على آخر الهمزة، من إهلاك المكاثرين، في دار التعاضد والتناصر بالأسباب، فعند انقطاعها أوْلَى لاختصاصه سبحانه بتمام القدرة، دون المتمكن بالمال والرجال، واسمها (الفيل) ظاهر الدلالة على ذلك، بتأمل سورته، وما حصل في سيرة جيشه وصورته"[4].

وقال الإمام ابن عاشور: وقد تضمنت التذكير بأنَّ الكعبة حرم الله، وأن الله حماه ممن أرادوا به سوءًا، أو أظهر غضبه عليهم فعذبهم؛ لأنَّهم ظلموا بطمعهم في هدم مسجد إبراهيم وهو عندهم في كتابهم، وذلك ما سماه الله كيدًا، وليكون ما حلَّ بهم تذكرة لقريش بأنَّ فاعل

---

(1) **صحيح البخاري**، كتاب التفسير، باب: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة]، ج6، ص177.

(2) ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج5، ص523؛ البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص249؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص543؛ سعيد حوى، **الأساس في التفسير**، ج11، ص6679.

(3) ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج5، ص523.

(4) البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص249.

ذلك هو رب ذلك البيت، وألَّا حظَّ فيه للأصنام التي نصبوها حوله، وتنبيه قريش أو تذكيرهم بما ظهر من كرامة النبي ﷺ عند الله، إذ أهلك أصحاب الفيل في عام ولادته، ومن وراء ذلك تثبيت النبي ﷺ بأنَّ الله يدفع عنه كيد المشركين فإن الذي دفع كيد من يكيد لبيته لأحق بأن يدفع كيد من يكيد لرسوله ﷺ ودينه، ومن وراء ذلك كله التذكير بأن الله غالب على أمره، وأن لا تغر المشركين قوتهم ووفرة عددهم، ولا يوهن النبي ﷺ تألب قبائلهم عليه، فقد أهلك الله من هو أشد منهم قوة وأكثر جمعًا...[1].

وأشار الإمام ابن عطية إلى أن مقصد سورة الفيل الاعتبار بالأقوام السابقة، أما الإمام البقاعي فألمح إلى تناسب المقاصد بين سورة الفيل وسورة الهمزة التي قبلها، حيث أوضح أنَّ مقصد سورة الفيل تنبيه بإهلاك الصفات المذمومة في سورة الهمزة، ثم دلَّلَ بعلامة اسم السورة على مقصدها.

وبيَّن الإمام ابن عاشور أنَّ مقصد سورة الفيل تذكيرٌ وتنبيهٌ وتثبيت؛ تذكيرٌ بحرمة الحرم، وتذكيرٌ لقريش بخالقهم رغم عبادتهم للأصنام، وأن الله غالب على أمره، وتنبيهٌ بتعظيم النبي ﷺ حيث كان هذا الحدث وقت ولادته الشريفة، وتثبيتٌ لقلبه الشريف ﷺ بأن الله مخزٍ عدوه، فكان مراد الله تعالى كما قال الإمام التستري: "ألم تعلم كيف فعل ربك بأعدائك وأنت بعد لم تظهر في الدنيا، كذلك يفعل بأعدائك وأنت بين ظهرانيهم ويرفع عنك مكرهم"[2].

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة الفيل وخاتمة الهمزة ودراستها

أولًا: أقوال المفسرين

أ. قال الإمام ابن الزبير الغرناطي: "لما تضمَّنت سورة الهمزة ذكر اغترار من فُتن بماله حتى ظَنَّ أنه يُخلِّده، وما أعقبه ذلك أتبع هذا بذكر أصحاب الفيل الذين غرَّهم تكاثرهم وخدعهم امتدادهم في البلاد واستيلاؤهم حتى همُّوا بهدم البيت المحرم، فتعجَّلوا النقمة وجعل الله كيدهم في تضليل"[3].

---

(1) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص546-544.

(2) التستري، **تفسير القرآن العظيم**، ص206.

(3) الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ت: سعيد الفلاح، ص218 .

ب. قال الإمام أبو حيان: "ولما ذكر فيما قبلها عذاب الكفار في الآخرة، أخبر هنا بعذاب ناس منهم في الدنيا"[1].

ج. قال الإمام البقاعي: "لما قدم في الهمزة أنَّ كثرة الأموال المسببة بالقوة بالرجال ربما أعقبت الوبال، دلَّ عليه في هذه بدليل شهودي وصل في تحريقه وتغلغله في الأجسام وتجريفه إلى القلوب في العذاب الأدنى كما ذكر فيما قبلها للعذاب الأكبر الأخفى، محذراً من الوجاهة في الدنيا وعلو الرتبة، مشيراً إلى أنَّها كلما عظمت زاد ضررها بما يكسبه من الطغيان حتى ينازع صاحبها الملك الأعلى، ومع كونه شهودياً فللعرب ولا سيما قريش به الخبرة التامة، فقال مقرراً منكراً على من يخطر له خلاف ذلك:﴿أَلَمۡ تَرَ﴾"[2].

د. قال الإمام السيوطي: "ظهر لي في وجه اتصالها بعد الفكرة: أنَّه تعالى لما ذكر حال الهمزة اللمزة، الذي جمع مالًا وعدَّده، وتعزز بماله وتقوَّى، عقَّب ذلك بذكر قصة أصحاب الفيل، الذين كانوا أشد منهم قوة وأكثر أموالًا وعتوًّا"[3].

هـ. قال الإمام الآلوسي: "كأنَّه لما تضمَّن الهمز واللمز من الكفرة نوعَ كيدٍ له عليه الصلاة والسلام عقَّب ذلك بقصة أصحاب الفيل للإشارة إلى أنَّ عقبى كيدهم في الدنيا تدميرهم فإنَّ عناية الله عز وجل برسوله ﷺ أقوى وأتم من عنايته سبحانه بالبيت، فالسورة مشيرة إلى مآلهم في الدنيا إثر بيان مآلهم في الأخرى، ويجوز أن تكون كالاستدلال على ما أشير إليه فيما قبلها من أنَّ المال لا يغني من الله تعالى شيئًا، أو على قدرته عز وجل على إنفاذ ما توعد به أولئك الكفرة في قوله سبحانه ﴿...لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ۝٤﴾ [الهمزة]"[4].

و. قال الشيخ الغماري: "تناسب سابقتها في بيان مآل بعض الخاسرين، وهم أصحاب الفيل، خصوا بالذكر لاجترائهم على حرم الله تعالى"[5].

---

(1) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج10، ص543.

(2) البقاعي، **نظم الدرر**، ج22، ص249-250.

(3) السيوطي، **تناسق الدرر**، ص167.

(4) الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص464.

(5) الغماري، **جواهر البيان**، ص155.

ز. قال الشيخ المراغي: "ومناسبتها لما قبلها أنَّه بيَّن في السورة السابقة أنَّ المال لا يُغني من الله شيئا وهنا أقام الدليل على ذلك بقصص أصحاب الفيل"[1].

ح. قال الشيخ الفراهي: "ذكر القرآن في السورة السابقة كل همزة لمزة يفتخر بماله، ذاهل عن مآله، فدعا عليه بالويل، وأنبأه بأنه ينبذ في الحطمة والنار الموقدة، ففي هذه السورة إشهاد على ما فعل بأمثاله حين اعتمدوا على قوة شوكتهم، واجترؤوا على الله، لأنهم قد علموا في كتبهم حرمة هذا البيت العتيق"[2].

ط. قال الشيخ الشعراوي: أخبرنا الله تعالى في خاتمة سورة الهمزة بالوعيد لذلك الهمزة اللمزة، يُعلِمُه ما سيحدث له يوم القيامة، فكأنَّ الحق سبحانه أراد أن يدلل على صدق نفاذ ذلك الوعيد، فأجرى في دنيانا على الكافرين بعض الأمور المحسوسة؛ لينتقل من الغيب إلى الحس، فيصدق أنَّ الذي أجرى ذلك في المحسِّ، قادرٌ على أن يجري ذلك فيما يغيب عنا[3].

ي. قال الشيخ الزحيلي: "ذكر الله تعالى في السورة السابقة حال الهمزة اللمزة الذي جمع مالًا، وتعزز بماله، وأفاد أنَّ المال لا يغني من الله شيئًا، ثم ذكر في هذه السورة الدليل على ذلك، بإيراد قصة أصحاب الفيل الذين كانوا أشدَّ منهم قوة، وأكثر مالًا، وأعظم عتوًا، وقد أهلكهم الله بأصغر الطير وأضعفه، ولم يغن عنهم مالهم ولا عددهم ولا قوتهم شيئًا"[4].

ثانيًا: دراسة أقوال المفسرين

اتفق المفسرون السابقون أن وجه المناسبة بين فاتحة سورة الفيل وخاتمة سورة الهمزة يتحقق من خلال إنفاذ الله تعالى لوعده، وعدم اغترار الأقوام بأموالهم وجاههم، فكما أنَّ الله تعالى أهلك أصحاب الفيل من قبلهم فهو قادرٌ على إهلاكهم، من خلال الاعتبار بحال أصحاب الفيل.

---

(1) **تفسير المراغي**، ج30، ص241.

(2) الفراهي، **نظام القرآن**، ص425-426.

(3) ينظر: **تفسير الشعراوي**، ص15929.

(4) الزحيلي، **التفسير المنير**، ج30، ص403.

وقد ربط الإمام الغرناطي بين السورتين من خلال صفة الاغترار، فأصحاب الهمزة اغتروا بمالهم وجاههم وظنوا أنهم مخلدون به، وأصحاب الفيل اغتروا بعددهم وعدتهم وظنوا أنهم سيهدمون بيت الله تعالى، وبهذا المعنى أشار الإمام البقاعي، في شرح وافٍ وكافٍ وبيان تفصيلي في وجه المناسبة.

وقارن الإمام أبو حيان نوعية العذاب بين السورتين، فسورة الهمزة بيَّنت العذاب الأخروي، وبينت سورة الفيل العذاب الدنيوي لبعض أصناف الناس المذكورة في السورة قبلها.

وأشار الإمام السيوطي إلى اقتران حال أصحاب الهمزة، بأصحاب الفيل وهم أشد جاهًا ومالًا، فلم يغنهم ذلك عن عذاب الله تعالى.

وأضاف الإمام الآلوسي إضافة جديرة بالاهتمام وهي: كلامه عن الرسول ﷺ؛ لأنها جمعت وأفادت أوجهًا عدة، حيث ذكر أنَّ الله سبحانه وتعالى طمأن نبيه ﷺ بأنه سيحميه من أصحاب الهمزة كما حمى بيته من أصحاب الفيل، والنبي ﷺ هو أفضل المخلوقات جميعًا وهو صاحب المقام العالي عند الله تعالى صلوات ربي وتسليماته عليه.

وبيَّن الإمام الشعراوي المناسبة بين السورتين من خلال إثبات الله تعالى لإقامة الجزاء على المكذبين في الدنيا، ونقل صورة حسيَّة تعرفها العرب، ولم تغب عنهم بعد في قصة أصحاب الفيل، فكما أن الله تعالى أنفذ وعده فيهم، قادرٌ أن ينفذ وعده في الآخرة.

من خلال ما تقدم من أقوال المفسرين يتبين أنَّ الله تعالى لما ذكر حالَ الطعان المغتاب المبغض لأهل الإيمان وبيَّن جزاءه، أشار إلى حادثة قريبةٍ في أذهان العرب وهي حادثة الفيل، وكيف أنَّ الله تعالى أهلك من يعادي بيته الحرام.

فكما أنَّ الله تعالى أهلك قومًا اجترؤوا على بيته، فهو قادرٌ سبحانه أن يهلك أقوامًا ظلموا وبغوا في الأرض، وفي ذلك تحذير وتنبيه لهم، فخاتمة سورة الهمزة أتت لأمر قادم لا محالة وسورة الفيل أثبتت الدليل القاطع أنَّ الحطمة لمن آذى وبغى وظلم وتجبَّر، وفي ذلك إشارة إلى أنَّ العذاب الدنيوي قد يسبق للعذاب الأخروي لأصحاب الفساد في المجتمعات.

المبحث الرابع: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة قريش وخاتمة سورة الفيل

خاتمة سورة الفيل:

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾ [الفيل].

فاتحة سورة قريش:

قال الله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ ۝٤﴾ [قريش].

المطلب الأول: بين يدي سورة قريش

أولًا: التعريف بالسورة

سورة قريش هي السورة السادسة بعد المئة حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، سميت هذه السورة بـ «سورة لإيلاف قريش»، وسميت في المصحف وكتب التفسير بـ «سورة قريش» لوقوع اسم قريش فيها ولم يقع في غيرها، وبذلك عنونها البخاري في «صحيحه»[1]، والسورة مكية بلا خلاف، وقد عدت التاسعة والعشرون في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة التين وقبل سورة القارعة، وعدد آياتها أربع عند جمهور العادين، وعدها أهل مكة والمدينة خمس آيات[2].

قال عمرو بن ميمون الأودي (صلى عمر بن الخطاب ﷺ المغرب فقرأ في الركعة الثانية: ألم تر كيف ولإيلاف قريش)[3]، وجعلها سيدنا أبي بن كعب ﷺ مع سورة الفيل سورة واحدة ولم يفصل بينهما في مصحفه بالبسملة التي كانوا يجعلونها علامة فصل بين السور، وهو ظاهر خبر عمرو بن ميمون عن قراءة سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ، والإجماع الواقع بعد ذلك نقض ذلك.

وقد قال الإمام الآلوسي في ردِّه على طائفة ذهبوا إلى كون سورة الفيل وسورة قريش سورة واحدة بأنَّ جمعًا أثبتوا الفصل في مصحف أبيّ والمثبت مقدم على النافي، وبأنَّ خبر ابن

---

(1) **صحيح البخاري**، كتاب التفسير، باب: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ۝٨﴾ [الزلزلة]، ج6، ص177.

(2) ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج5، ص525؛ البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص250-251؛ الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص470؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص553؛ سعيد حوى، **الأساس في التفسير**، 11، ص6691.

(3) ذكر الرواية ابن أبي شيبة ولم يرد (الركعة الثانية) عَنِ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ عُمَرَ حُجَّاجًا «فَصَلَّى بِنَا الْفَجْرَ يَقْرَأُ بِـ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ، وَلِإِيلَافِ قُرَيْشٍ». ينظر: أبو بكر ابن أبي شيبة: عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت: 235هـ)، **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**، ت: كمال يوسف الحوت، باب: من كان يخفف القراءة في السفر، ج1، ص322؛ وجاء في تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي : (...فَقَرَأَ فِي الأُولَى بِالتِّينِ وَالزَّيْتُون وَفِي الثَّانِيَة ألم تَرَ كَيفَ ولِإِيلَافِ قُرَيْش). ينظر: الزيلعي: جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد (ت: 762هـ)، **تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري**، ت: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، ج4، ص293.

ميمون إن سلمت صحته محتمل لعدم سماعه ولعله قرأها سرًا، ويدل على كونها سورة مستقلة ما[1].

ثانيًا: مقصد السورة

مقصدها إرشاد العباد لشكر المنعم، وقال الإمام البقاعي: "ومقصودها أنَّ إهلاك الجاحدين المعاندين، لإصلاح المقرّين العابدين، وهو بشارة عظيمة لقريش خاصة، بإظهار شرفهم في الدارين، واسمها "قريش" ظاهر الدلالة على ذلك، والتعبير بقريش، دون قومك والخُمس مثلاً، دال على أنهم يغلبون كما يدل عليه الاسم، وبغير قوة كما دلَّ ما فعل لأجلهم من قصة الفيل"[2] .

وقال الإمام ابن عاشور: "أَمْرُ قريش بتوحيد الله تعالى بالربوبية تذكيرًا لهم بنعمة أنَّ الله مكَّن لهم السير في الأرض للتجارة برحلتي الشتاء والصيف لا يخشون عاديا يعدو عليهم، وبأنَّه أمَّنهم من المجاعات وأمنهم من المخاوف، لما وقر في نفوس العرب من حرمتهم لأنهم سكان الحرم وعمار الكعبة، وبما ألهم الناس من جلب الميرة[3] إليهم من الآفاق المجاورة كبلاد الحبشة، ورد القبائل فلا يغير على بلدهم أحد، قال تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴿٦٧﴾﴾ [العنكبوت]، فأكسبهم ذلك مهابةً في نفوس الناس وعطفًا منهم"[4].

لقد بيَّن الإمام البقاعي أن مقصد سورة قريش إجلال وبيان شرف القبيلة، أما الإمام ابن عاشور فأشار إلى بيان فضل الله تعالى ونعمه السابغة عليهم، وأن تكون هذه السورة بمثابة تذكير وتنبيه لهم.

---

(1) ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص470.

(2) البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص250-251.

(3) الميرة بلا همز: جَلْب القَوْم الطّعامَ للبَيْع، وهم يَمْتارونَ لأَنْفُسِهِمْ، ويَمِيرُونَ غَيْرَهم ميراً. ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، **العين**، ج8، ص295.

(4) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص554.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة قريش وخاتمة الفيل ودراستُها

أولًا: أقوال المفسرين

أ. قال الإمام الزمخشري: "قيل: هو متعلق بما قبله، أي: فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش، وهذا بمنزلة التضمين في الشعر: وهو أن يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقًا لا يصح إلا به"[1].

ب. بيَّن الإمام الرازي أن اللام في قوله: ﴿لِإِيلَٰفِ...١﴾ [قريش]، تحتمل عدة وجوه أذكر بعضًا منها، فإمَّا أن تكون متعلقة بالسورة التي قبلها أو بالآية التي بعدها، أو لا تكون متعلقة لا بما قبلها، ولا بما بعدها. **أما الوجه الأول**: وهو أن تكون متعلقة بما قبلها، ففيه احتمالات، أولها ما ذكره الزجاج وأبو عبيدة أنَّ التقدير: فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش أي أهلك الله أصحاب الفيل لتبقى قريش، وما قد ألفوا من رحلة الشتاء والصيف، وذكر الإمام الرازي ردًا على هذا الاحتمال بأنه ضعيف لأنهم إنما جعلوا كعصف مأكول لكفرهم، ولم يجعلوا كذلك لتأليف قريش، ثم خالف هذا الرد لوجوه أحدها: أنا لا نسلم أن الله تعالى إنما فعل بهم ذلك لكفرهم، فإن الجزاء على الكفر مؤخر للقيامة، قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَ...١٧﴾ [غافر] وقال: ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ...٤٥﴾ [فاطر]، ولأنه تعالى لو فعل بهم ذلك لكفرهم، لكان قد فعل ذلك بجميع الكفار، بل إنما فعل ذلك بهم لإيلاف قريش، ولتعظيم منصبهم وإظهار قدرهم ...، **والاحتمال الثاني**: أن يكون التقدير: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ١﴾ [الفيل]، ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ١﴾ [قريش]، كأنَّه تعالى قال: كل ما فعلنا بهم فقد فعلناه لإيلاف قريش، فإنه تعالى جعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيرًا أبابيل، حتى صاروا كعصف مأكول، فكل ذلك إنما كان لأجل إيلاف قريش...[2].

(1) الزمخشري، **الكشاف**، ج4، ص801.

(2) ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج32، ص294، النيسابوري، **غرائب القرآن**، ج6، ص568.

ج. قال الإمام ابن الزبير الغرناطي: "لا خفاء باتصالها، أي إنه تعالى فعل ذلك بأصحاب الفيل، ومنعهم عن بيته وحرمه لانتظام شمل قريش، وهم سكان الحرم، وقطان بيت الله، وليؤلفهم بهاتين الرحلتين، فيقيموا بمكة أمن ساحتهم"[1].

د. قال الإمام أبو حيان: "ومناسبتها لما قبلها ظاهرة، ولا سيما أن جعلت اللام متعلقة بنفس فجعلهم، وهو قول الأخفش، أو بإضمار فعلنا ذلك لإيلاف قريش، وهو مروي عن الأخفش، حتى تطمئن في بلدها، فذكر ذلك للامتنان عليهم، إذ لو سلط عليهم أصحاب الفيل لتشتتوا في البلاد والأقاليم، ولم تجتمع لهم كلمة"[2].

هـ. قال الإمام البقاعي: "لما كان ما فعله سبحانه – من منع هذا الجيش العظيم – الذي من قوته طاعة أكبر ما خلق الله من الحيوان البري فيما نعلمه له – من دخول الحرم الذي هو مظهر قدرته ومحل عظمته الباهرة وعزته، والمذكر بخليله عليه الصلاة والسلام وما كان من الوفاء بعظيم خلته – كرامة لقريش عظيمة ظاهره عاجلة حماية لهم عن أن تستباح ديارهم وتسبى ذراريهم لكونهم أولاد خليله، وخدام بيته، وقطان حرمه، ومتعززين به، ومنقطعين إليه، وعن أن يخرب موطن عزهم ومحل أمنهم، وعيشهم وحرزهم، ذكرهم سبحانه وتعالى ما فيه من النعمة الآجلة إكراماً ثانياً بالنظر في العاقبة، فقال مشيراً إلى أن من تعاظم عليه قصمه، ومن ذل له وخدمه أكرمه وعظمه: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١﴾ [قريش]، أي لهذا الأمر لا غيره فعلنا ذلك، وهو إيقاعهم الإيلاف وهو ألفهم لبلدهم الذي ينشأ عنه طمأنينتهم، وهيبة الناس لهم"[3].

ز. قال الإمام السيوطي: "هي شديدة الاتصال بما قبلها؛ لتعلق الجار والمجرور في أولها بالفعل في آخر تلك"[4].

ح. قال الإمام الآلوسي: "ومناسبتها لما قبلها أظهر من أن تخفى"[5].

---

(1) الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص377.

(2) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج10، ص547.

(3) البقاعي، **نظم الدرر**، ج22، ص260.

(4) السيوطي، **تناسق الدرر**، ص168.

(5) الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص470.

ط. قال الشيخ المراغي: " ومناسبتها لما قبلها أن كلًا منهما تضمَّن ذكر نعمة من نعم الله على أهل مكة، فالأولى تضمنت إهلاك عدوهم الذي جاء ليهدم بيتهم، وهو أساس مجدهم وعزهم، والثانية ذكرت نعمة أخرى هي اجتماع أمرهم، والتآم شملهم، ليتمكنوا من الارتحال صيفًا وشتاءً في تجارتهم، وجلب الميرة لهم"[1].

ي. قال الشيخ الغماري: "إن لإيلاف متعلق بآخر السورة السابقة، والمعنى : فجعلهم كعصف مأكول، ليبقى إيلاف قريش رحلتي الشتاء والصيف، فالسورتان مرتبطتان"[2].

ك. قال الشيخ الزحيلي: "ترتبط السورة بما قبلها من وجهين: أولهما كلتا السورتين تذكير بنعم الله على أهل مكة، فسورة الفيل تشتمل على إهلاك عدوهم الذي جاء لهدم البيت الحرام أساس مجدهم وعزهم، وهذه السورة تذكر نعمة أخرى اجتماعية واقتصادية، حيث حقق الله بينهم الألفة واجتماع الكلمة، وأكرمهم بنعمة الأمن والاستقرار، ونعمة الغنى واليسار والإمساك بزمام الاقتصاد التجاري في الحجاز، بالقيام برحلتين صيفًا إلى الشام وشتاءً إلى اليمن، ثانيهما أنَّ هذه السورة شديدة الاتصال بما قبلها، لتعلق الجار والمجرور في أولها بآخر السورة المتقدمة: لِإِيلافِ قُرَيْشٍ.. أي لإلف قريش أي أهلك الله أصحاب الفيل، لتبقى قريش"[3].

ثانيًا: دراسة أقوال المفسرين

اتفق المفسرون المذكورون إلى أن وجه مناسبة فاتحة سورة قريش مع خاتمة سورة الفيل واضح وظاهر، من خلال إشارة الله تعالى لأهل قريش بالنعم التي أسبغ عليهم، فلما أن ذكر إهلاك أصحاب الفيل أشار إلى إيلافهم، واجتماع كلمتهم.

أبان الإمام الزمخشري عن وجه مناسبة بتعلق سورة قريش بسورة الفيل من قبيل التضمين، وإشارته في قوله "قيل" يدل على أن علم المناسبات حاضرٌ في زمنه وزمن ما مَن قبله.

---

(1) **تفسير المراغي**، ج30، ص244.

(2) الغماري، **جواهر البيان**، ص155.

(3) الزحيلي، **التفسير المنير**، ج30، ص412.

وأوضح الإمام الرازي أن وجه المناسبة بين السورتين متعلقٌ بأن إيلاف الله تعالى لقريش كان مرجعه إهلاكه تعالى أصحاب الفيل، فآلفهم بعد أن أمنهم من ظلم المعتدين، وإلى هذا المعنى سار الإمام الغرناطي، وأضاف الإمام أبو حيان بيان الامتنان على قريش والعرب بأن خلصهم من أبرهة وجنوده، إذ لو تمكن الأعداء منهم لم يبق لهم كلمة.

ثم أشار الإمام البقاعي في وجه المناسبة إلى إكرام الله تعالى لقبيلة قريش الذين هم خدم بيته وأحفاد خليله، ومقام نبيه ﷺ، حين نجاهم الله من الجبابرة المعتدين، وفصَّل الشيخ المراغي في هذه المناسبة إلى نعمتين: الأولى إهلاك العدو، والثانية اجتماع أمر قريش.

ومن خلال ما تقدم يتبين أنه لما ذكر الله تعالى نعمته على قبيلة قريش والعرب عمومًا بأن حماهم من أذى أبرهة وأصحابه، نبَّههم في سورة قريش إلى أنَّ نعمة الأمان هذه تستوجب الشكر والعبادة له سبحانه وتعالى.

ولما أهلك الله تعالى أصحاب الفيل أعزَّ قدر قريش بين القبائل، وجعل لهم المكانة العظيمة، فلزم منهم الإيمان بالله تعالى واتباع رسوله ﷺ.

المبحث الخامس: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الماعون وخاتمة سورة قريش

خاتمة سورة قريش:

قال الله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ۝٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۢ ۝٤﴾ [قريش].

فاتحة سورة الماعون:

قال الله تعالى: ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ۝٣﴾ [الماعون].

المطلب الأول: بين يدي سورة الماعون

أولًا: التعريف بالسورة

سورة الماعون هي السورة السابعة بعد المئة حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، سميت هذه السورة بـ «سورة الماعون» لورود لفظ الماعون فيها دون غيرها، وسميت بـ «سورة أرأيت» في صحيح البخاري[1]، وهي مكية في قول الجمهور[2]، روي ذلك عن سيدنا ابن عباس ﷺ، وقال القرطبي عن قتادة: هي مدنية، في «الإتقان» : قيل نزل ثلاث أولها بمكة، وبقيتها نزلت بالمدينة إلى آخر السورة، وعدت السابعة عشرة في عداد نزول السور بناء على أنها مكية، نزلت بعد سورة التكاثر وقبل سورة الكافرون، وآياتها سبع في الكوفي والبصري، وست عند الباقين[3].

ثانيًا: مقصد السورة

مقصدها تنبيه المكذب بالدين إلى أن أفعاله تودي به إلى الهلاك الأخروي، قال الإمام البقاعي: "مقصودها التنبيه على أنَّ التكذيب بالبعث لأجل الجزاء، أبو الخبائث، فإنه يجزي المكذب على مساوئ الأخلاق، حتى تكون الاستهانة بالعظائم خلقاً له، فيصير ممن ليس له خلاق، وكل من أسمائها في غاية الوضوح في الدلالة على ذلك، بتأمل السورة، لتعرف هذه الأشياء المذكورة"[4].

وقال الإمام ابن عاشور: "من مقاصدها التعجيب من حال من كذبوا بالبعث وتفظيع أعمالهم من الاعتداء على الضعيف واحتقاره والإمساك عن إطعام المسكين، والإعراض عن

---

(1) **صحيح البخاري**، كتاب التفسير، باب: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة]، ج6، ص177.

(2) قال ابن عطية: "سورة الماعون مكية بلا خلاف، وقال الثعلبي إنها مدنية" ينظر: **المحرر الوجيز**، ج5، ص527، لكن الثعلبي نص على أنها مكية في تفسيره. ينظر: الثعلبي: أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم (ت:427هـ)، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، أشرف على إخراجه: د. صلاح باعثمان، د. حسن الغزالي، أ. د. زيد مهارش، أ. د. أمين باشه، ت: عدد من الباحثين، ج30، ص329.

(3) ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج5، ص527؛ السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج1، ص68؛ الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص474؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص564؛ سعيد حوى، **الأساس في التفسير**، ج11، ص6697.

(4) البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص253.

قواعد الإسلام من الصلاة والزكاة؛ لأنَّه لا يخطر بباله أن يكون في فعله ذلك ما يجلب له غضب الله وعقابه"[1].

اتفق الإمامان أنَّ مقصد سورة الماعون هو بيان عاقبة المكذب بيوم البعث، واستهانته بكبائر الذنوب، واحتقاره، وهذه الكبيرة هي من أعظم الكبائر وأسوئها.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة الماعون وخاتمة قريش ودراستها

أولًا: أقوال المفسرين

أ. قال الإمام ابن الزبير الغرناطي: "لما تضمنت السور المتقدمة من الوعيد لمن انطوى على ما ذكر فيها مما هو جار على حكم الجهل والظلم الكائنين في جبلة الإنسان ما تضمنت كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ۝٦﴾ [العاديات]، ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢﴾ [العصر]، ﴿يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ۝٣﴾ [الهمزة]، وانجر أثناء ذلك مما تثمره هذه الصفات الأولية إلى ما ذكر أيضا فيها كالشغل بالتكاثر والطعن على الناس ولمزهم، والاغترار المهلك أصحاب الفيل أتبع ذلك بذكر صفات قد توجد في المنتمين إلى الإسلام أو يوجد بعضها، وأعمال ممن يتصف بها، وإن لم يكن من أهلها، كدع اليتيم وهو دفعه عن حقه وعدم الرفق به وعدم الحض على إطعام المسكين، ...فأخبر سبحانه أنها من صفات من يكذب بيوم الدين، ولا ينتظر الجزاء والحساب، إشارة إلى أن هؤلاء هم أهلها ومن هذا القبيل قوله ﷺ:

(1) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص564.

(أربعٌ من كنَّ فيه كان منافقًا خالصًا)[1]، وقوله عليه الصلاة والسلام (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)[2]..."[3].

ب. قال الإمام أبو حيان: "ولما عدد الله تعالى نعمه على قريش، وكانوا لا يؤمنون بالبعث والجزاء، أتبع امتنانه عليهم بتهديدهم بالجزاء وتخويفهم من عذابه"[4].

ج. قال الإمام النيسابوري: ووجه مناسبتها لما قبلها أنَّه لما قال في السورة السابقة: ﴿ٱلَّذِىٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٍ...﴿٤﴾﴾ [قريش]، ذمَّ في هذه من لم يحضّ على طعام المسكين، ولما قال في السورة السابقة: ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ﴿٣﴾﴾ [قريش]، ذم هنا من سها عن صلاته، وبما أنه تعالى عدَّدَ في سورة قريش نعمه على قريش، وهم مع ذلك ينكرون البعث، ويجحدون الجزاء، أتبعه هنا بتهديدهم وتخويفهم من عذابه[5].

د. قال الإمام البقاعي: "لما أخبر سبحانه وتعالى عن فعله معهم من الانتقام ممن تعدى حدوده فيهم، ومن الرفق بهم بما هو غاية في الحكمة، فكان معرفًا بأنَّ فاعله لا يترك الناس سدى من غير جزاء، وأمرهم آخر قريش بشكر نعمته بإفراده بالعبادة، عرَّفهم أول هذه أن ذلك لا يتهيأ إلا بالتصديق بالجزاء الحامل على معالي الأخلاق، الناهي عن مساوئها، وعجب ممن يكذب بالجزاء مع وضوح الدلالة عليه بحكمة الحكيم، ووصف المكذب به

---

(1) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ). **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب: علامة المنافق، رقم الحديث:34، ج1، ص16، باب: إثم من عاهد ثم غدر، ج4، ص102 ينظر: **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب: بيان خصال المنافق، رقم الحديث:106، ج1، ص78.

(2) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَالتَّوْبَةُ مَعْرُوضَةٌ بَعْدُ». **صحيح البخاري**، كتاب الحدود، باب: إثم الزناة، رقم الحديث: 6809، ج8، ص164، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب: بيان نقصان الإيمان بالمعاصي، رقم الحديث: 104، ج1، ص77

(3) الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، رقم الحديث: 104، ص378-379.

(4) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج10، ص552.

(5) ينظر: النيسابوري، **غرائب القرآن**، ج30، ص247. ينظر: **تناسق الدرر**، ص168؛ **روح المعاني**، ج15، ص474؛ **تفسير المراغي**، ج30، ص247؛ **التفسير المنير**، ج30، ص419-420.

بأوصاف هم منها في غاية النفرة، وصوّره بأشنع صورة بعثاً لهم على التصديق وزجراً عن التكذيب، فقال خاصاً بالخطاب رأس الأمة إشارة إلى أنه لا يفهم هذا الأمر حق فهمه غيره: ﴿أَرَأَيْتَ﴾"[1].

هـ. قال الشيخ الغماري: "وجه مناسبتها لما قبلها: أن الله تعالى امتنَّ على قريش بأنه أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف، وأمرهم أن يعبدوه شكرًا على ذلك، فذمهم هنا بأنهم يكذبون بالدين، ويدفعون اليتيم دفعًا عنيفًا، ولا يبذلون الطعام للمسكين الجائع، وهو ضد ما أمرهم الله، بل ضد ما يقتضيه شكر نعمة الإطعام والأمن"[2].

ثانيًا: دراسة أقوال المفسرين

اتفق المفسرون المذكورون على أنَّ وجه مناسبة فاتحة سورة الماعون مع خاتمة سورة قريش متضحٌ من خلال ترهيب أتى بعد ترغيب، إذ إن الله تعالى لما بيَّن نعمه الجليلة في سورة قريش، أشار بالعذاب إلى من يخالف مدلول النعم وموجباتها.

وبيَّن الإمام الغرناطي أنَّ هناك التحامًا بين السور السابقة وبين سورة الماعون، وفيها تنبيه للمؤمن أن لا يسلك الصفات المذمومة المذكورة فيها، ومن بينها صفات أصحاب الفيل في المراءاة والكبر، وغيرها من الصفات، وجاء وجه التناسب عند الإمام من قبيل تناسب السورة للسور التي قبلها وهو خارج موضوع البحث.

وأشار الإمام أبو حيان إلى أن وجه التناسب بين السورتين مقترن بالتهديد بعد الامتنان، وبالترهيب بعد الترغيب، إذ إنه سبحانه لما فصل نعمه على قريش حذرهم من الاغترار، وذكرهم بالجزاء، وهو وصل جيد بين السورتين.

وألمح الإمام النيسابوري بإشراقة مزدانة بنور التوفيق حين ذكر تناسب الإطعام والعبادة بين سورة قريش وسورة الماعون، وهي داخلة ضمن جانب التذكير بالنعم الربانية مقابل التهديد والوعيد بمن لم يعطها حقها.

---

(1) البقاعي، **نظم الدرر**، ج22، ص275-276.

(2) الغماري، **جواهر القرآن**، ص156.

وربط الإمام البقاعي بين السورتين من خلال تذكير الله تعالى لأهل قريش النعم بدءًا من حمايتهم، إلى منتهى الأمان لديهم، بما أتى به في صميم المعاملات الأخلاقية بين الناس وتحذيرهم من سوء عاقبة الولوج في مساوئ عدم الإذعان والتسليم لمراد الله تعالى ولأوامره سبحانه.

ولما ذكر الله تعالى إطعام وتأمين أهل قريش، أشار إلى من يكذب بيوم الحساب والجزاء، فلا هو أطعم الجائع بعد أن منَّ عليه الله تعالى بالكساء والطعام، ولا حثَّ ورغَّب بإطعام المحتاجين.

وناسبت خاتمة سورة قريش فاتحةَ سورة الماعون جزاء ترك عبادة الحق سبحانه وتعالى، إذ بيَّن الله تعالى أمثلة في الابتعاد عن طريقه سبحانه في سورة الماعون، انطلاقًا من خاتمة سورة قريش في بيان فضل الله تعالى على أهل قريش في معيشتهم وأمنهم، وانتهاءً بذكر جزاء من لا يساهم في إمداد فئات المجتمع الفقيرة وهو قادر على ذلك، "وإنما يدعّ اليتيم لأنّ الله تعالى قد نزع الرحمة من قلبه، ولا تُنزَع الرحمة إلّا من قلب شقيّ"[1]، عافانا الله وإياكم من شقاء القلوب.

(1) القشيري، **لطائف الإشارات**، ج3، ص773.

المبحث السادس: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الكوثر وخاتمة سورة الماعون

خاتمة سورة الماعون:

قال الله تعالى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ٥ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ٦ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ٧﴾ [الماعون].

فاتحة سورة الكوثر:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣﴾ [الكوثر].

المطلب الأول: بين يدي سورة الكوثر

أولًا: التعريف بالسورة

سورة الكوثر هي السورة الثامنة بعد المئة حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، سميت هذه السورة بـ «سورة الكوثر»، وعنونها الإمام البخاري سورة: «إنا أعطيناك الكوثر»[1]، وسماها البعض بسورة النحر، وقد تعارضت الأقوال والآثار في أنها مكية أو مدنية تعارضًا كثيرًا، فهي مكية عند الجمهور، وعن الحسن وقتادة ومجاهد وعكرمة: هي مدنية، ومما يُتلمس من الخلاف الوارد في زمن نزول سورة الكوثر أنها مما تكرر نزوله، إذ إن الترجيح غير وارد في هذه المسألة خاصة مع وجود لفظ صريح في النزول بمكة والمدينة، وأرى ــ والله أعلم ــ أنَّ فائدة التكرار تذكيرُ نعم المولى سبحانه وتعالى على النبي ﷺ وبيان فضله، وتسلية لقلبه الشريف ﷺ.

ثانيًا: مقصد السورة

مقصدها إمداد النبي ﷺ بالعطاء الإلهي، وبيان فضله ﷺ وعلو رتبته عند ربه جل جلاله، وخذلان أعدائه، وقال الإمام البقاعي في مقصد سورة الكوثر: "ومقصودها المنحة للمنزل عليه ﷺ بكل خير يمكن أن يكون، واسمها "الكوثر" واضح في ذلك، وكذا النَّحر لأنَّه معروفٌ في نحرِ الإبل، وذلك غاية الكرم عند العرب"[2].

وقال الإمام ابن عاشور: "اشتملت على بشارة النبي ﷺ بأنه أعطي الخير الكثير في الدنيا والآخرة، وأمره بأن يشكر الله على ذلك بالإقبال على العبادة، وأن ذلك هو الكمال الحق لا ما يتطاول به المشركون على المسلمين بالثروة والنعمة وهم مغضوب عليهم من الله تعالى لأنهم أبغضوا رسوله، وغضب الله بتر لهم إذا كانوا بمحل السخط من الله، وإن انقطاع الولد الذكر ليس بترًا؛ لأن ذلك لا أثر له في كمال الإنسان"[3].

---

(1) **صحيح البخاري**، كتاب التفسير، ج6، ص176.

(2) البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص256.

(3) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص572.

أشار الإمام البقاعي إلى أن مقصد سورة الكوثر متعلق بالنعم التي وهبها الله تعالى لنبيه ﷺ، مدللًا على مقصد السورة بأسمائها[1].

ثم بيَّن الإمام ابن عاشور أن مقصدها واضح من أن شكر الله تعالى يكون بالإقبال عليه، وكما قال الإمام الرازي: "السالكون إلى الله تعالى لهم ثلاث درجات: أعلاها أن يكونوا مستغرقين بقلوبهم وأرواحهم في نور جلال الله، وثانيها: أن يكونوا مشتغلين بالطاعات والعبادات البدنية، وثالثها: أن يكونوا في مقام منع النفس عن الانصباب إلى اللذات المحسوسة والشهوات العاجلة ..."[2].

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة الكوثر وخاتمة الماعون ودراستها

أولًا: أقوال المفسرين

أ. قال الإمام الرازي: "هذه السورة كالمقابلة للسورة المتقدمة، وذلك لأنَّ في السورة المتقدمة وصف الله تعالى المنافق بأمور أربعة: أولها: البخل وهو المراد من قوله: ﴿...يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ۝٣﴾ [الماعون]، الثاني: ترك الصلاة وهو المراد من قوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعون]، والثالث: المراءاة في الصلاة هو المراد من قوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ۝٦﴾ [الماعون]، والرابع: المنع من الزكاة وهو المراد من قوله: ﴿وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ۝٧﴾ [الماعون]، فذكر في هذه السورة في مقابلة تلك الصفات الأربع صفات أربعة، فذكر في مقابلة البخل قوله: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾ [الكوثر]، أي: إنا أعطيناك الكثير، فأعط أنت الكثير ولا تبخل، وذكر في مقابلة: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعون]، قوله: ﴿فَصَلِّ...۝٢﴾ أي دُمْ على الصلاة، وذكر في مقابلة: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ۝٦﴾ [الماعون]، قوله: ﴿...لِرَبِّكَ...۝٢﴾ [الكوثر]، أي: ائت بالصلاة لرضا ربك، لا لمراءاة الناس، وذكر في مقابلة: ﴿وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ۝٧﴾ [الماعون]، قوله: ﴿...وَٱنۡحَرۡ ۝٢﴾ [الكوثر]، وأراد به التصدق بلحم الأضاحي، فاعتبر هذه المناسبة العجيبة، ثم ختم السورة

(1) البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص256.

(2) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج32، ص307-308.

بقوله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر]، أي المنافق الذي يأتي بتلك الأفعال القبيحة المذكورة في تلك السورة سيموت ولا يبقى من دنياه أثر ولا خبر، وأما أنت فيبقى لك في الدنيا الذكر الجميل، وفي الآخرة الثواب الجزيل"[1].

ب. قال الإمام ابن الزبير الغرناطي: "لما نهى عباده عما يلتذ به من أراد الدنيا وزينتها من الإكثار والكبر والتغرر بالمال والجاه وطلب الدنيا، أتبع ذلك بما منح نبيه ﷺ مما هو خير مما يجمعون وهو الكوثر، وهو الخير الكثير، ومنه الحوض الذي ترده أمته في القيامة، لا يظمأ من شرب منه، ومنه مقامه المحمود الذي يحمده فيه الأولون والآخرون عند شفاعته العامة للخلق وإراحتهم من هول الموقف، ومن هذا الخير قدم له في دنياه كتحليل الغنائم والنصر بالرعب والخلق العظيم، إلى ما لا يحصى من خير الدنيا والآخرة، فبعض ذلك خير من الدنيا وما فيها، إذ لا تعدل الدنيا بجملتها وما فيها واحدة من هذه العطايا ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾ [يونس]، ومن الكوثر والخير الذي أعطاه الله كتابه المبين الجامع لعلم الأولين والآخرين، والشفاء لما في الصدور، ولما كمل له سبحانه من النعم مالا يأتي عليه حصر مما لا يناسب أدناه نعيم الدنيا بجملتها قال له منبهًا على عظيم ما أعطاه ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۝١٣١﴾ [طه]، فقد اضمحل في جانب نعمة الكوثر الذي أوتي كل ما ذكره تعالى في الكتاب من نعيم أهل الدنيا، وتمكن من تمكن منهم وهذا أحد موجبات تأخير هذه السورة، فلم يقع بعدها ذكر شيء من نعيمِ الدنيا ولا ذكر أحد المتمتعين بها لانقضاء هذا الغرض وتمامه، وسورة الدين آخر ما تضمن الإشارة إلى شيء من ذلك كما تقدم من إشارتها وتبين بهذا وجه تعقيبها، والله سبحانه أعلم"[2].

ج. قال الإمام أبو حيان: "ولما ذكر فيما قبلها وصف المنافق بالبخل وترك الصلاة والرياء ومنع الزكاة، قابل في هذه السورة البخل بـ ﴿...أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ [الكوثر]"[3].

---

(1) المصدر السابق، ج32، ص307. ينظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، ج30، ص428.

(2) الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ت: الفلاح، ص220-221

(3) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج10، ص555.

د. قال الإمام النيسابوري: "هذه السورة كالمقابلة للسورة المتقدمة، لأنَّ تلك مثال لكون الإنسان في خسر، وهذه للمستثنين منهم، بل لأشرفهم وأفضلهم، وهو النبي ﷺ بل له ولشانيه، فكأنها مثال للفريقين جميعًا"[1].

هـ. قال الإمام البقاعي: "لما كانت سورة الدين بإفصاحها ناهية عن مساوئ الأخلاق، كانت بإفهامها داعية إلى معالي الشيم، فجاءت الكوثر لذلك، وكانت (الدين) قد خُتمت بأبخل البخلاء وأدنى الخلائق (المنع)[2]، تنفيراً من البخل، ومما جره من التكذيب، فابتدأت الكوثر بأجود الجود (العطاء) لأشرف الخلائق ترغيباً فيه وندباً إليه، فكان كأنه قيل: أنت يا خير الخلق غير متلبس بشيء مما نهت عنه تلك المختتمة بمنع الماعون: ﴿إِنَّا﴾"[3].

و. قال الشيخ المراغي: "ومناسبتها لما قبلها أنه وصف في الأولى الذي يكذب بالدين بأمور أربع: البخل، الإعراض عن الصلاة، الرياء، منع المعونة، وهنا وصف ما منحه رسوله ﷺ من الخير والبركة، فذكر أنه أعطاه الكوثر وهو الخير الكثير، والحرص على الصلاة ودوامها، والإخلاص فيها، والتصدّق على الفقراء"[4].

ز. قال الشيخ الغماري: "ذمَّ الله تعالى في السورة السابقة الكفار على تكذيبهم بالدين، وبخلهم بإطعام المسكين، فأخبر هنا بكرمه الذي أكرم به نبيه ﷺ وسلاه بذلك عن تكذيب قومه وإيذائهم، وأمره بالصلاة والنحر، أي: لإطعام المساكين، على عكس ما عليه الكفار من البخل وترك عبادة الله تعالى"[5].

ح. قال الشيخ الفراهي: نزلت السورة السابقة في ذكر الذين كبرت خيانتهم في ولاية الكعبة، لما أنهم أفسدوا الحج ومناسكها، وأبطلوا حقيقة الصلاة والنحر بإبطال التوحيد والمواساة بالمساكين، فباءوا بالويل واللعنة وحق لهم أن يسلبهم الله هذا الخير ويعطيه من استحقه

---

(1) النيسابوري، **غرائب القرآن**، ج6، ص575.

(2) في الأصل : "وأدنى الخلائق: المنع" لم أجد للفظ المنع هنا سياقًا لغويًا صحيحًا، والمقصود هو قوله تعالى:﴿ويمنعون الماعون﴾، إلا إذا وضعت بين قوسين فيكون اللفظ لمدلول الآية.

(3) البقاعي، **نظم الدرر**، ج22، ص287.

(4) **تفسير المراغي**، ج30، ص251.

(5) الغماري، **جواهر البيان**، ص156.

حسب سنته، وبسورة الكوثر بشر الله تعالى نبيه بأنه اصطفاه وأمته لولاية بيته المحرم، ومسكن خليله، وذريته، ولا شك أن هذا العطاء هو الفوز الأكبر والخير الكوثر، وهو الضمان لحوض الكوثر الذي يعطيه الله تعالى في الآخرة، فموضع هذه السورة بالتي قبلها كموقع ذكر النعمة بعد النقمة، والعطاء بعد السلب، والمستخلفين بعد المهلكين، وذلك أسلوب عام في القرآن[1].

ط. قال الشيخ الشعراوي: "في هذه السورة يعرض الحق سبحانه وتعالى المتقابلات، فالبخل الذي ورد من الأصناف السالفة الذكر في سورة الماعون سيقابله الإعطاء، فيستهل السورة بـ ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾ [الكوثر] أعطيناك الكوثر والكثير، وبعد ذلك يذكر مقابل صفة المراءاة فيقول: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ...۝٢﴾ [الكوثر]، أي: لا تصل لناس؛ لأنك لو صليت للناس فإنك ترائيهم وصل لأنك تعلم ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤﴾ [الماعون]...، إذن فارتباط سورة الكوثر بالسورة التي سبقتها يسمى ارتباط التقابل، ومعنى ارتباط التقابل أنَّ سورة الماعون تعرضت للتكذيب بالدين في قوله سبحانه وتعالى ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١﴾ [الماعون]، وتعرضت للسهو عن الصلاة في قوله عز وجل ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعون]، فلا يؤدونها مع اتسامهم بوسم الإسلام، ومع ذلك لا يؤدون عماد الإسلام، ويفعلون الأشياء مراءاة للناس، فالتقابل في سورة الكوثر جاء ليقابل البخل بالعطاء بقوله ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾ [الكوثر]، وليقابل المراءاة بالإخلاص بقوله ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ...۝٢﴾ [الكوثر]، أي صل لربك لا تصل للناس، فكأنَّ الملحوظ في إقبالك على العبادة أن يكون التوجه بها إلى الله مباشرة"[2].

ثانيًا: دراسة أقوال المفسرين

اتفق المفسرون المذكورون على أنَّ وجه المناسبة بين فاتحة سورة الكوثر، وخاتمة سورة الماعون، متحقق في ذكر العطاء الرباني لنبيه ﷺ بعد بيان جزاء من كذب، ومنع الخير عن غيره.

---

(1) الفراهي، **نظام القرآن**، ص483.

(2) **تفسير الشعراوي**، ص15977-15978.

وجَّه الإمام الرازي المناسبة بين السورتين إلى معنىً فريد وجيد، إذ وضَّح المقابلة بين سورة الماعون وسورة الكوثر، بإشارات لطيفة وسديدة، وإلى هذا المعنى ذهب الإمام أبو حيان والشيخ المراغي وغيرهم إلى قول الإمام الرازي، وبيَّنوا المقابلة بين السورتين.

وأشار الإمام الغرناطي إلى أنه تعالى لما ذكر حال الكافرين في سورة الماعون من منعهم للخير الذي أغدق عليهم، بيَّن أن الخير الكثير والعميم يوم القيامة للنبي ﷺ ومن تبعه.

وألمح الإمام النيسابوري أنَّ في السورتين مثالين لفريق الكفر وفريق الإيمان، وفي هذا المعنى أشار الإمام البقاعي أن سورة الماعون أوضحت حال أبخل البخلاء، وسورة الكوثر أوضحت حال أكرم الكرماء ﷺ وما أعطاه الله تعالى من خيرٍ وفير، وجُودٍ عميم.

وقد فاضت أنوار الفهم عند الشيخ الشعراوي بتبيينه وجه المناسبة بين السورتين، مع كون المعنى مكررًا عند السابقين، إلا أن أنواع المقابلات التي ذكرها من التوفيق بمكان.

ولما ذكر الله تعالى عاقبة التاركين لصلاتهم، الجاحدين لها، المرائين في أفعالهم، المانعين لحق أموالهم، أشار الله تعالى في سورة الكوثر إلى الكرم الإلهي والخير الكثير للنبي ﷺ وأمته المتبعين له، المصلين المتصدقين، فكانت المناسبة من باب مقابلة المعاني بعضها ببعض.

ومن أوجه المناسبة أنَّ الله سبحانه وتعالى "ربما أعطاك فمنعك، وربما منعك فأعطاك"[1]، فلربما أعطى الله سبحانه وتعالى الخير لعبده ليختبره، فإذا ما اعترض وامتنع كان عطاؤه في الظاهر منعًا للفيض الإلهي عليه، وقد يَمنع التقيَّ من مالِه أو رغبةِ هواه ونفسه، فيكون المنع في ظاهره هو عين العطاء والخير، ويتضح ذلك للقارئ في قوله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾، وفي الآيات إشارة إلى فضل النبي ﷺ، إذ إنَّ مبغضه لن يستمد الخير الممنوح له من رفعة الذكر ونور الصدر وشفاعة الحبيب المحبوب ﷺ، فلما كانت خاتمة سورة الماعون مبينة لعاقبة المكذب به ﷺ جاءت سورة الكوثر موضحة فضله ﷺ وجزاء مبغضه.

(1) ابن عطاء الله السكندري، **الحكم العطائية**، شرح ابن عباد النفزي، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط1، 1408هـ، 1988م، ص62.

المبحث السابع: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الكافرون وخاتمة سورة الكوثر

خاتمة سورة الكوثر:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر].

فاتحة سورة الكافرون:

قال الله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣﴾ [الكافرون].

المطلب الأول: بين يدي سورة الكافرون

أولًا: التعريف بالسورة

سورة الكافرون هي السورة التاسعة بعد المئة حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، وهي مكية بالاتفاق في حكاية ابن عطية وابن كثير، وروي عن ابن الزبير أنها مدنية، وروي أن من قرأها فكأنما قرأ ربع القرآن، وهي السورة الثامنة عشرة في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة (الماعون) وقبل سورة (الفيل)، وعدد آياتها ست، سميت بسورة (الكافرون)، وعنونها الإمام البخاري سورة: (قل يا أيها الكافرون) [1]، وجاء في الكشاف أنها وسورة الإخلاص أحد المقشقشتين، لأنهما تقشقشان من الشرك أي تبرئان منه، وتسمى أيضًا كما في جمال القراء سورة (العبادة)[2].

ثانيًا: مقصد السورة

مقصدها التبرئة من المشركين، وإعلان المبدأ الإسلامي في حرية اختيار المعتقد لدى البشر، وقال الإمام البقاعي: "مقصودها إثبات مقصود الكوثر، على أن منزلها كامل العلم، شامل القدرة، لأنَّه المنفرد بالوحدانية، فلذلك لا يقاوي من كان معه..."[3].

وقال الإمام ابن عاشور في مقصد السورة مستدلًا بنزولها: وسبب نزولها أنَّ رسول الله ﷺ كان يطوف بالكعبة فاعترضه الأسود بن المطلب بن أسد، والوليد بن المغيرة وأمية بن خلف، والعاص بن وائل، وكانوا ذوي أسنان في قومهم فقالوا: يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد سنة وتعبد ما نعبد سنة فنشترك نحن وأنت في الأمر، فإن كان الذي تعبد خيرًا مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه وإن كان ما نعبد خيرا مما تعبد كنت قد أخذت بحظك منه فقال: (معاذ

---

(1) **صحيح البخاري**، كتاب التفسير، باب: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ۝٨﴾ [الزلزلة]، ج6، ص178.

(2) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج4، ص808؛ ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج5، ص531؛ السخاوي: علي بن محمد، أبو الحسن، علم الدين السخاوي (ت:643هـ)، **جمال القراء وكمال الإقراء**، ت: مروان العطيَّة – محسن خرابة، ط1، 1418هـ – 1997م، ص94؛ الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج32، ص323؛ البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص259؛ الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص484؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص579؛ سعيد حوى،، **الأساس في التفسير**، ج11، ص6715.

(3) ينظر: البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص260-261.

الله أن أشرك به غيره)، فأنزل الله فيهم سورة (الكافرون)، فغدا رسول الله ﷺ إلى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقرأها عليهم فيئسوا منه عند ذلك، وإنما عرضوا عليه ذلك لأنهم رأوا حرصه على أن يؤمنوا، فطمعوا أن يستنزلوه إلى الاعتراف بإلهية أصنامهم، وعن ابن عباس ﷺ: فيئسوا منه وآذوه وآذوا أصحابه، وبهذا يعلم الغرض الذي اشتملت عليه وأنه تأييسهم من أن يوافقهم في شيء مما هم عليه من الكفر بالقول الفصل المؤكد في الحال والاستقبال، وأن دين الإسلام لا يخالط شيئًا من دين الشرك[1].

ومن مقاصد سورة (الكافرون) "تقرير التوحيد، والبراءة من الشرك والكفر، والضلال، ومن أعمال المشركين، والإخلاص في العمل لله تبارك وتعالى"[2].

ذكر الإمام البقاعي مقصد السورة من خلال استدلاله بأسمائها، فهي قد تبرأت من المشركين كما يئس المشركون من النبي ﷺ بعدها، وهذا ما أوضحه الإمام ابن عاشور.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة الكافرون وخاتمة الكوثر ودراستُها

أولًا: أقوال المفسرين

أ. قال الإمام الرازي: "...كأنَّه تعالى قال: حين ذكروك بسوء، فأنا كنت المجيب بنفسي، فحين ذكروني بالسوء وأثبتوا لي الشركاء، فكن أنت المجيب: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾ [الكافرون]، ومن الفوائد أنَّهم سموك أبتر، فإن شئت أن تستوفي منهم القصاص، فاذكرهم بوصف ذم بحيث تكون صادقًا فيه: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ لكن الفرق أنهم عابوك بما ليس من فعلك، وأنت تعيبهم بما هو فعلهم"[3].

ب. قال الإمام ابن الزبير الغرناطي: لما انقضى ذكر الفريقين المتردد ذكرهما في الكتاب العزيز من أوله إلى آخره، على اختلاف أحوال كل فريق وشتى درجاتهم، وأعني بالفريقين من أشير إليهما في قوله سبحانه: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ

(1) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص580.
(2) **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ج9، ص405.
(3) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج32، ص324.

عَلَيۡهِمۡ...﴿٧﴾﴾[الفاتحة]، فهذا طريق أحد الفريقين، وقوله ﴿...غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة]، إشارةً إلى من كان في الطريق الآخر من حال أولئك الفريق، إذ ليس إلا طريق السلامة أو طريق الهلاك، ...إلى قوله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴿٣﴾﴾ [الكوثر]، أتبع ذلك بالتفاصيل والتسجيل، فقال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴿١﴾﴾، فبيَّن سبحانه أنَّ من قضى عليه بالكفر والموافاة عليه لا سبيل إلى خروجه عن ذلك، ولا يقع منه الإيمان أبدًا ... فقال لهم ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴿٣﴾﴾ [الكافرون]، فتبارأ الفريقان وارتفع الإشكال واستمر كل على طريقه ﴿...فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍ...﴾ [فاطر]، ﴿...إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ...﴿٤٨﴾﴾ [الشورى]، فتأمل موقع هذه السورة وأنها الخاتمة لما فصل في الكتاب يلح لك وجه تأخيرها[1].

ج. قال الإمام البقاعي: "لما أخبره في الكوثر أن العريق[2] في شنآنه عدم، وجب أن يعرض عنه ويقبل بكليته على من أنعم عليه بذلك، فقال معلماً له ما يقول ويفعل: ﴿قُلۡ﴿١﴾﴾ [الكافرون]"[3].

د. قال الإمام السيوطي: "وجه اتصالها بما قبلها: أنه تعالى لما قال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ [الكوثر:2]، أمره أن يخاطب الكافرين بأنه لا يعبد إلا ربه، ولا يعبد ما يعبدون، وبالغ في ذلك فكرر، وانفصل منهم على أن لهم دينهم وله دينه"[4].

هـ. قال الإمام الآلوسي: "وفيها إعلان ما فهم مما قبلها من الأمر بإخلاص العبادة له عز وجل ويكفي ذلك في المناسبة بينهما"[5].

---

(1) ينظر: الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص380-382.

(2) رجل عريق وَفرس عريق كريم أصيل وَغُلَام عريق نحيف الجِسْم خَفِيف الرّوح. ينظر: إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، **المعجم الوسيط**، (مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة).

(3) البقاعي، **نظم الدرر**، ج22، ص301.

(4) السيوطي، **تناسق الدرر**، ص169.

(5) الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص484. ينظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، ج30، ص437.

و. قال الشيخ الفراهي: "بشرت سورة الكوثر بظهور هذه الأمة، وسمو أمرها، وجمع شملها، وحكمًا على قطع عدوها من الشجرة المباركة للإسلام، فأتبعها بهذه السورة التي تعلن بقطع حبال المودة من الكفار، وتركهم مقطوعين عن الأمة المباركة"[1].

ز. قال الشيخ المراغي: "ومناسبتها لما قبلها أنَّه في السورة السابقة أمر رسوله ﷺ بعبادته، والشكر له على نعمه الكثيرة، بإخلاص العبادة له، وفي هذه السورة التصريح بما أشير إليه فيما سلف"[2].

ثانيًا: دراسة أقوال المفسرين

اتفق المفسرون المذكورون على أن وجه مناسبة فاتحة سورة (الكافرون) لخاتمة سورة (الكوثر) عائدٌ إلى بيان حقيقة التوحيد والإنابة إلى الله تعالى، وإلى بيان حال فريق أهل الباطل، والإشارة إلى إخلاص العبادة لله وحده.

انفرد الإمام الرازي في وجه التناسب بين السورتين، إذ إنَّ الله تعالى رد على المشركين بغضهم النبي ﷺ فيما ليس هو فيه ﷺ، وأمر نبيه ﷺ بالرد على المشركين في عدم وحدانيتهم لله تعالى، وفي هذا تشريف وتكريم للنبي ﷺ.

وألمح الإمام الغرناطي إلى دلالة السور السابقة، من الفاتحة إلى غيرها من السور، وما حوته من إيراد الفريقين، فجاءت سورة (الكافرون) لتضع المبدأ الختامي في ذلك، ولما ختمت سورة الكوثر بجزاء فريق الضلال أردفت سورة الكافرون معرفة أمر الفريقين، وإزالة اللبس، بخطاب واضح وبيِّن للكافرين.

أشار الإمام البقاعي إلى أنَّ مبغضَ النَّبي ﷺ وإنْ كان ذا نسب وجاه فلن يغنياه من عذاب الله تعالى في شيء، وأن سورة (الكافرون) أرشدت التعامل مع أهل الكفر والضلال.

---

(1) الفراهي، **نظام القرآن**، ص551.

(2) **تفسير المراغي**، ج30، ص254.

وربط الإمام السيوطي والآلوسي والمراغي بين سورة (الكوثر) وما بعدها من خلال التوجه لعبادة لله وحده، لا شريك له، ونبذ ما يعبده أهل الباطل، والتقرب والإنابة إلى الله تعالى بأعظم فريضة، وهي مفتاح القرب والمناجاة بين يدي الله سبحانه وتعالى.

إن من ثمرات محبَّة النبي ﷺ اتباعه، فمحبة الحبيب تكون نابعة من القلب، وإذا ما استقرت حقيقةً؛ أثمر ذلك اتباعًا مرتبطًا بالمحبوب، لا أفعالًا ظاهرةً تُؤدَى، وإنما سلوكٌ والتزامٌ متصلٌ بذاك الحب.

ولما كان اتباعُ الحبيب المصطفى ﷺ ثمرةً من ثمرات محبته ﷺ، لزم أن يكون عدم اتباعه ﷺ ثمرةً خبيثة من ثمرات بغضه والعياذ بالله تعالى، فلما خُتمت سورة الكوثر بمقطوع المحبة، ذكر الله تعالى بيانًا قاطعًا أن من ثمرات هذا البغض عدم الاتباع والالتزام بالهدي الرباني.

ولما قرن الله تعالى مبغض النبي ﷺ بالأبتر مقطوع الخير، بيَّن إشارةً في سورة الماعون أنَّ الالتزام بعبادته تنبع من محبةِ النبي ﷺ، فاللهم املأ قلوبنا بمحبتك ومحبة حبيبك المجتبى ﷺ.

المبحث الثامن: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة النصر وخاتمة سورة الكافرون

خاتمة سورة الكافرون:

قال الله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ٦﴾ [الكافرون].

فاتحة سورة النصر:

قال الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾ [النصر].

المطلب الأول: بين يدي سورة النصر

أولًا: التعريف بالسورة

سورة النصر هي السورة العاشرة بعد المئة حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، سميت في المصحف بـ(سورة النصر)، وفي بعض كلام السلف بـ(سورة إذا جاء نصر الله والفتح)، وتسمى (سورة إذا جاء)، وعن ابن مسعود أنها تسمى سورة التوديع، لما فيها من الإيماء إلى وفاته عليه الصلاة والسلام وتوديعه الدنيا وما فيها، وهي مدنية بالاتفاق، وعدد آياتها ثلاث، وهي مساوية لسورة الكوثر في عدد الآيات إلا أنها أطول من سورة (الكوثر) عدة كلمات، وأقصر من سورة (العصر)[1].

ثانيًا: مقصد السورة

مقصدها بشارة بالنصر والفتح والمغفرة والإيذان بالتحاق النبي ﷺ بالرفيق الأعلى، قال الإمام البقاعي: "ومقصودها: الإعلام بتمام الدين، اللازم عن مدلول اسمها، اللازم عنه موت النبي ﷺ اللازم عنه العلم، بأنه ما يرد إلى عالم الكون والفساد، إلا لإعلاء كلمة الله، وإدحاض كلمة الشيطان، اللازم منه: أنه ﷺ خلاصة الوجود، وأعظم عبد للولي الودود"[2].

وقال الإمام ابن عاشور: "الغرض منها الوعد بنصر كامل من عند الله، أو بفتح مكة، والبشارة بدخول خلائق كثيرة في الإسلام بفتح وبدونه، إذ[3] كان نزولها عند منصرف النبي ﷺ من خيبر كما قال ابن عباس في أحد قوليه، والإيماء إلى أنه حين يقع ذلك فقد اقترب انتقال رسول الله ﷺ إلى الآخرة، ووعده بأنَّ الله غفر له مغفرة تامة لا مؤاخذة عليه بعدها في شيء مما يختلج في نفسه الخوف أن يكون منه تقصير يقتضيه تحديد القوة الإنسانية الحد الذي

---

(1) ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج5، ص532؛ البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص268؛ السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج1، ص196؛ الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص491؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص587؛ سعيد حوى، **الأساس في التفسير**، ج11، ص6725.

(2) البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص269.

(3) في الأصل جاءت (إن) بدل (إذ).

لا يفي بما تطلبه همته الملكية بحيث يكون قد ساوى الحد الملكي الذي وصفه الله تعالى في الملائكة بقوله: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ٢٠﴾ [الأنبياء:20]"[1].

أشار الإمام البقاعي في مقصد سورة النصر أنها إعلام بكمال الدين، ودل من اسمها على هذا المعنى، وتبعه بلوازمه كقرب أجل النبي ﷺ ومكانته ﷺ، وأضاف الإمام ابن عاشور في مقصد السورة أنها أتت بالبشارة والمغفرة للنبي ﷺ.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة النصر وخاتمة الكوثر ودراستها

أولًا: أقوال المفسرين

أ. قال الإمام الرازي: هناك وجوه كلية متعلقة بهذه السورة، إحداها: أنه تعالى لما وعد محمدًا ﷺ بالتربية العظيمة في سورة الضحى والكوثر، لا جرم كان يزداد كل يوم أمره، كأنه تعالى قال: يا محمد لم يضيق قلبك؟ ألست حين لم تكن مبعوثًا لم أضيعك بل نصرتك بالطير الأبابيل؟، ثم الآن أزيد فأقول: إنِّي أكون ناصرا لك بذاتي ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ...١﴾ [النصر]، ... ومن الوجوه أيضًا: أنه عليه السلام لما تبرأ عن الكفر وواجههم بالسوء في قوله: ﴿...يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ١﴾ [الكافرون]، كأنَّه خاف بعض القوم فقلل من تلك الخشونة فقال: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ٦﴾ [الكافرون]، فقيل: يا محمد لا تخف فإني لا أذهب بك إلى النصر بل أجيء بالنصر إليك"[2].

ب. قال الإمام ابن الزبير الغرناطي: "لما كمل دينه واتضحت شريعته واستقر أمره ﷺ، وأدى أمانة رسالته حق أدائها عرف عليه السلام نفاذ عمره وانقضاء أجله، وجعلت على ذلك علامة دخول الناس في دين الله جماعات بعد التوقف والتثبط حكمة بالغة ﴿...وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ...٣٥﴾ [الأنعام]، وأمر بالإكثار من الاستغفار المشروع في أعقاب المجالس وفي أطراف النهار وخواتم الأخذ مما عسى أن يتخلل من لغو أو فتور، فشرع سبحانه الاستغفار ليحرز لعباده من حفظ أحوالهم ورعي أوقاتهم ما يكفي بعلي أجورهم كما وعدهم

(1) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج20، ص589.

(2) ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج32، ص334. لخَّص هذا القول النيسابوري. ينظر: **غرائب القرآن**، ج6، ص584.

﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ ١١٥﴾ [الأنعام]، وقد بسطت ما أشارت إليه هذه السورة العظيمة، وكل كلام ربنا عظيم فيما قيدته في غير هذا، وأن أبا بكر ﷺ عرف منها أن رسول الله ﷺ نعيت إليه نفسه الكريمة على ربه، وعرف بدنو أجله، وقد أشار إليه هذا الغرض أيضا بأبعد من الواقع في هذه السورة قوله تعالى: ﴿...ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ...٣﴾ [المائدة] وسورة براءة، وأفعاله عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع، لكن لم يبلغنا استشعار أحد من الصحابة رضي الله عنهم يقين الأمر إلا من هذه السورة، وهي عرفت بإشارة براءة وآية المائدة تعريفًا شافيًا واستشعر الناس عام حجة الوداع وعند نزول براءة ذلك لكن لم يستيقنوه، وغلبوا رجاءهم في حياته ﷺ، ومنهم من توقف، فلما نزلت ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ١﴾ [النصر]، استيقن أبو بكر ﷺ ذلك استيقانًا حمله على البكاء لما قرأها رسول الله ﷺ"[1].

ج. قال الإمام أبو حيان: "لما كان في قوله: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ...٦﴾ [الكافرون] موادعة[2]، جاء في هذه _أي النصر_ بما يدل على تخويفهم وتهديدهم، وأنه آن مجيء نصر الله، وفتح مكة، واضمحلال ملة الأصنام، وإظهار دين الله تعالى"[3].

د. قال الإمام البقاعي: "لما دلت التي قبلها على أنَّ الكفار قد صاروا إلى حال لا عبرة بهم فيه ولا التفات ولا خوف بوجه منهم، ما دام الحال على المتاركة[4]، كان كأنَّه قيل: فهل يحصل نصر عليهم وظفر بهم بالمعاركة، فأجاب بهذه السورة بشارة للمؤمنين ونذارة للكافرين، ولكنه لما لم يكن هذا بالفعل إلا عام حجة الوداع بعد فتح مكة بسنتين كان كأنه لم يستقر الفتح إلا حينئذ، فلم ينزل سبحانه وتعالى هذه السورة إلا في ذلك الوقت وقبل

---

(1) الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص382-383.

(2) ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج8، ص386، تقول: وادعت العدو إذا هادنته موادعة، وهي الهدنة والموادعة. وناقة مودعة: لا تركب ولا تحلب.

(3) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج10، ص562.

(4) ينظر: ابن أبي بكر الرازي، **مختار الصحاح**، ص46. (ترك) الشيء خلاه وبابه نصر. و (تاركه) البيع (متاركة).

منصرفه من غزوة حنين، فقال تعالى تحقيقاً؛ لأنه ينصر المظلوم، ويعلي دينه، ويمهل ولا يهمل، فإنه لا يعجزه شيء، حثاً على التفويض له والاكتفاء به"[1].

هـ. قال الإمام السيوطي: "لما قال في آخر ما قبلها: ﴿...وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون] فكان فيه إشعار بأنه خلص له دينه، وسلم من شوائب الكدر والمخالفين، فعقَّب ببيان وقت ذلك، وهو مجيء الفتح والنصر، فإن الناس حين دخلوا في دين الله أفواجًا، فقد تم الأمر، وذهب الكفر، وخلص دين الإسلام ممن كان يناوئه؛ ولذلك كانت السورة إشارة إلى وفاته ﷺ"[2].

و. قال الإمام الآلوسي: "فيها إشارة إلى اضمحلال ملة الأصنام وظهور دين الله عز وجل على أتم وجه"[3].

ز. قال الشيخ المراغي: "ومناسبتها لما قبلها أنَّه لما ذكر في السورة السابقة اختلاف دين الرسول الذي يدعو إليه، ودين الكفار الذي يعكفون عليه، أشار في هذه السورة إلى أن دينهم سيضمحل ويزول، وأن الدين الذي يدعو إليه سيغلب عليه، ويكون هو دين السواد الأعظم من سكان المعمورة"[4].

ح. قال الشيخ الغماري: "لما أيأس الله نبيه من الكفار والمنافقين، وقطع كل صلة بينه وبينهم فيما يتعلق بعبادة الله وتوحيده؛ بشَّره هنا بمجيء نصر الله وفتحه، وبانتشار دينه، ودخول الناس فيه أفواجًا"[5].

ط. قال الشيخ سعيد حوى: "وأما صلة سورة النصر بما قبلها، من حيث إن سورة (الكافرون) تتحدث عن المفاصلة بين المسلمين والكافرين، ومن قبل ذكرت سورة الكوثر ما يفيد أن هناك مبغضين وشانئين لرسول الله ﷺ، وكل ذلك يشعر بالصراع بين جهتين: أهل الإيمان، وأهل الكفر، وتأتي سورة النصر ليفهم منها أن العاقبة حتمًا لرسول الله ﷺ، وأن نصر

---

(1) البقاعي، **نظم الدرر**، ج22، ص313.

(2) السيوطي، **تناسق الدرر**، ص169.

(3) الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص491.

(4) **تفسير المراغي**، ج30، ص257.

(5) الغماري، **جواهر البيان**، ص185.

الله آت، وأن الفتح آت، وأن الدخول في دين الله أفواجا آت لا محالة؛ ولذلك فإن السورة تأمر رسول الله ﷺ بما ينبغي أن يفعله وقتذاك، فالسورة واضحة الصلات بما قبلها"[1].

ثانيًا: دراسة أقوال المفسرين

اتفق المفسرون المذكورون على أن وجه المناسبة بين فاتحة سورة (النصر) وخاتمة سورة (الكافرون) منعقدٌ في بيان النصر لهذا الدين بعد التمكين وإعلان التوحيد في سورة (الكافرون)، وبكونها مسالمة مصالحة بين أهل الإيمان والكفر، مفرقة بين أديانهم وطرائقهم، مشيرة في السورة التي بعدها إلى انتشار هذا الدين العظيم، وأن دين الله تعالى والفتح المبين آت.

أشار الإمام الرازي بوجه المناسبة بين السورتين إلى نصرة النبي ﷺ في الدعوة إلى الله، فكما أن سورة (الكافرون) أتت تبين حقيقة التوحيد، فإن سورة النصر أتت تبين نصر الله للنبي ﷺ، وبذلك المعنى بيَّن الإمام الغرناطي وجه المناسبة، إذ إن إكمال الله تعالى لدينه مستلزم نصره وانتشاره، والإنابة إلى الله تعالى، موضحًا دلالات السورة، من حيث إنها جاءت مودعة ومشعرةً الصحابة قرب دنو أجل النبي المصطفى ﷺ.

وتكلم الإمام أبو حيان والبقاعي عن موضع النصر والتمكين لهذا الدين، إذ إن سورة (الكافرون) أتت مسالمة مبرِئة من الكفر، وأتت بعدها سورة النصر معلنة ومهددة أهل الكفر أنَّ هذا الدين ظاهر، وقد أشار الإمام السيوطي في وجه المناسبة بسلام الدين من شوائب الكفر وملته، واكتمال الأمر الإلهي في سورة الكافرون، فبين الله تعالى في سورة النصر تمام الأمر واكتمال الظفر.

ولما ذكر الله تعالى في سورة الكافرون بيان حرية المعتقد، وأن كل عبد موكل إلى اعتقاده، وأقام الحجة على أهل الكفر، أشار سبحانه إلى أن دين الإسلام سيطوف العالم بأجمعه فيدخل أهل التوفيق فيه، وكما ذُكر (الدين) في سورة (الكافرون) فقد ذُكر في سورة النصر، فيكون من قبيل المقابلة بين السورتين.

---

(1) سعيد حوى، **الأساس في التفسير**، ج11، ص6728.

وإنَّ إعلان أهل الضلال لإسلامهم بعد أن بغوا في طغيانهم لهو كفيل من الله تبارك وتعالى في محو ذنوبهم، فلما جاءت سورة الكافرون تحدد أصناف الحق والباطل، ذكَّرت سورة النصر أن التوبة تجبُّ ما قبلها وذلك بالتسبيح والاستغفار، والإنابة إلى الله تعالى.

المبحث التاسع: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة المسد وخاتمة سورة النصر

خاتمة سورة النصر

قال الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ [النصر].

فاتحة سورة المسد

قال الله تعالى: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ۝٣ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ۝٥﴾ [المسد].

المطلب الأول: بين يدي سورة المسد

أولًا: التعريف بالسورة

سورة المسد هي السورة الحادية عشرة بعد المئة حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، وهي مكية بإجماع، سميت هذه السورة بسورة المسد وبسورة تبت، وسماها جمع من المفسرين «سورة أبي لهب» على تقدير: سورة ذكر أبي لهب، وعنونها أبو حيان في «تفسيره» «سورة اللهب»، وعدت السادسة من السور نزولًا، نزلت بعد سورة (الفاتحة) وقبل سورة (التكوير)، وعدد آياتها خمس[1].

ثانيًا: مقصد السورة

مقصدها إيلام مبغضي الحبيب ﷺ، وبيان عاقبتهم، والتحذير من اتباع طريقهم المشؤوم، وقال الإمام البقاعي: "ومقصودها: البتُّ، والقطع الحتم بخسران الكافر، ولو كان أقرب الخلق إلى أعظم الفائزين، اللازم عنه: أن شارع الدين له من العظمة ما يقصر عنه الوصف، فهو يفعل ما يشاء، لأنه لا كفو له أصلاً، حثًا على التوحيد من سائر العبيد، وكذلك وقعت بين سورتي الإخلاص، المقرن بضمان النصر، وكثرة الأنصار، واسمها "تبت" واضح الدلالة على ذلك، بتأمل السورة على هذه الصورة"[2].

وقال الإمام ابن عاشور: "أغراضها زجر أبي لهب على قوله: تبًا لك ألهذا جمعتنا؟ ووعيده على ذلك، ووعيد امرأته على انتصارها لزوجها، وبغضها النبي ﷺ"[3].

أشار الإمام البقاعي إلى أن مقصد سورة المسد تبين خسارة الكافر، واسمها دالٌّ على ذلك، كذا الإمام ابن عاشور ألمح إلى أنَّ في السورة زجرًا ووعيدين.

---

(1) ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج5، ص534؛ البقاعي، مصاعد النظر، ج3، ص276؛ الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص496؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص599؛ سعيد حوى، **الأساس في التفسير**، ج11، ص6738.

(2) البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص277. في الأصل ذكرت كلمة "كفو" هكذا "لا كقوله أصلًا" ورجعت إلى نظم الدرر فوجدت التصحيح. ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج22، ص327.

(3) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص600.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة المسد وخاتمة النصر ودراستُها

أولًا: أقوال المفسرين

أ. قال الإمام الرازي: "قيل: إلهنا ما ثواب المطيع، وما عقاب العاصي؟ فقال: ثواب المطيع حصول النصر والفتح والاستيلاء في الدنيا، والثواب الجزيل في العقبى، كما دلت عليه سورة: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ [النصر]، وأما عقاب العاصي فهو الخسار في الدنيا والعقاب العظيم في العقبى، كما دلت عليه سورة: تبت"[1].

ب. قال الإمام ابن الزبير الغرناطي: "هذه السورة وإن نزلت على سبب خاص، وفي قصة معلومة، فهي مع ما تقدمها واتصل بها في قوة أن لو قيل قد انقضى عمرك يا محمد وانتهى مما قلدته من عظيم أمانة الرسالة أمرك، وتأدية ما تحملته وحان أجلك، وأمارة ذلك دخول الناس في دين الله أفواجًا واستجابتهم بعد تلكؤهم، والويل لمن عاندك وعدل عن متابعتك، وإن كان أقرب الناس إليك، فقد فصلت سورة ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون] بين أوليائك وأعدائك، وبان بها حكم من اتبعك، ومن عاداك، ولهذا سماها ﷺ، المبرئة من النفاق، ليعلم كفار قريش وغيرهم أنه لا اعتصام لأحد من النار إلا بالإيمان وأن القربات غير نافعة ولا تجديه شيئًا إلا مع الإيمان ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون:6]، ﴿أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعۡمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ۝٤١﴾ [يونس:41]، ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ...۝٧١﴾ [التوبة:71]، وهنا انتهى أمر الكتاب بجملته"[2].

ج. قال الإمام أبو حيان: "ولما ذكر فيما قبلها دخول الناس في دين الله تعالى، أتبع بذكر من لم يدخل في الدين، وخسر ولم يدخل فيما دخل فيه أهل مكة من الإيمان"[3].

---

(1) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج32، ص348.

(2) الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ت: الفلاح، ص222.

(3) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج10، ص565.

د. قال الإمام النيسابوري: "لما أخبر عن فتح الولي وهو النبي ﷺ، نبَّه على مآل حال العدو في الدارين"[1].

هـ. قال الإمام البقاعي: "لما قدم سبحانه وتعالى في سورة النصر القطع بتحقيق النصر لأهل هذا الدين بعد ما كانوا فيه من الذلة، والأمر الحتم بتكثيرهم بعد الذي مر عليهم مع الذلة من القلة، وختمها بأنه التواب، وكان أبو لهب من شدة العناد لهذا الدين والأذى لإمامة النبي ﷺ سيد العالمين مع قربه منه بالمحل الذي لا يجهل، بل شاع واشتهر، وأحرق الأكباد وصهر، كان بحيث يسأل عن حاله إذ ذاك هل يثبت عليه أو يذل، فشفى غلَّ هذا السؤال، وأزيل بما يكون له من النكال، وليكون ذلك بعد وقوع الفتح ونزول الظفر والنصر، والإظهار على الأعداء بالعز والقهر، مذكراً له ﷺ بما كان أول الأمر من جبروتهم وأذاهم وقوتهم بالعَدد والعُدد، وأنه لم يغن عنهم شيء من ذلك، بل صدق الله وعده في قوله سبحانه وتعالى ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٢﴾ [آل عمران]، وكذبوا فيما كانوا فيه من التعاضد والتناصر والتحالف والتعاقد، فذكر تعالى أعداهم له وأقربهم إليه في النسب، إشارة إلى أنه لا فرق في تكذيبه لهم بين القريب والبعيد، وإلى أنه لم ينفعه قربه له ليكون ذلك حاملاً لأهل الدين على الاجتهاد في العمل من غير ركون إلى سبب أو نسب غير ما شرعه سبحانه، فقال تعالى معبراً بالماضي دلالة على أن الأمر قد قضى بذلك وفرغ منه، فلا بد من كونه ولا محيص: ﴿تبَّت﴾"[2].

و. قال الإمام الآلوسي: "ولما ذكر سبحانه فيما قبل دخول الناس في ملة الإسلام عقبه سبحانه بذكر هلاك بعض ممن لم يدخل فيها وخسرانه،

على نفسه فليبك من ضاع عمره وليس له منها نصيب ولا سهم[3]

---

(1) النيسابوري، **غرائب القرآن**، ج6، ص588.

(2) البقاعي، **نظم الدرر**، ج22، ص327-328.

(3) ينظر: ديوان ابن الفارض، تحقيق د. درويش الجويدي.

كذا قيل في وجه الاتصال، وقيل هو من اتصال الوعيد بالوعد وفي كلٍّ مسرة له عليه الصلاة والسلام"[1].

ز. قال الشيخ المراغي: "ومناسبتها لما قبلها أنه ذكر في السورة السابقة أن ثواب المطيع حصول النصر والاستعلاء في الدنيا، والثواب الجزيل في العقبى، وهنا ذكر أن عاقبة العاصي الخسار في الدنيا والعقاب في الآخرة"[2].

ح. قال الشيخ الغماري: "لما بشَّر الله نبيه في السورة السابقة بنصره ونشر دينه، ناسب أن يبشره هنا بهلاك عدوين عنيدين من أشد أعدائه: طالما قاسى من إيذائهما وسبهما، ولهذا أفرد الله هذه السورة للبشارة بهلاكهما وخسرانهما، إكرامًا لنبيه، وانتقامًا له من أعدائه، والله تعالى أعلم"[3].

ط. قال الشيخ سعيد حوى: "خُتمت سورة (الكافرون) بقوله تعالى ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون:6]، وجاءت سورة (النصر) تبشر رسول الله ﷺ بالنصر على الكافرين، وتأتي سورة المسد لتتحدث عن مآل الكافرين وخسرانهم من خلال الحديث عن شخصية آذت رسول الله ﷺ هي وزوجها الإيذاء الكثير، وحرصت على رد وصد الناس عن الإسلام، فهي داخلة دخولًا أوليًا في قوله تعالى ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾ [الكافرون:1-2]، ومن ثم فللسورة صلتها الوثيقة بما قبلها، فليس أعداء الله مغلوبين فقط، بل من حارب رسول الله ﷺ فيها واستمر على ذلك فإنه كذلك معذب عند الله عزّ وجل يوم القيامة وفي الآخرة، وهو نصر ثانٍ لرسول الله ﷺ، ففي سورة (النصر) تسجيل للنصر الدنيوي على الكافرين، وفي سورة المسد تسجيل للنصر الأخروي على الكافرين"[4].

ي. قال الشيخ الزحيلي: "هناك تقابل بين هذه السورة والسورة التي قبلها، ففي السورة السابقة ذكر الله تعالى أن جزاء المطيع حصول النصر والفتح في الدنيا، والثواب الجزيل في

---

(1) الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص496.

(2) **تفسير المراغي**، ج30، ص260.

(3) الغماري، **جواهر البيان**، ص158.

(4) سعيد حوى، **الأساس في التفسير**، ج11، ص6738.

الآخرة، وفي هذه السورة ذكر أن عاقبة العاصي الخسار في الدنيا والعقاب في الآخرة أو العقبى"[1].

ثانيًا: دراسة أقوال المفسرين

اتفق المفسرون المذكورون على أنَّ وجه المناسبة بين فاتحة سورة المسد وخاتمة سورة النصر بيانُ جزاء الطائعين، وجزاء الكافرين المبغضين للنبي ﷺ، فلما ذكر الله تعالى حال أهل الإيمان، ودخولهم في دين الله، بيَّن أن أعداء هذا الدين في ضلال وخسران.

أشار الإمام الرازي إلى أن وجه المناسبة بين سورة المسد وسورة النصر يأتي من أن سورة النصر أوضحت ثواب الطائعين، وأن سورة المسد بيَّنت عقاب العصاة المستكبرين، وإلى هذا المعنى أشار أبو حيان والنيسابوري .

وبيَّن الإمام الغرناطي أن سورة الكافرون أتت تتبرأ من أهل الكفر وتبين حال الفريقين، ثم لحقتها سورة النصر ببيان فريق أهل الإيمان، ثم التي بعدها ببيان فريق أهل الضلال، وإعلام لهم أنَّ القربى لا تنفع إلا من اتصل بأهل الإيمان.

ثم أوضح الإمام الآلوسي أن وجه المناسبة منعقد في إسعاد فؤاد النبي ﷺ، وأن الخسران كل الخسران في عدم اتباع النبي ﷺ، مع ذكر المعنى مكررًا عند الشيخ المراغي والزحيلي.

وانفرد الشيخ حوى بمناسبة لطفية بين السورتين، وهي أن سورة النصر تعتبر تسجيلًا لنصر في الدنيا على الكافرين، وأن سورة المسد تسجيل لنصر في الآخرة عليهم، ومن المناسبات الجيدة التي وردت في أقوال المفسرين ما ذكره الشيخ الغماري من أن المناسبة هي البشارة للنبي ﷺ في السورتين، ففي الأولى بشره بالنصر والفتح لهذا الدين، وفي الثانية بشَّره بإهلاك أعدائه.

ولما وقف أبو لهب في وجه الدعوة إلى الله، ودخول الناس إلى الدين، أتت سورة النصر مبينةً حال أهل الإيمان مبشرة بالخير العميم لهذا الدين، ثم عاقبة الكفر والضلال، إذ ذكر الله تعالى أبا لهب في سورة ابتدأت بالحديث عنه وعن زوجته التي صدَّت طريق النبي ﷺ وآذته.

---

(1) الزحيلي، **التفسير المنير**، ج30، ص453.

ولما جاءت سورة النصر متحدثة عن دخول الناس في دين الله وعن الثناء على الله سبحانه وتعالى والتسبيح والاستغفار له، دلَّت سورة المسد على عاقبة المستكبرين الجاحدين بهذا الدين بأن الخير والنور مقطوع ومبتور فيهم.

ومن عظمة المفردات اللغوية القرآنية أنه تعالى ختم سورة النصر بمفردة (توابًّا) من (تاب)، وابتدأ سورة المسد بمفردة (تبت) من (تبب) الخسارة والهلاك[1]، فبالرغم من تقارب الألفاظ من بعضها، إلا أن كل واحدة منها تحمل دلالة مختلفة عن الأخرى، فالأولى بمعنى التوبة والإنابة، والثانية بمعنى الخسارة والهلاك.

(1) ينظر: الفراهيدي، **العين**، ج8، ص110.

المبحث العاشر: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الإخلاص وخاتمة سورة المسد

خاتمة سورة المسد

قال الله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾ [المسد].

فاتحة سورة الإخلاص:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص].

المطلب الأول: بين يدي سورة الإخلاص

أولًا: التعريف بالسورة

سورة الإخلاص هي السورة الثانية عشرة بعد المئة حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، قال ابن عباس رضي الله عنهما: مدنية، وقال مجاهد وعطاء وقتادة: مكية، ويمكن أن تكون لعظمها نزلت في كل من البلدين، وسميت في معظم التفاسير بـ «سورة الإخلاص»، واشتهر هذا الاسم لاختصاره وجمعه معاني هذه السورة؛ لأنَّ فيها تعليم الناس إخلاص العبادة لله تعالى والتوحيد، أي سلامة الاعتقاد من الإشراك بالله غيره في الألوهية، وروى الإمام مسلم أنَّ رسول الله ﷺ قال: «قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن»[1]، وقد روي عن جمع من الصحابة ما فيه تسميتها بذلك، فذلك هو الاسم الوارد في السنة، ذكر الإمام الرازي في الغرض من الحديث الشريف أن المقصود الأشرف من جميع الشرائع والعبادات، معرفةُ ذات الله ومعرفة صفاته ومعرفة أفعاله، وهذه السورة مشتملة على معرفة الذات، فكانت هذه السورة معادلة لثلث القرآن، ووردت أسماءٌ كثيرةٌ للسورة ذكرها الإمام الآلوسي في تفسيره، وسميت في بعض المصاحف التونسية «سورة التوحيد» لأنها تشتمل على إثبات أنه تعالى واحد، وفي «الإتقان» أنها تسمى «سورة الأساس» لاشتمالها على توحيد الله وهو أساس الإسلام، وعدت السورة الثانية والعشرين في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة الناس وقبل سورة النجم، وآياتها عند أهل العدد بالمدينة والكوفة والبصرة أربع، وعند أهل مكة والشام خمس باعتبار لم يلد آية ولم يولد آية[2].

ثانيًا: مقصد السورة

مقصدها إثبات صفات الكمال للواحد الديان، وإخلاص العبادة له وحده.

---

(1) **صحيح مسلم**، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة قل هو الله أحد، رقم الحديث811، ج1، ص566. عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟» قَالُوا: وَكَيْفَ يَقْرَأُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: «قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ».

(2) ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج5، ص536؛ الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج32، ص358؛ البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص279؛ الآلوسي، روح المعاني، ج15، ص503؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص609-611؛ سعيد حوى، **الأساس في التفسير**، ج11، ص6745.

وقال الشيخ الرئيس ابن سينا موضحًا مقصد سورة الإخلاص، وعظم شأنها، وسبب فضلها: "ولما كان المقصد الأقصى من طلب العلوم بأسرها معرفة ذات الله تعالى وصفاته، وكيفية صدور أفعاله عنه، وهذه السورة دالة على سبيل التعريض والإيماء على جميع ما يتعلق بالبحث عن ذات الله، لا جرم جعل هذه السورة معادلة لثلث القرآن"[1]، وقال الإمام البقاعي: "ومقصودها بيان حقيقة الذات الأقدس ببيان اختصاصه بالاتصاف بأقصى الكمال، للدلالة على صحيح الاعتقاد، لِلإخلاص في التوحيد، بإثبات الكمال، ونفي شوائب النقص والاختلال، المثمر لحسن الأقوال والأفعال، وثبات اللجاء[2] والاعتقاد في جميع الأحوال، وعلى ذلك دل اسمها (الإِخلاص)، الموجب للخلاص، وكذا (المقشقشة)"[3].

وقال الإمام ابن عاشور: "إثبات وحدانية الله تعالى، وأنه لا يقصد في الحوائج غيره وتنزيهه عن سمات المحدثات، وإبطال أن يكون له ابن، وإبطال أن يكون المولود إلها مثل عيسى عليه السلام"[4].

أشار الإمام البقاعي أن مقصد سورة الإخلاص هو إثبات لكمال الله تعالى ونفي عن النقص، ودلَّ على مقصد السورة من خلال اسمها، أما الإمام ابن عاشور فقد ألمح إلى أن سورة الإخلاص ردٌّ قاطع على المشركين باستحالة أن يكون لله ابنٌ حاشى له سبحانه.

---

(1) ابن سينا، تفسير سورة الإخلاص للشيخ الرئيس أبي علي الحسين بن سينا، تحقيق ودراسة: أ.د عبد الله الخطيب، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، السنة السابعة عشرة- العدد: الحادي والخمسون- شوال 1423هـ-ديسمبر 2002، ص: 85.

(2) في الأصل (اللحا) وهي من مصدر لحي الرجل: طَالَتْ لحيته، واللحا مَقْصُور اللحاء، **وَهُوَ قشر الشَّجَرَة وَغَيرهَا**. ينظر: جمال الدين الطائي الجياني: محمد بن عبد الله (ت:672هـ)، **إكمال الأعلام بتثليث الكلام**، ت: سعد بن حمدان الغامدي، (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ط1، 1404هـ)، 1404هـ 1984م، ج2، ص562. لم يتضح معنى كلام الإمام البقاعي من خلال هذه المفردة، وبحثت في بعض النسخ فوجدت كلمة (اللجاء) ومعناها الملجأ، وهي أقرب لفهم السياق. ينظر: نشوان ابن سعيد الحميري (ت: 573هـ)، **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، ت: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله، (لبنان: دار الفكر المعاصري، ط1، 1420 هـ).

(3) البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص280.

(4) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص612.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة الإخلاص وخاتمة المسد ودراستُها

أولًا: أقوال المفسرين

أ. قال الإمام ابن الزبير الغرناطي: "لما انقضى مقصود الكتاب العزيز بجملته عاد الأمر إلى ما كان وأشعر العالم بحالهم من سردهم إلى حين، ﴿ثُمَّ اللهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرة﴾ [العنكبوت:20]، فوجودهم منه سبحانه، وبقاؤهم به، وهم وجميع ما يصدر عنهم من أفعالهم وأقوالهم، كل ذلك خلقه واختراعه، وقد كان سبحانه ولا عالم ولا زمان ولا مكان، وهو الآن على ما عليه كان لا يفتقر إلى أحد، ولا يحتاج إلى معين، ولا يتقيد بالزمان ولا يتحيز بالمكان، فالحمد لله رب العالمين أهل الحمد ومستحقه مطلقًا، له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم"[1].

ب. قال الإمام أبو حيان: "لما تقدم فيما قبلها عداوة أقرب الناس إلى الرسول ﷺ، وهو عمه أبو لهب، وما كان يقاسي من عبَّاد الأصنام الذين اتخذوا مع الله آلهة، جاءت هذه السورة مصرحة بالتوحيد، رادة على عباد الأوثان والقائلين بالثنوية، وبالتثليث، وبغير ذلك من المذاهب المخالفة للتوحيد"[2].

ج. قال الإمام البقاعي بعد أن ذكر ترابط السور السابقة فيما بينها: "لما بيَّن سبحانه بذلك إهلاكه عدو رسول الله ﷺ، وختم بأعدى أعدائه فحكم بهلاكه، وهلاك زوجه هلاكًا لا جبر له على وجه مبين أنه في أدنى دركات الحقارة، وأعظم أنواع الخسارة، فرقص الفكر طربًا من هذه الأمور، وسكر اللب من عجائب المقدور، واهتز السامع غاية الاهتزاز إلى وصف الفاعل لذلك الذي هو خارج عن طوق البشر، وخارق للعوائد، وهو إظهار شخص واحد على الناس كافة مع شدة عداوتهم له، جاءت الإخلاص كاشفة لما ثبت من العظمة لولي النبي ﷺ سبحانه وتعالى الذي أمره بهذا الدين، وفعل له هذه الأمور العظيمة الموجبة لمن

---

(1) الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص384.

(2) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج10، ص570.

له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، لئلا يستبعد عليه سبحانه وتعالى شيئًا من ذلك ولا غيره..."[1].

د. قال الشيخ الغماري: "كان العرب يجمعون المال، عدة لنوائب الزمان، وحوادث الدهر، ويطلبون البنين لمكاثرة الخصوم، ومحاربة الأعداء، فذكر الله في السورة السابقة أن أبا لهب حين نزل به الهلاك والخسار، لم ينفعه ماله، ولا ما كسب من أولاد، وقد كان يعتز بهما على عادة قومه وعشيرته، فنزه الله تعالى نفسه هنا عن مشابهة خلقه، فلا ولد له ولا والد، ولا يماثله أحد سبحانه وتعالى"[2].

هـ. قال الشيخ الزحيلي: "المناسبة بينها وبين ما قبلها واضحة، فسورة الكافرين للتبرؤ من جميع أنواع الكفر والشرك، وهذه السورة لإثبات التوحيد لله تعالى، المتميز بصفات الكمال، المقصود على الدوام، المنزه عن الشريك والشبيه، ولذا قرن بينهما في القراءة في صلوات كثيرة، كركعتي الفجر والطواف، والضحى، وسنة المغرب، وصلاة المسافر"[3].

ثانيًا: دراسة أقوال المفسرين

اتفق المفسرون المذكورون على أن وجه المناسبة بين فاتحة سورة الإخلاص وخاتمة سورة المسد هو تبيينُ عظمة الحق سبحانه وتعالى وتنزيهه، وإثبات الندامة لأهل الكفر والإشراك بالله تعالى كأمثال أبي لهب ومن سار في طريقه.

ربط الإمام الغرناطي وجه المناسبة إلى أن سورة الإخلاص أتت مبينةً الأصل في وجود الله تعالى قبل خلق الكائنات، وأن تلمس المناسبة من خلال تذكير فريق أهل الإيمان في سورة النصر، وفريق أهل الضلال في سورة المسد، بالواحد الأحد الصمد سبحانه وتعالى.

---

(1) البقاعي، **نظم الدرر**، ج22، ص346-347. وجَّه السيوطي المناسبةَ بعد ذكره للأوزان في اللفظ، إلى ربط سورة الإخلاص بسورة (الكافرون)، وبيَّن وجود حكمة في إيراد سورتي النصر والمسد بينهما. ينظر: **تناسق الدرر**، ص172. ينظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، ج30، ص461.

(2) الغماري، **جواهر البيان**، ص158-159.

(3) الزحيلي، **التفسير المنير**، ج30، ص461.

وبيَّن الإمامُ أبو حيان أن سورة الإخلاص ردَّت على أهل الضلال غيَّهم في سورة المسد وعداوتهم وبغضهم لله تعالى ولنبيه ﷺ، لتبقى حجةً خالدةً على أهل الشرك مدى الأزمان.

واستلهم الإمام البقاعي وجه المناسبة من بيان سورة الإخلاص لعظمة الجليل سبحانه وتعالى كاشفةً ادعاء الكافرين، كما أضاف هذا المعنى الشيخ الزحيلي، رابطًا سورة الإخلاص بسورة الكافرون.

ويظهر من أوجه المناسبة بين السورتين من ناحية اللفظ حين خُتمت سورة المسد بحرف الدال الساكنة واختتمت أول آيةِ سورة الإخلاص بذات الحرف، ليشعر القارئ أنَّ هناك ترابطًا لا انفكاكًا في اللفظ والمعنى، إذ إنَّ معرفة الله تعالى وتوحيده لا يمكن أن يصح دون معرفة النبي ﷺ ومحبته واتباعه، ولما كان أبو لهب وزوجته من المبغضين للنبي ﷺ ولدينه، فكأن الرد وإثبات التوحيد لله تعالى كان مشابهًا سريعًا في النسق الصوتي ليُعلِم العبادَ سبحانه وتعالى بدعوة التوحيد، وألا يسلكوا مسلك أهل الضلال والغشاوة.

ولما ذكر الله تعالى عاقبة أهل الكفر والأذى، بيَّن سبحانه وتعالى أن طريق النجاة من هذا الهلاك هو الاعتقاد الجازم بأن لا معبود بحق سوى الله تعالى وحده، لا شريك له، وبالالتجاء إليه سبحانه.

المبحث الحادي عشر: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الفلق وخاتمة سورة الإخلاص

خاتمة سورة الإخلاص:

قال الله تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤﴾ [الإخلاص].

فاتحة سورة الفلق:

قال الله تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفلق].

المطلب الأول: بين يدي سورة الفلق

أولًا: التعريف بالسورة

سورة الفلق هي السورة الثالثة عشرة بعد المئة حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، وسميت في المصحف ومعظم كتب التفسير «سورة الفلق»، وجاء في كلام بعض الصحابة تسميتها مع سورة الناس «المعوذتين»، واختلف فيها أمكية هي أم مدنية، وقد رجَّح البقاعي والآلوسي أنها مكية، وعدت العشرين في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة الفيل وقبل سورة الناس، وعدد آياتها خمس بالاتفاق[1].

ثانيًا: مقصد السورة

مقصدها بيان قدرة الله تعالى المطلقة في خلقه، والالتجاء إلى سلطانه العظيم، وتعليم الناس الاستعاذة بالله سبحانه من شرور المخلوقات.

وقال الإمام البقاعي: "ومقصودها: الاعتصام من شر كل ما انفلق عنه الخلق الظاهر والباطن، واسمها ظاهر الدلالة على ذلك"[2].

وقال الإمام ابن عاشور: "والغرض منها تعليم النبي ﷺ كلمات للتعوذ بالله من شر ما يتقى شره من المخلوقات الشريرة، والأوقات التي يكثر فيها حدوث الشر، والأحوال التي يستر أفعال الشر من ورائها لئلا يرمى فاعلوها بتبعاتها، فعلَّم الله نبيئه ﷺ هذه المعوذة ليتعوَّذ بها، وقد ثبت أن النبي ﷺ كان يتعوذ بهذه السورة وأختها، ويأمر أصحابه بالتعوذ بهما، فكان التَّعوذ بهما من سنَّة المسلمين"[3].

---

(1) ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج5، ص538؛ البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص298؛ الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص517؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص623-624؛ سعيد حوى، **الأساس في التفسير**، ج11، ص6757.

(2) البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص298.

(3) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص625.

انطلق الإمام البقاعي في مقصد السورة من الدلالة على اسمها، حيث أشار إلى أن الفلق هو ما انفلق عنه الخلق الظاهر والباطن، أما الإمام الطاهر فقد أحال إلى أن مقصدها هو إرشاد الله تعالى نبيه ﷺ بالاستعاذة.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة الفلق وخاتمة الإخلاص ودراستُها

أولًا: أقوال المفسرين

أ. قال الإمام الرازي: "سمعت بعض العارفين فسر هاتين السورتين (الفلق والإخلاص) على وجه عجيب فقال: إنَّه سبحانه لما شرح أمر الإلهية في سورة الإخلاص ذكر هذه السورة عقيبها في شرح مراتب مخلوقات الله فقال أولًا: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق]، وذلك لأنَّ ظلمات العدم غير متناهية، والحق سبحانه هو الذي فلق تلك الظلمات بنور التكوين والإيجاد والإبداع، فلهذا قال: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق]..."[1].

ب. قال الإمام ابن الزبير الغرناطي: "طوبى لمن استوضح آي كتاب الله وأتى الأمر من بابه، وعرف نفسه ودنياه، وأجاب داعي الله، ولم ير فاعلًا في الوجود حقيقة إلا هو سبحانه، ولما كمل مقصود الكتاب، واتضح عظيم رحمة الله به لمن تدبر واعتبر وأناب؛ كان مظنة الاستعاذة واللجاء من شر الحاسد وكيد الأعداء، فختم بالمعوذتين من شر ما خلق وذرأ، وشر الثقلين"[2].

ج. قال الإمام أبو حيان: "ولما شرح أمر الإلهية في السورة قبلها، شرح ما يستعاذ منه بالله من الشر الذي في العالم ومراتب مخلوقاته"[3].

---

(1) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج32، ص367. ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص517.

(2) الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص384-385.

(3) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج10، ص575.

د. قال النيسابوري: "لما أمره بقراءة سورة الإخلاص تنزيهًا له عما لا يليق به في ذاته وصفاته وكان ذلك من أشرف الطاعات، أمره أن يستعيذ به من شرِّ من يصده عن ذلك كالمشركين، وكسائر شياطين الإنس والجن"[1].

هـ. قال الإمام البقاعي: "لما افتتح سبحانه وتعالى هذا الذكر الحكيم بالهداية في قوله تعالى ﴿اهدِنا الصِّراطَ المسْتَقِيم﴾، وبالهداية والتقوى التي هي شعار التائب في قوله تعالى: ﴿هدىً للمتَّقين﴾ [البقرة:2] وذلك أول منازل السائرين، وختم بتقرير أمر التوحيد على وجه لا يتصور أن يكون أكمل منه وتقرير الإخلاص فيه كما يشعر به الأمر بـ ﴿قُلْ﴾ وذلك هو نهاية المقامات عند العارفين، فتم بذلك الدين، وانتهى سير السالكين، وختم الإخلاص المقررة لذلك بأنه تعالى لا كفوء له، فتوفرت الدواعي على الانقطاع إليه، والعكوف عليه

وألقت عصاها واطمأن بها النوى ... كما قر عينا بالإياب المسافر[2]

أمر بالتعوذ برب هذا الدين، موافقة لإياك نعبد وإياك نستعين، من شر ما يقدح فيه بضرر في الظاهر أو في الباطن وهم الخلائق حتى على الفنا في الغنا، وبدأ بما يعم شياطين الإنس والجن في الظاهر والباطن، ثم اتبع بما يعم القبيلين، ويخص الباطن الذي يستلزم صلاحه صلاح الظاهر، إعلاماً بشرف الباطن على وجه لا يخل بالظاهر، وفي ذلك إشارة إلى الحث على معاودة القراءة من أول القرآن، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴿٩٨﴾﴾ [النحل: 98]"[3].

و. قال الشيخ الغماري: "لما بيَّن فيما سبق أنه الصمد: أي المقصود إليه في كل أمر، أرشد هنا إلى الالتجاء إليه، والاستعاذة به من شرور خلقه".

ز. قال الشيخ الزحيلي: "لما أبان الله تعالى أمر الألوهية في سورة الإخلاص لتنزيه الله عما لا يليق به في ذاته وصفاته، أبان في هذه السورة وما بعدها وهما المعوذتان ما يستعاذ منه

---

(1) النيسابوري، **غرائب القرآن**، ج6، ص598.

(2) البيت من الطويل، وهو لمعقر بن أوس، أو لعبد ربه السلمى، وقيل لغيرهما، ينظر: ابن منظر، **لسان العرب**، ج15، ص347.

(3) البقاعي، **نظم الدرر**، ج22، ص407.

بالله من الشر الذي في العالم، ومراتب مخلوقاته الذين يصدون عن توحيد الله، كالمشركين وسائر شياطين الإنس والجن، وقد ابتدأ في هذه السورة بالاستعاذة من شر المخلوقات، وظلمة الليل، والسحرة، والحسّاد..."[1].

ثانيًا: دراسة أقوال المفسرين

اتفق المفسرون المذكورون على أن وجه المناسبة بين سورة الفلق وسورة الإخلاص متصلٌ ببيان المقصد الرباني في سورة الإخلاص والاستعاذة به سبحانه من الشرور في سورة الفلق، وقد أشار الإمام الرازي إلى وجه المناسبة بين السورتين من خلال الربط بين البيان الإلهي في سورة الإخلاص، وبيان مراتب الشر في سورة الفلق، وأن الله سبحانه وتعالى فلق هذه التكوينات للنور الحاصل في الإيجاد والإبداع، وقد كرر الإمام أبو حيان المعنى الذي أورده الإمام الرازي.

وأبان الإمام الغرناطي عن وجه المناسبة، حين أشار إلى أن المقصود الإلهي حين اكتمل لحقه بالاستعاذة والاستجارة بالله تعالى من الشرور، وقد ألمح الإمام النيسابوري إلى هذا المراد.

وانفرد الإمام البقاعي في أحد وجوه المناسبة بين سورتي الإخلاص والفلق، حيث إنه تعالى لما ذكر سورة الإخلاص وتوفرت الأسباب في الانقطاع إلى الله تعالى والعكوف إليه، أمر بالاستعاذة من جميع ما يثير السوء من المخلوقات، والانفراد هنا في بيان هذا الوجه، وإن كان المعنى مشابهًا لما سبقه، وقد ربط الشيخ الغماري بين اسم الله: الصمد، وبين سورة الناس ربطًا جيدًا.

ومن خلال ما تقدم من أقوال المفسرين يتبين أنَّ الله تعالى لما نزَّه نفسه في سورة الإخلاص وصَّى نبيه ﷺ وأمته بالاستعاذة به سبحانه وتعالى من كل الشرور المحيطة بالعباد.

(1) الزحيلي، **التفسير المنير**، ج30، ص470.

المبحث الثاني عشر: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الناس وخاتمة سورة الفلق

خاتمة سورة الفلق:

قال الله تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفلق].

فاتحة سورة الناس:

قال الله تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ [الناس].

المطلب الأول: بين يدي سورة الناس

أولًا: التعريف بالسورة

سورة الناس هي السورة الرابعة عشرة بعد المئة حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، سُميت هذه السورة في المصحف وأكثر كتب التفسير بـ «سورة الناس»، وهي مكية في قول الذين قالوا في سورة الفلق إنها مكية، ومدنية في قول الذين قالوا في سورة الفلق إنها مدنية، والصحيح أنهما نزلتا متعاقبتين، فالخلاف في إحداهما كالخلاف في الأخرى، عدت الحادية والعشرين من السور، نزلت عقب سورة الفلق وقبل سورة الإخلاص، وعدد آياتها ست آيات[1].

ثانيًا: مقصد السورة

"قيل لسهل: ما الوسوسة؟ فقال: كل شيء دون الله تعالى فهو وسوسة، وإن القلب إذا كان مع الله تعالى فهو قائل عن الله تعالى، وإذا كان مع غيره فهو قائل مع غيره"[2].

مقصودها الاستعاذة بالله سبحانه، من الشرور الداخلة الخفية في النفس البشرية[3]، وقال الإمام البقاعي: "ومقصودها: الاعتصام بالإله الحق، من شر الخلق الباطن، واسمها دال على ذلك، لأن الإنسان مطبوع على الشر، وأكثر شره بالمكر والخداع، وأحسن من هذا: أنها للاستعاذة من الشر الباطن، المأنوس به، المشروح إليه، فإن الوسوسة لا تكون إلا بما يشتهي، والناس: مشتق من الإنس، فإن أصله، أناس، وهو أيضاً: اضطراب الباطن، المشير إليه الاشتقاق من النَّوس، فطابق حينئذ – الاسم المسمى، ومقصود هذه السورة معادل لمقصود الفاتحة، الذي هو المراقبة، فقد اتصل الآخر بالأول اتصال العلة بالمعلول، والدليل بالمدلول، والمثل بالممثول، والله المسؤول، في تيسير السُّول، وتحقيق المأمول"[4].

---

(1) ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج5، ص540؛ البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص310؛ الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص524؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص632؛ سعيد حوى، **الأساس في التفسير**، ج11، ص6765.

(2) التستري، **تفسير القرآن العظيم**، ص211.

(3) ينظر: فايز السريح، **معالم السور**، ص478.

(4) البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص310.

وقال الإمام ابن عاشور: "إرشاد النبي ﷺ لأن يتعوذ بالله ربه من شر الوسواس الذي يحاول إفساد عمل النبي ﷺ وإفساد إرشاده الناس ويلقي في نفوس الناس الإعراض عن دعوته، وفي هذا الأمر إيماء إلى أنَّ الله تعالى معيذه من ذلك فعاصمه في نفسه من تسلط وسوسة الوسواس عليه، ومتمم دعوته حتى تعم في الناس، ويتبع ذلك تعليم المسلمين التعوذ بذلك، فيكون لهم من هذا التعوذ ما هو حظهم من قابلية التَّعرض إلى الوسواس، ومع السلامة منه بمقدار مراتبهم في الزلفى"[1].

أشار الإمام البقاعي إلى مقصود سورة الناس من خلال الاسم، لجبلة الإنسان على الشر، وهو أمر فلسفي مختلف فيه، ثم ربط مقصود السورة بسورة الفاتحة تحت محور المراقبة لله تعالى، وأوضح الإمام ابن عاشور أن مقصد سورة الناس منعقد في إرشاد النبي ﷺ وإرشاد أمته في الاستعاذة من شر الإفساد.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة الناس وخاتمة الفلق ودراستُها

أولًا: أقوال المفسرين

أ. قال الإمام الرازي: "واعلم أن لهذه السورة ــ أي الناس ــ لطيفة أخرى: وهي أن المستعاذ به في السورة الأولى مذكور بصفة واحدة وهي أنه رب الفلق، والمستعاذ منه ثلاثة أنواع من الآفات، وهي الغاسق والنفاثات والحاسد، وأما في هذه السورة فالمستعاذ به مذكور بصفات ثلاثة: وهي الرب والملك والإله والمستعاذ منه آفة واحدة، وهي الوسوسة، والفرق بين الموضعين أن الثناء يجب أن يتقدر بقدر المطلوب، فالمطلوب في السورة الأولى سلامة النفس والبدن، والمطلوب في السورة الثانية سلامة الدين، وهذا تنبيه على أن مضرة الدين وإن قلت: أعظم من مضار الدنيا وإن عظمت، والله سبحانه وتعالى أعلم"[2].

ب. قال الإمام ابن الزبير الغرناطي: "وجه تأخيرها عن شقيقتها عموم الأولى وخصوص الثانية، ألا ترى عموم قوله ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝﴾ [الفلق]، وإبهام ﴿مَا﴾، وتنكير

(1) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص632.

(2) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج32، ص378.

غاسق وحاسد، والعهد فيما استعيذ من شره في سورة الناس وتعريفه ونعته، فبدأ بالعموم، ثم أتبع بالخصوص ليكون أبلغ في تحصيل ما قصدت الاستعاذة منه وأوفى بالمقصود..."[1].

ج. قال الإمام البقاعي: "لما جاءت سورة الفلق للاستعاذة من شر ما خلق من جميع المضار البدنية وغيرها العامة للإنسان وغيره، وذلك هو جملة الشر الموجود في جميع الأكوان والأزمان، ثم وقع فيها التخصيص بشرور بأعيانها من الغاسق والساحر والحاسد، فكانت الاستعاذة فيها عامة للمصائب الخارجة التي ترجع إلى ظلم الغير، والمعايب الداخلة التي ترجع إلى ظلم النفس ولكنها في المصائب أظهر، وختمت بالحسد فعلم أنه أضر المصائب، وكان أصل ما بين الجن والإنس من العداوة الحسد، جاءت سورة الناس متضمنة للاستعاذة من شر خاص، وهو الوسواس، وهو أخص من مطلق الحاسد، ويرجع إلى المعايب الداخلة اللاحقة للنفوس البشرية التي أصلها كلها الوسوسة، وهي سبب الذنوب والمعاصي كلها، وهي من الجن أمكن وأضر، والشر كله يرجع إلى المصائب والمعايب، فقد تضمنت السورة كالفلق استعاذة ومستعاذاً به ومستعاذاً منه وأمراً بإيجاد ذلك"[2].

د. قال الإمام السيوطي: "...وقدمت الفلق على الناس -وإن كانت أقصر منها- لمناسبة مقطعها في الوزان لفواصل الإخلاص مع مقطع تبت"[3].

هـ. قال الشيخ الغماري: "تناسب سابقتها في الاستعاذة، وخصت بالاستعاذة من شر الوسواس الخناس، لعظم ضرره، ولجريانه من الإنسان مجرى الدم، كما ثبت في الحديث، نعوذ بالله من شره ونسأله العصمة من ضرره"[4].

ثانيًا: دراسة أقوال المفسرين

اتفق المفسرون المذكورون على أن وجه مناسبة فاتحة سورة الناس مع خاتمة سورة الفلق منعقد في ذكر التخصيص بعد العموم في سورة الناس.

---

(1) الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص385-386.

(2) البقاعي، **نظم الدرر**، ج22، ص424.

(3) السيوطي، **تناسق الدرر**، ص170.

(4) الغماري، **جواهر البيان**، ص161.

أشار الإمام الرازي إلى وجه المناسبة بين السورتين من خلال بيان عظمة مضار الدين أمام مضار الدنيا، من خلال الاستعاذة بالله تعالى الرب الملك الإله جل جلاله، وأن الثناء يجب أن يتقدر بالقدر المطلوب.

وأعطى الإمام الغرناطي معنىً لطيفًا في المناسبة بين سورتيَ الفلق والناس، حيث إن سورة الفلق تحدثت عن الاستعاذة من الشر فكان اللفظ عامًا، ثم أتى التخصيص في سورة الناس؛ لكي يكون المعنى أبلغ وأكمل لمقصود السورة، ولهذا المعنى أشار الإمام البقاعي مع شيء من التفصيل.

وألمح الإمام السيوطي إلى مناسبة صوتية بين سورة المسد والإخلاص والفلق، حين أراد توجيه تقدم سورة الفلق على سورة الناس، فأشار إلى تناسب المقاطع بين السور الثلاث، وهذا وجه جيد.

ولما ختم الله تعالى في سورة الفلق الاستعاذة به من شر السحرة والحسدة، أوضح لنا أن طريقهم مقطوع مسدود، من خلال إشارة حرف القلقلة الذي يتردد صداه ويعلو صوته ثم سرعان ما يخفت ويخبو، وأرشدنا إلى الاستعاذة به تعالى والالتجاء إليه والاحتماء به سبحانه وتعالى من شرور الشيطان واعتدائه، موضحًا أنه لن يصيب الملتجئ إليه مكروهٌ ولا إساءة إلا بمراد الله وتقديره، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ [الإسراء:65].

وقبل ختام المبحث الأخير هذا أود لفت انتباه القارئ بعدم إفراد مبحثٍ خاصٍ بمناسبة فاتحة سورة الفاتحة مع خاتمة سورة الناس لأن أصحاب هذا العلم لم يقوموا بإفراد مناسبة خاصة لفاتحة سورة الفاتحة مع خاتمة سورة الناس، ولكن بعضهم أتى بالإشارات التي يتلمس منها وجوهًا في المناسبة[1]، "ولو وضعت الفاتحة بجانب أي سورة، لناسبتها بوجه من

(1) يستنبط من كلام الإمام الغرناطي معنىً يشير إلى النظير بين سورتي الفلق والناس، وسورتي الناس والفاتحة، عبر توضيح العموم والخصوص، فكما أنه سبحانه وتعالى بدأ بالعموم في سورة الفلق ثم ناسب ذلك ذكر الخصوص في سورة الناس، كذلك أورد سبحانه وتعالى العموم والخصوص في قوله تعالى ﴿بسم الله الرَّحمَنِ الرَّحِيم﴾، ليكون من باب المقابلة، ومن الإشارات ما ذكره الإمام النيسابوري إلى أن مناسبة سورة الناس لسورة الفاتحة منعقد في بيان الإجلال والاحتماء والإخلاص لله سبحانه وتعالى والاستعاذة به، وإلى هذا المعنى أشار الشيخ الزحيلي، ينظر:

الوجوه، إذ ما من سورة إلا فيها تفصيل لبعض ما أجملته معانيها وهذا من خصائص الفاتحة، ومن ثم سميت أم القرآن وأم الكتاب، وأفرد تفسيرها بمؤلفات خاصة، تكشف عن بعض أسرارها، وحكمها وأحكامها"[1].

انتهى الفصل الثالث والأخير من هذا البحث ولله الحمد والمنة والفضل

والحمد لله أولًا وآخرًا، وإليه ألجأ وبه أستعين، ومنه أستمد قوتي، وإليه تصفو الروح وتأنس، أحمدك ربي أن وفقتني لختم هذه الرسالة، وأسألك أن تكرمني فيه بالقبول وأن تعفو عن ذنبي، اللهم آمين آمين.

وأسأل الله تعالى أن يجعلَ كل ما نأتيه، ونقصده وننْتَحيه، لوجهه خالصًا، وإلى رضاه عز وجل مؤدّيًا، ولثوابه مقتضيًا، وللزّلفى عنده موجبًا، بمنِّه وفضله ورحمته.

الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص385-386؛ النيسابوري، **غرائب القرآن**، ج30، ص272؛ البقاعي، **نظم الدرر**، ج22، ص423؛ الزحيلي، **التفسير المنير**، ج30، ص478. وأقول: لما أرشد الله تعالى عباده إلى الاستعاذة به في سورة الناس، بيَّن في سورة الفاتحة كيفية الثناء عليه وتمجيده وذكره ودعائه سبحانه وتعالى، إذ إن أعظم طريق في نفي الشر من حياة الإنسان هو معرفة الله تعالى حق المعرفة، ولما كانت سورة الناس تحذر العباد من مضار قد تحصل لهم في دينهم، أتت سورة الفاتحة تبين المقاصد الرئيسة لهذا الدين.

(1) الغماري، **جواهر البيان**، ص24.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، بك اللهم أستجير وأستعين، وأصلي وأسلم على سيدنا وحبيبنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

بفضل من الله وعون منه، أنهيت دراسة التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها دراسة مقارنة في جزء عم، وقبل عرض النتائج والتوصيات أود أن ألفت نظر القارئ الكريم إلى مجموعة من القواعد التي استنبطتها خلال دراستي لهذا البحث، وأرجو أن تكون بوابة للدراسات اللاحقة في هذا العلم إن شاء الله تعالى:

يمكن للباحث المطلع اكتشافَ طريقةِ العلماء في استنباطهم للمناسبات، إذ إنَّ معظمَهم كان يسير ضمن منهجية معينة، فمنهم من وجَّه المناسبة بين السورتين ضمن إطار التضمين في الشعر، ومنهم استخدم طريقة المقابلة في علم البديع، ومنهم استخدم القضايا الصوتية، وأذكر من ذلك أمثلة لا على سبيل الحصر:

1. استخدم الإمام أبو حيان رحمه الله طريقة المقابلة، والمقارنة بين الآيات المتشابهة بين السورتين، كسورة الفجر.

2. عني الإمام السيوطي رحمه الله في حديثه عن أوجه المناسبة في بعض السور؛ بذكر التناسب العام بين السورتين كسورة البلد، أو طريقة المقابلة بين الآيات كسورة الفجر، ويذكر الآيات المتشابهة بين السورتين ليترك للقارئ الربط بينهما، مثل سورة الضحى.

3. لم يتطرق الإمام الرازي إلى المناسبات كثيرًا في هذا الجزء، ولكنه يتطرق أحيانًا لمقصد السورة، حيث فصل في مقصود إيراد الله تعالى للقسم في السور بشكل عام.

4. ذكر الإمام الزمخشري المناسبة مع ندرة أقواله فيها، حيث أتى بربط سورة قريش مع ما قبلها وهي سورة الفيل، ذاكرًا أن هذا بمنزلة التضمين في الشعر، وهو أن يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقًا لا يصح إلا به.

5. أشار الشيخ الفراهي في بعض السور التي وجَّه فيها المناسبة بين السورتين بالأسلوب العام للقرآن الكريم في التناسب بين السور، فأحيانًا تكون موضع السورة بالتي قبلها كموقع ذكر النعمة بعد النقمة، والعطاء بعد السلب، والمستخلفين بعد المهلكين، وغير ذلك، ويظهر ذلك في سورة الكوثر.

وفي ختام هذه الدراسة أعرض للقارئ النتائج والتوصيات التي توصلت إليها خلال دراستي، سائلًا المولى عز وجل النفع والتوفيق والسداد:

أولًا: النتائج

1. الوقوف على مناسبة فواتح السور لخواتم ما قبلها، وهذا النوع يعطي للقارئ المتدبر في التنزيل العزيز معانيَ وآفاقًا لفهم أسرار الارتباط بين آيات وسور القرآن الكريم، ويُعدُّ من الأنواع التي تشهد أن لسور القرآن ترابطًا وثيقًا، واتحادًا في المعاني والمقاصد الكلية للسور.

2. التأكد من اهتمام بعض المفسرين بذكر المناسبة، حيث ذكر بعضهم هذا النوع من المناسبات في بداية تفسيره للسورة، وتدوين بعض المفسرين للمناسبة في بعض السور التي عني البحث بدراستها، وعدم بيان أوجه المناسبة لجميع تلك السور كما هو الحال عند الإمام الرازي، والإمام ابن عاشور.

3. الكشف عن استدلال الأئمة في بيانهم لمقاصد السور وأوجه المناسبة، ودراسة أقوالهم، كاستدلال الإمام البقاعي في ذكره لمقصد السورة على مدلول اسمها، على خلاف توجيه الإمام ابن عاشور لمقصد السورة إلى المعنى الإرشادي لها ولمضمونها.

4. اتفاق بعض المفسرين في أقوالهم كان واضحًا، واختلاف بعضهم كان اختلاف تنوع لا تضاد.

ثانيًا: أهم التوصيات

1. استنباط أدوات الربط بين السور القرآنية لدى العلماء، واتباع منهجية خاصة لاكتشاف مناسبات أخرى بين السور.

2. تنفيذ المؤسسات القرآنية لمشاريع كبرى تتعلق بدراسة علم المناسبات وأنواعه، مع تطبيق ذلك على آيات وسور القرآن كاملة.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. ابتسام عمر العمودي، **المختارات من المناسبات بين السور والآيات**، مركز تدبر للدراسات والاستشارات، 1436هـ - 2015م.
2. إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، **المعجم الوسيط**، (مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة).
3. أحمد بن حنبل: أبو عبد الله (ت:241هـ)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث – القاهرة، ط1، 1416 هـ - 1995م.
4. إقبال وافي نجم، **الإعجاز ودوره في الإعجاز القرآني**، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة بالعراق، قسم الفقه.
5. الآلوسي: شهاب الدين محمود بن عبد الله (ت:1270هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415 هـ).
6. البخاري: محمد بن إسماعيل، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، شرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا، (دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ).
7. بدر: عبد الله أبو السعود، **الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم**، الإعجاز العلمي: الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، العدد السابع، 48-53.
8. البزار: أحمد بن عمرو (ت:292هـ)، **البحر الزخار المعروف بمسند البزار**، ت: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط1، بدأت 1988م، وانتهت 2009م).

9. البغدادي، ابن مجاهد (ت:324هـ)، **السبعة في القراءات**، ت: شوقي ضيف، (مصر: دار المعارف، ط2، 1400هـ).

10. البقاعي: إبراهيم بن عمر (ت:885هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي).

11. .....، **مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ**، (الرياض: مكتبة المعارف، ط1، 1408هـ - 1987م).

12. الترمذي، محمد بن عيسى (ت: 279هـ)، **سنن الترمذي**، ت: أحمد شاكر، وغيره، (مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط2، 1395هـ، 1975م).

13. التستري: أبو محمد، سهل بن عبد الله (ت:283هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1 - 1423 هـ).

14. **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، بإشراف أ.د مصطفى مسلم، (جامعة الشارقة، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي،1431هـ - 2010م).

15. الثعلبي: أبو إسحاق، أحمد بن إبراهيم (ت:427 هـ)، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، (جدة: دار التفسير، ط1، 1436هـ-2015م).

16. ابن حبان: أبو حاتم، محمد بن حبان بن أحمد، **الثقات**، (ت:354هـ)، (الهند: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، ط1، 1393 هـ - 1973م).

17. أبو حيان: محمد بن يوسف الأندلسي، (ت:745هـ)، **البحر المحيط**، تحقيق: صدقي محمد جميل، (بيروت: دار الفكر، 1420 هـ).

18. الخطابي: أبو سليمان، حمد بن محمد (ت:388 هـ)، **أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)**، تحقيق: د. محمد بن سعد آل سعود، (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ط1، 1409 هـ - 1988 م).

19. داود: محمد إمام، **من الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم**، المؤتمر العلمي الدولي الثاني – معالم التلاقي بين علوم اللغة العربية والعلوم الإسلامية: جامعة الأزهر – كلية اللغة العربية بالزقازيق، مج 3، 2010م.

20. دفة بلقاسم، **نماذج من الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم دراسة دلالية**، بحث علمي، قسم الأدب العربي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة الجزائر، 2009م.

21. الدليجان: هدى بنت دليجان بن عبدالله، **المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها في سور أل حم**، مجلة تبيان للدراسات القرآنية: الجمعية السعودية للقرآن الكريم وعلومه العدد الخامس، 59 – 110، 2009.

22. الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد (ت:748هـ)، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، (مؤسسة الرسالة، ط3، 1405هـ - 1985م).

23. الرازي: أبو الحسين، أحمد بن فارس (ت:395هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر، عام النشر: 1399هـ - 1979م).

24. الرازي: أبو عبد الله، محمد بن عمر (ت:606هـ)، **مفاتيح الغيب**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط3، 1420هـ).

25. الرازي: زين الدين محمد بن أبي بكر (ت:660هـ)، **مختار الصحاح**، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، (بيروت - صيدا: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، ط5، 1420هـ - 1999م).

26. الزبيدي، أبو الفيض، محمد بن محمد، (ت:1205هـ)، **تاج العروس**، مجموعة من المحققين، دار الهداية.

27. الزحيلي: وهبة بن مصطفى، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة : الثانية، 1418 هـ.

28. الزمخشري: جار الله، محمود بن عمرو (ت:538هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، 1407 هـ).

29. .....، **أساس البلاغة**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1419 هـ - 1998م).

30. الزيلعي: جمال الدين عبد الله بن يوسف (ت:762هـ)، **تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري**، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، (الرياض: دار ابن خزيمة، ط1، 1414هـ).

31. السامرائي: فاضل صالح، **التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم**، (دمشق: دار ابن كثير، ط1، 1437هـ، 2016م).

32. السخاوي: علي بن محمد (ت:643هـ)، **جمال القراء وكمال الإقراء**، تحقيق: د. مروان العطيَّة - د. محسن خرابة، (دمشق – بيروت: دار المأمون للتراث، ط1، 1418 هـ - 1997 م).

33. ابن سعد: أبو عبد الله، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي (ت:230هـ)، **الطبقات الكبرى**، ت: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، ط1، 1968 م).

34. أبو سعيد: محمد بن علي (ت:414هـ)، **ثلاثة مجالس من أمالي أبي سعيد النقاش**، مخطوط نُشر في برنامج جوامع الكلم التابع لموقع الشبكة الإسلامية، (ط1، 2004).

35. سعيد حوّى (ت:1409 هـ)، **الأساس في التفسير**، (القاهرة: دار السلام، ط6، 1424 هـ).

36. سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (القاهرة: دار الشروق، الطبعة الشرعية الأولى 1972، الطبعة الشرعية الثانية والثلاثون1423هـ - 2003م).

37. السيوطي: جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت:911هـ)، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ - 1974 م).

38. .....، **تناسق الدرر في تناسب السور**، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، (دار الفضيلة للنشر والتوزيع).

39. الشعراوي: محمد متولي، **تفسير الشعراوي**، أخبار اليوم، قطاع الثقافة والكتب والمكتبات.

40. الشهراني: سعيد بن محمد بن سعد، **جهود الإمام ابن عطية في حكاية الإجماع في المكي والمدني: جمعًا ودراسة**، حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية: جامعة الأزهر – العدد (36) المجلد الثالث، 250 -278.

41. ابن أبي شيبة: عبد الله بن محمد (ت:235هـ)، **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد بالرياض، ط1، 1409.

42. الطائي: جمال الدين، محمد بن عبد الله (ت:672هـ)، **إكمال الأعلام بتثليث الكلام**، تحقيق: سعد بن حمدان الغامدي، (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ط1، 1404هـ 1984م).

43. الطبراني: سليمان بن أحمد (ت: 360هـ)، **المعجم الأوسط**، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، (القاهرة: دار الحرمين).

44. الطبرسي: الفضل بن الحسن، أبو علي، **تفسير جوامع الجامع**، ت: مؤسسة النشر الإسلامي، (ط1، 1421هـ).

45. الطبري: محمد بن جرير، أبو جعفر (ت:310هـ)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ - 2000 م).

46. الطحان، أسامة، **التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها من سورة الفاتحة إلى سورة المؤمنون**، رسالة ماجستير بكلية الشريعة بجامعة قطر 2020.

47. الطحاوي: أبو جعفر، أحمد بن محمد (ت:321هـ)، **شرح مشكل الآثار**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1 - 1415 هـ، 1494 م).

48. طه عابدين طه، **ترتيب سور القرآن الكريم**، دراسة تحليلية لأقوال العلماء، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، العدد التاسع، السنة الخامسة والسادسة.

49. عادل الصعدي، **والأرض ذات الصدع**، مقال في موقع جامعة الإيمان، نُشر المقال في 2013/1/22م، وراجعه علي عمر بلعجم.

50. ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد (ت:1393هـ)، **التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**، (تونس: الدار التونسية للنشر، 1984 هـ).

51. عامر توفيق القضاة، **التفسير الإرشادي عند الإمام البقاعي في تفسيره نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، بالاشتراك مع وزارة الثقافة في عمَّان.

52. عبد العزيز الخضيري، **فواتح السور وخواتيمها أنواعها ودلالاتها ومناسباتها**، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام 1413هـ.

53. ابن العربي: أبو بكر، محمد بن عبد الله (ت:543هـ)، **أحكام القرآن**، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط3، 1424 هـ - 2003 م).

54. ابن عطاء الله السكندري: أحمد بن محمد (ت:709هـ)، **لطائف المنن**، ت: د. عبد الحليم محمود، (القاهرة: دار المعارف، ط3، 2006).

55. .....، **الحكم العطائية**، شرح ابن عباد، (القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط1، 1408هـ، 1988م).

56. ابن عطية: عبد الحق بن غالب الأندلسي، أبو محمد (ت:542هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1 - 1422 هـ).

57. العبد: محمد السيد سليمان، **من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم**، المجلة العربية للعلوم الإنسانية بجامعة الكويت، المجلد التاسع، 72-111، 1989م.

58. العسقلاني: أحمد بن علي بن حجر (ت: 852هـ)، **تهذيب التهذيب**، (الهند: مطبعة دائرة المعارف النظامية، ط1، 1326هـ.

59. الغرناطي: أبو جعفر، أحمد بن إبراهيم بن الزبير (ت:708هـ)، **البرهان في تناسب سور القرآن**، تحقيق: محمد شعباني، (المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1410 هـ - 1990 م).

60. .....، **البرهان في تناسب سور القرآن**، تقديم وتحقيق د. سعيد بن جمعة الفلاح، (دار ابن الجوزي، ط1، 1428هـ).

61. الغماري: أبو الفضل، عبد الله محمد الصديق، **جواهر البيان في تناسب سور القرآن**، (مكتبة القاهرة، مطبعة محمد عاطف وسيد طه).

62. الفارابي: إسماعيل بن حماد، أبو نصر، (ت:393هـ)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**.

63. ابن الفارض، **ديوان ابن الفارض**، شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية).

64. فايز السريح، **معالم السور**، (الدمام، 1439هـ).

65. الفراهي: عبد الحميد (ت:1349هـ)، **تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان**، (الهند: الدائرة الحميدية، ط1، 2008م).

66. الفراهيدي: أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد، (ت:170هـ)، **العين**، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، (دار ومكتبة الهلال).

67. فرحات، أحمد حسن، **مناسبات الآيات والسور**، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، (العدد الثاني-السنة الثانية-عام1390 هـ).

68. القرطبي: أبو عبد الله، محمد بن أحمد، (ت:671هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش.

69. القشيري: عبد الكريم بن هوازن (ت:465هـ)، **لطائف الإشارات**، تحقيق: إبراهيم البسيوني، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3).

70. فضل صالح السامرائي، **التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم**، (دار ابن كثير، 1437هـ - 2016م).

71. ابن كثير: إسماعيل بن عمر (ت:774هـ)، **البداية والنهاية**، تحقيق: علي شيري، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1 1408، هـ - 1988م).

72. .....، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999 م.

73. الكجراتي، جمال الدين، (ت: 986هـ)، مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط3، 1387هـ.

74. الكفوي: أبو البقاء، أيوب بن موسى، (ت:1094هـ)، **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، (بيروت: مؤسسة الرسالة).

75. ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني (ت:273هـ)، **سنن ابن ماجه**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي).

76. المراغي: أحمد بن مصطفى (ت:1371هـ)، **تفسير المراغي**، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1365 هـ - 1946م.

77. مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت:261هـ)، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي).

78. ابن منظور: محمد بن مكرم (ت:711هـ)، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، ط3، 1414 هـ).

79. نشوان بن سعيد الحميري (ت: 573هـ)، **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، ت: د حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الإرياني – د يوسف محمد عبد الله، (لبنان: دار الفكر المعاصري، ط1، 1420 هـ).

80. النيسابوري: أبو عبد الله، الحاكم محمد بن عبد الله، (ت:405هـ)، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1411 – 1990).

81. النيسابوري: نظام الدين الحسن بن محمد (ت:850هـ)، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1416هـ).

82. الهروي: محمد بن أحمد، أبو منصور (ت:370هـ)، **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 2001م).

83. الهيثمي: علي بن أبي بكر (ت:807هـ)، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، تحقيق: حسام الدين القدسي، (القاهرة: مكتبة القدسي، 1414 هـ، 1994 م).

84. Youtube، تفسير سورة النبأ، الشعراوي، رفعَ الفيديو قناة بعنوان **nationalq8**.

ملحق الرسالة

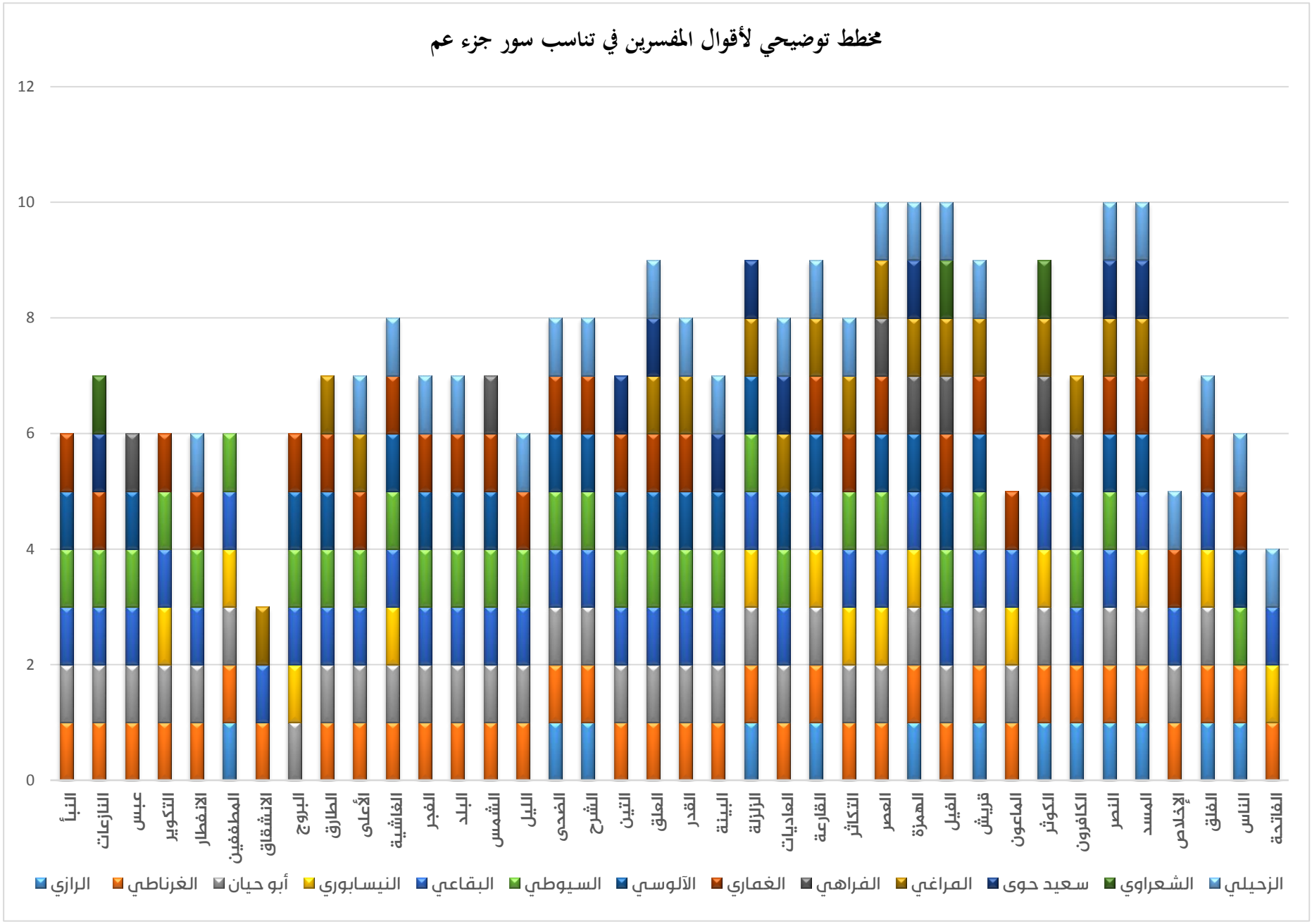

- تشير الأشكال إلى وجود قول أو أكثر للمفسر، بيَّن فيه وجه مناسبة فاتحة السورة المذكورة لخاتمة ما قبلها، والترتيب حسب تاريخ الوفاة بدءًا من الإمام الرازي.